

دكتور صابر عبد الدايم

محمود حسن إسماعيل
بين الأصالة والمعاصرة



دار المعارف



محمود حسن إسماعيل
بين الأصالة والمعاصرة

دكتور صابر عبد الدايم

مدرس الأدب والنقد بكلية اللغة العربية

بالزقازيق



دار المعارف

الناشر دار المعارف ـ ١١١٩ كورنيش النيل ـ القاهرة ج.م.ع.

إهـداء

الى شاعر الوادى وعزاف اللظى

الى ذكراه التى لاتغيب

الى شاعريته الخصبة

أقدم هـذه الدراسة

صابر عبد الدايم

أنا شاعر الوادى وعزاف اللظى

اما رأيت جنـــانــه متألمـــا

أهدى العطـور لمن يفى لبــلاده

وأسوق للطاغى الخؤون جهنمـا

غيرى يسوق الشعر فضل بلاغة

وانا أفجـــر فى منابعه الدمـــا

محمود حسن اسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

احمد الله سبحانه الذى تفضل بنعمة البيان على بنى الانسان ٠

وجعل من آياته اختلاف السنتهم والوانهم ، ليتفكروا ، ويتدبروا ، ويهتدوا بفطرتهم الى منابع الحقيقة الأزلية ٠٠ حقيقة الوجود ٠

وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين ٠ الذى ادبه ربه فأحسن تأديبه ٠ وفجر فى وجدانه ينابيع الحكمة واضواء اليقين ٠

وبعـــد

فان العصر الحديث شهد تحولات جذرية فى جميع مناحى الحياة ، وهذه التحولات تمخضت عنها الصراعات التى عمت العالم كله ، وبرغم الأطمـــاع الاستعمارية والحروب التى دمرت الكثير من احلام الانسان ، وشوهت واقعه ، وافقدته الأمل فى غده ، فان الوجه الآخر لهذا الصراع حمل ملامح الفكر الذى تقارب فى العالم كله ٠٠

وتبادلت النشاطات الانسانية ، والجهود الفكرية ، والمجالات الابداعية التأثير والتأثر ، ولم تستطع الحروب تدمير النفوس ٠

● وظلت شرارة الابداع مشتعلة فى كيان ذوى الكلمة الصادقة ، تحرق دواعى اليأس ، وتقضى على عوامل الانهيار ٠

● وفى هذا المناخ نشأ الشاعر « محمود حسن اسماعيل » ارادة لاتعرف الضعف ، وشاعرية تنفعل وتفيض وتؤثر • وتستمر فى فيضانها لتغمر الحقل الأدبى كله •

● فهو من هذه الكوكبة من الشعراء الذين يحلقون كالنسور • لايهبطون ، بل يغنون ، ونحن نشرب من أيديهم العبير ، ونسمع من أعماقهم أصداء النور. ونصغى لهمسات القمر ، وأحاديث النجوم ، ووشوشات العصافير ء وهى تجرىعلى ألسنتهم وتفيض :ها قلوبهم •

● وهم فى زمان الفرح يتوقعون ••• لحظة الألم • فاذا بهم يواجهوننا بصورة الواقع الحاد ، ولايعمقون هوة اليأس • بل يفتحون نوافذ الحلم • فنحلم معهم رفضا للواقع ــ بالرخاء ، والحلم يثور على الظل • فننطلق معهم فى ميدان الاصرار ونخوض بحيرات الأمل ، ونغامر •

● ونسافر ــ ان ضاقت السبل ــ بلا خرائط • ننشد استقرار النفس تغير الواقع ، لانقنع بما هو كائن ، ونطمح الى تغيير مايكون • !!!

● واحببت الشعر ، وعشقت رواده ، وسعيت فى دأب • لأصبح كائنا مثمرا فى دوحتهم الباسقة ، وطائرا جوابا فى آفاقهم الفسيحة •

● وفى رحلة المكاشفة ، والبحث عن الهوية عثرت على صلة حميمة ، توثقت بينى وبين الشاعر « محمود حسن اسماعيل » صلة الروح • ووشيجة الفن ، وما كان لهذه الوشيجة أن تتأصل لولا هذه المعايشة الفنية لابداعات الشاعر ، والعثور على طعم جديد فى مذاق الشعر العربى ، وفجأة تتفتح نوافذ الذات لتهب عليها من فن الشاعر رياح موشاة بعبير شرقى جديد • مبهر •

● ومن ثم كان الخوف ، وكبر الحذر ، وبدأ الجدل • !!!
• خفت أن يتكرر فى
فاصبح تمثالا يذكر بصاحبه ، وتتشر به السنون ــ ثم تطويه الأجيال •

● ولما تضخم الحذر · تضاءل الخوف · واشرق الجدل ·

● ومن واقع الجدل كان لون ـ البحث ـ وهو لون العصر · فالكون فى صراع · وفى جدل منبىء عن الحقيقة ·

● ووقعت بين مخالب الصدق ، حين أردت لهذا البحث أن يكون معيارا لأمانه الكلمة الناقدة ، حيث يبحث فى شعر « محمود حسن اسماعيل » وهو يقلبه على وجهيه · الوجه القديم · والوجه الجديد ، القديم ـ الأصالة ـ والجديد ـ المعاصرة ·

● ومحمود حسن اسماعيل قديم جديد · وان شئت فقل · جديد قديم ·

وهو فى قدمه أصيل يظل مكتسبا احترام الحاضر بل والمستقبل ، وهو فى جدته متشبث بالجذور يضرب فى أعماق الحقل ، ويمتد لقمة الجبل ·

● ومن الغريب العجيب أن الصراع بين القديم والجديد · هو سمة هذا العصـــر ·

● ومن هنا تجىء هذه الدراسة ملمحا من ملامح العصر · كما أن الشاعر لبنة من لبنات العصـر · لبنة ثائـرة وفية لاتنسى جذورها ولا تلهـو عن حاضرها ·

● واظننى أوضـحت منهجى فى هذه الدراسة · وهو يلتزم بالصدق ، ويعنى باثارة القضـــايا وتحليلهـا · والرجوع بالقضـــية الى جذورها كلما أمكن ذلك ·

● ولم أهمل وجه الجمال فى فن الشاعر · ولم أغض بصيرتى عن رؤى الشاعر المختلفة ·

● وقد حرصت أن أجلى صورة الشاعر الفنية وهى صورة العصر ذاته ·

● وفى دراستى لفن الشاعر · وقفت عند منحنيين خطيرين ·

أولهما منحنى الأصالة ـ التقليد الفنى الذى يبتعد عن النظم الجاف ـ

وثانيهما منحنى الحداثة ـ التجديد الواعى الذى ينأى عن الهـــدم وقطع الجذور ٠

● وهذان الوجهان بهذا المفهوم ٠ يجعلان الشاعر فى منطقة الضوء الفنى

● ووجدتنى اقسم البحث الى أربعة أبواب

● الباب الأول بعنوان « الشـاعر فى المرآة » وقسـمت هذا الباب الى فصـلين ٠

● رصدت الملامح والمؤثرات الحياتية الخاصة ، ونقبت عن الملامـح الفكرية والثقافية التى كونت وجدان الشـاعر ٠ وتكون هـاتين الجزئتين ٠ الفصل الأول

● والفصل الثانى يرصد فى ايجاز الظواهر السياسية والأدبية فى عصره مضيئا اللحظة التى عاشها الشاعر وانفعل بكل هذه الظواهر فى حب وأمن ويقين

والباب الثانى جعلت عنوانه « التيار التقليدى فى شعر محمود حسن اسماعيل ٠ وهو يتكون من تمهيد وأربعة فصول ٠

فى الفصل الأول درست « الأسلوب والصياغة »

وفى الفصل الثانى درست « الصور والأخيلة »

وفى الفصل الثالث درست « الشكل »

وفى الفصل الرابع درست « المضمون »

● وهذا تقسيم شكلى فقط لأن الدراسة المعاصره لاتفصل بين هـذه المعالم ، والدراسات القديمة تفرق بينها ٠ ومن هنا كان تقسيم هذا البـاب صورة لوجه الشاعر المقلد ، وبعد عن وجهه المبدع ٠

● وفى الباب الثالث التيار التجديدى فى شعره « والشاعر فى ظلال أبولو ٠ وأثرها فى فنه » كان الفصل الأول واشعر أن هناك تيارا قويا يشده الى هذه النزعة ، وهذا التيار يتصل بوجدانه بل وبكيانه كله ٠

وفصلت القول فى هذا الاتجاه بحيث يشعر القارىء أنه عثر على القيم الموضوعية والجمالية والايقاعية لمدرسة ابولو كما تنطق النصوصى وتشهد ٠

● والفصل الثانى تطور طبيعى للفصل الأول • وهو • ارتياد الشاعر لآفاق الشعر الحديث ، والاتجاهان أخذا من العصر الحديث مساحة غير هينة •

● ثم كان الفصل الرابع : رصدا لرؤية الشاعر السياسية والاجتماعية والصوفية •

● وحرصت فى رصدى لأبعاد هذه الرؤى أن تتفلتح على هموم العصر ومشكلاته •

● وجاء الباب الرابع « قضايا ومواقف » وهو يثير قضايا كثيرة تنظر الى هذا التفتح على هموم العصر علها تجد شفاء مما تجد •

● وقد بسطت القول فى قضايا ثلاث : قضية الشعر الحر والتقليدى • وقضية الالتزام ، وقضية الموت ، وهذه القضايا للشاعر فيها دفاع خاص منفرد يجعله كما أطلق على نفسه وكما اخترت له •

شاعر الوادى وعزاف اللظى

ويجعل التقليد فى شعره يمت الى الجديد خيالا ، وصورة ، وكثافة ، ويجعل الجديد فى شعره محاطاً بسور الواقع وفيه رائحة الجذور التى تمده بالخصب والنماء •

فهو فى تقليده جديد ، وفى التزامه عنيد ، وفى موته شهيد !!!

ترى هل بلغت القصد ؟

هل استطعت أن أعثر على مكانة الشاعر بين شعراء عصره ؟

هل كشفت الصلة الخفية بينه وبين جذور الشعر العربى القديم ؟

هل خبرت صورة العصر الشعرى الحديث وانا ارحل مع احد جنوده البواسل ؟

● كنت محايدا بمقدار ماكنت محبا

● كنت مهاجما بمقدار ماكنت مدافعا

● كنت مدللا بمقدار ماكنت معارضا

وحسبى هذا

وما توفيقى الا بالله

عيله توكلت واليه انيب

د . صابر عبد الدايم

١٩ من صفر سنه ١٤٠٤ هـ

الزقازيق ـ الخميس ٢٤ من نوفمبر سنه ١٩٨٣م

البابُ الأول

« الشـــاعر فى المرآة »

ويتكون من فصلين

١ ـ الفصل الأول ··· ملامح ومؤثرات

٢ ـ الفصل الثانى ··· ظواهر سياسية وأدبية

الفصل الأول

« ملامح ومؤثرات »

حينما نتعرض لدراسة شاعر ما ونتناول قضية من قضايا فنه لابد أن نقوم بسياحة فى دروبه الحياتيه · ونلتقط بكاميرا البحث · صورا ومعالم لهذه الحياة · حتى نستطيع أن نكون صورة عامة عن الشاعر تفيدنا فى الحكم له أو عليه حينما تتصارع القضايا ·· ويختلط الأمر على من يحكمون. « ومحمود حسن اسماعيل » طاقة خصبة جبارة ·· يهدر كالموج الغاضب فيمتع النفوس باللحن المتدفق الغائر فى أعماق النفس ·

ولا شك أن هذه القدرة قد شدت على يدها عوامل كثيرة توفرت فى حياة الشاعر ··· وملامح ومؤثرات نلحظها من خلال تتبعنا لحياته الخاصة ·· ثم كتاباته ·· وقراءاته ·· والمنابع التى تدفق منها فنه والروافد التى صارت مجرى لهذا الفن السامق ·· وتنقسم هذه الملامح والمؤثرات الى ··

·· أولا ·· ملامح ومؤثرات حياتية خاصة ·

● قد نشأ محمود حسن اسماعيل فى صعيد مصر بأسيوط حيث ولد ببلدة النخيلة وتلقى فترة تعليمه الأولى هناك ··واتجه فى دراسته وجهة عربية اسلامية حتى تخرج فى دار العلوم سنه ١٩٣٦ وقد نبغ فى الشعر نبوغا مبكرا حتى أصدر ديوانه الأول ·· أغانى الكوخ وهو طالب سنة ١٩٣٥ ·· وقد تدرج فى الوظائف الحكومية من محرر بالمجمع اللغوى الى أن أصبح المستشار الثقافى لهيئة الاذاعة · ونال جائزة الدولة التقديرية فى الشعر سنة ١٩٦٥م(١).

---

(١) تطور الأدب الحديث فى مصر · من أوائل القرن التاسع عشر الى قيام الحرب الكبرى الثانية ، د / أحمد هيكل ص ٣٦٥

وتشبع محمود حسن اسماعيل بجو الصعيد وما فيه من معابد دينية ٠ تمثل الطقوس الفرعونيه وجميع الموروثات الدينية ٠٠ فهو ابن الريف الاصيل ٠ وهو يتكلم عن هذه النشأة فى مقدمة ديوان أغانى الكوخ ٠٠ فيقول ٠ « لم تكن الروح التى أوحت أغانى الكوخ فيما طالعت من شعر الطبيعة بهذا الديوان ٠ وليدة عام أو عامين ٠ أو أكثر ٠ ولكنها فى الحقيقة وليدة شباب كامل ٠٠ حضنته الطبيعة فى ريف مصر منذ الطفولة اللاهية الى عهد قريب تغلغلت به روحى الشابة فى جميع مظاهر الطبيعة وأسرارها حتى امتزجت بها الامتزاج الذى أورثها الحنين الدائب الى تلك الحياة الهادئة بين الحقول المصرية المرعة والقـــرى النائمة على ضفتى النيل الزاخر ٠ وخلقت فى دمى الشوق الملح الى الحيـاة بين رباها وأزهارها ونحلها وأطيارها ٠ وتخيلها الســـاهم فى ســــكون الفضاء كأنه معاصم نساك تطير الدعوات للسماء وأكواخها البريئة التى تشركهم فيها الدواب ودواجن الطير ، وتقاسمهم شـظف العين وبؤســه فى حياتهـم الطبيعية ٠٠ التى لم تخرجها عن القنوع والغبطة ٠٠ تلك النزعات التى تلتهم بها المدينة عيشها التهاما فى تناحر ماتت به كل معنى الرحمة والتعاطف بين الأسرة البشرية المتحضرة (١) والفلاح يعيش بين أحضان الطبيعة طول يومه وتغمره بكل مظاهرها من دبيب الحشرة السارية بين الغصـن والورقة الملتفة عليه الى تموج الشعاع فى عينيه على الحقول البسيطة ٠ ومن زقزقة العصافير الهامسة فى رأد لضحى بين يديه ٠ الى نعيب البومة فى جنح الظـلام وأنين الدولاب الصارخ فى الفضاء ٠ ومن همسة الجدول مع السفير الى الموج الهادر على شط النهر ولكنه مع ذلك لايصل احساسه بتلك المظاهر الا أنها وســائل انفعته الخاصة ٠ وتهتز السنبلة فى مزرعته فيهيم فرحا لأنها ثمرة من ثمار عمله ٠ وتئن الساقية فى ربوته فيطرب لها ٠٠ لأن من دمعها رى بنته ٠٠ وسقيا غراسه (٢) ٠

---

(١) أغانى الكوخ المقدمة ص ٢٢٣

(٥) المرجع السابق ص ٢٢٧

● ونشتم رائحة مقدسة تنم عن اصالة الريف والطبيعة المصريه وتسر الينا بحديث الحب والصدق الذى جعل شاعرنا يمتزج بهذه البيئة ٠

● وسر الابداع عند « محمود حسن اسماعيل » يكمن فى تمثله هذا الجو الذى ورثه وعاصره وتنفسه ٠ ويمكن ان أسميه « الوراثة النفسية » كما عبر « يونج » الطبيب السويسرى ٠

● فالأعمال الفنية نوعان

(ا) نوع نسميه الأعمال السيكولوجية ، ولايزيد عمل الشاعر فيه على توضيح المضمون الشعرى ، ويتدرج فى هذا النوع كل ما يتناول شئون الحب والبيئة والأسرة والجريمة والمجتمع والشعر التعليمى ومعظم الشعر الغنائى والدراما والتراجيديا والكوميديا ٠

(ب) ونوع نسميه الأعمال الكشفية ، وهذه تستمد وجودها من اللاشعور الجمعى ، حيث تكمن بقايا التجربة الأولى ، تجربة الأسلاف ، ومن هذا القبيل الجـزء الثـانى من فاوســـت لجيته ، و « راعى هرمس » لدافنتى و « وحى او عائشة » لريدار هاجارد » (١)

● وشعر محمود حسن اسماعيل فى معظمه من النوع الكشفى لأنه ذو قدرة مميزة هى «الحدس» ٠ وهذه الصفة فى رأى «يونج» فطرية ٠ وبهذهالميزة الفنية استطاع الشاعر أن يتجاوز فى شعره المشاعر المباشرة ٠ الى الرمز الفنى الذى « يتضمن عناصر شعورية وأخرى لاشعورية ، ولا يستطيع خلق رمز جديـد سوى الذهن المرهف المرتقى الذى لاترضيه الرموز التقليدية ، الموجودة فعلا ٠

وكما أن الرمز يصدر عن اسمى مرتبة ذهنية ، كذلك يلزمه أن يصدر عن

---

(١) الأسس النفسية للابداع الفنى « فى الشعر خاصة د ٠ مصطفى سويف ص ٢٠٤

اكثر حركات النفس بدائية زائدة ليمس فى الانسان وترا مشتركا ٠ (١)

● وبهذا المنظور الرمزى نستطيع أن نقرأ شعر محمود حسن اسماعيل قراءة جديدة تستكشف سـر ذلك العشـق الصوفى للريف المصرى وطبيعته الخصبة حيث يمتزج به الى درجة الاتحاد والحلول ٠ ويعب من نبعة المقدس دفعات الطهر والضياء ٠ فيتكلم عن الطبيعة المصرية التى ترعرع فى احضانها فالهمته خير ماألهم الشعراء فيقول ٠٠

● والطبيعة المصرية لوحة فنية رائعة وشاها النيل منذ فجر الله ينابيعه فى هذا الوادى الخصيب بأصباغ فذه وألوان تثير شغف الفنان وتحرك فيه الميل الى تصويرها فى فنه ٠ جنة غناء بسامة الزهر يتسلل تحت نخيلهـا وزيتونها وسدها وصفصافها ٠ نهر دافق لم تراوده الطبيعة يوما على أن يفيض فيهلك الحرث والنسل أو يغيض فيردها صعيدا جرزا ٠ وريف ناغم الأظلال ٠ وريف الأفياء نضرت قيعانه تلك اليد السوداء التى شمرت لتثميرها ٠ حاملة الفاس عامة النهار لاتكل من هاجرة ٠ ولاتنكمش من زمهرير ! يد الفـلاح البائس الشقى الذى يراه العابرون من أقصى الوادى لأدناه منحنى القـامة فى قميص أزرق مكبا على الأرض يغرس فيهـا الحب ٠ ويرعى النبت الغض الوليد ويحصد اليابس الذى استوى على سوقه وأدى ثمره لغارسه فلم ينل منه الا كسرة معفرة سوداء يأكلهـا بين زوجه وأولاده فى كوخـه الضيق الذى ينكمش فيه مع البهائم والحشرات ٠

ذلك هو الرجل الذى لولاه ما أمرع وادى النيل ولازكا بنته ولاتفتحت فسائله تراه فى الضحى فانيا فى مزرعته حرثا وتقليبا ٠ يتصبب جبينه عرقا ٠ وهو هادىء ساكن لايشكو تعبا ولا يعتريه ملال ٠ يتغنى خلف قطعانه أغانى تفيض براءة وطهرا كأنها زجل الطير وهو فى عزلته هذه عن العالم يرى أثرا

---

(١) الأسس النفسية للابداع الفنى « فى الشـعر خاصة د ٠ مصطفى سويف ص ٢٠٧

من نعيم المدن فى طائرة تنساب فوق رأسه أو نعمة فارهة يتراءى بها ثرى فى قريته من أولئك الذين يقيمون جاههم على اكتافه فلا يتألم ولا يحقد ولا يتبرم بعيشه بل يمضى فى حياته قانعا بكل حال ٠

يرضيه من تلك الجنة التى نضر غرسها ورعى ثمرها عشب ذاو تصطدم بقدمه أو ثمرة تساقطت من ظفر خائن يعودبها لمواشيه فى غبطة وسلام فى كل هذا الجمال الطبيعى الذى تبلج به ريف مصر ٠ وفى كل هذا الشقاء الذى اكتوت بناره نفوس بريئة لاتعرف من الحياة الا الاخلاص لعملها بيد أنها محرومة من أتفه متع الحياة المترفة فى المدينة (١) ٠

٠٠٠ فى هذه البيئة الثرية بالجمال والعاشقة للعمل والتى خنق أنفاسها الاقطاع ٠ وجعل السوط جزاء لبطل الملحمة الريفية ٠٠ نشأ شاعرنا نشأة واعية يلتقط بحسه الفطرى كل لمحة للجمال والشكوى والتضجع والثورة والعدل ٠ وكلما تزخر به هذه البيئة من قيم وما تطمح اليه من رقى فهوه فنان مصرى يعكس نتاجه هذه الملامح التى شكلتها على وجه بلدنا الحبيب أيدى ثلاث حضارات كبرى ٠٠ وهى الحضارة الفرعونية والحضارة القبطيه والحضارة الاسلامية ٠ (٢)

ولذلك نرى الشاعر ينهل من النبع الخصب ٠٠ نبع البيئة ونلحظ عليه الاهتمام كثيرا بخلق الجو المصرى الذى يمثل الدين أعبق عطوره والذى تمتزج خلاله الموروثات الفرعونيه والطقوس القبطية والشعائر الاسلامية وبالقدرة الفائقة على خلق هذا الجو ويعد محمود حسن اسماعيل أبرع شاعر مصرى يفوح من شعره عطر الأجواء المصرية العريقة ويقدم فنه ملامح الحياة على ضفاف النيل كما تتجلى بخاصة فى صعيد مصر حيث المعابد الفرعونية

---

(١) أغانى الكوخ ص ٢٣١

(٢) مجلة الشعر عدد يونيو ١٩٦٥ ص ٣

تجاور الكنائس القبطية والمساجد المسلمة ، وحيث تمتزج بقايا ترانيم الكهان بأصداء الأجراس وتكبيرات المآذن ٠

وحيث يشكل النفوس كبرياء رمسيس ومسالمة عيسى وسماحة محمد حتى ليجزم قارىء شعر محمود حسن اسماعيل بانه مصرى صعيدى وان لم يكن يعرف عن حياته أى شىء (١) ٠

ثانيا ٠٠ ملامح ومؤثرات فكرية وثقافية

ـ ١ ـ ٠٠ محمود حسن اسماعيل كما نلاحظ

من قراءة أشعاره ومقدمات دواوينه استطاع أن يثقف نفسه ثقافة عربية محـــافظه بالتهامه التراث وهضمه جيدا ثم تحويله الى عناصر أخـــرى تجرى فى عروقه دما وفى احساسه وشعوره ابداعا وابتكارا وهو يعترف بهذا ويقر فى مقدمة ديوان أغانى الكوخ وان كان قد اطلع على بعض الآداب الأجنبية

وتأثر بها أيضا برغم انكاره ذلك مثل المـذهب الرمـزى ٠ والمذهب السريالى والوجودى والرومانتيكى ٠٠٠ وتلمح وميضا ناصعا من آثار هذه المذاهب فى أشعاره والدكتور محمد عبد المنعم خفاجى وهو يتعرض لتأثر الأدب العربى بالمذاهب الغربية ٠٠ يثبت هذه الظاهرة ويقول ٠

ومن المذاهب الأخرى السريالية التى يمثلها شعر « محمود حسن اسماعيل» والوجوديه وغيرهما (٢) ٠

● وعن تأثره بالمذهب الرمزى يقول الدكتور شكرى عياد وهو يتكلم عن أغانى الكوخ ٠ ولعل التفاته الى الأسلوب الرمزى منذ هذا الديوان الأول كان نابعا من شعوره الأصيل بأن الظواهر الواقعية تعبر عن شىء أسمى من الواقع ٠٠ ويحتاج من أجل ذلك الى تصويرها فى الشعر تصويرا يلمح ما بينها

---

(١) مجلة الشعر عدد يونيو ١٩٦٥ ص ٥

(٢) الأدب العربى الحديث ومدراسه ص ٢٣ د ٠ خفاجى

من العلاقات الخفية التى تغيب أطرافها البعيدة فى ثنايا المجهول ... ولكن محمود حسن اسماعيل بدلا من أن يتعرف بهذه الآصرة التى تربطه شاء أو لم يشأ بالتراث الرمزى فى الآداب العالمية ليحاول من بعد أن يرتوى من هذا التراث ويتصرف فيه بقدراته المبدعه تصرف المالك ٠

بدلا من أن يخوض فى تيار الأدب العالمى بلا عقد وجدناه يحرص على أن ينفى عن نفسه شبهة التأثر بأى أدب أجنبى مؤكدا ...

« أن المطلع على أسرار الشعر العربى يرى سبق العرب الى ما يعبر عنه بالمزج بين الأحاسيس » وهكذا حصر رمزيته الأصيلة فى حدود الأساليب البيانيه القديمة مهما تكن جرأته فى استعمال هذه الأساليب (١) ٠

● كذلك تأثر محمود حسن اسماعيل بالوجودية ... وفى قصائده التى يبحث فيها عن ذاته لتحقيق وجوده نتسمع أصداء من هذا التأثر فهو يقول ٠

من عمق ذاتى وسرى
ومن سراديب صدرى
ومن صلاتى الحزينه
على ضفاف السكينه
ومن تلفت نفس
لعالم غير حس
ومن هدير المعاصى
ويأسها فى الخلاص
ومن تمزق قلبى
على خطا كل ذنبى
عرفت كل وجودى
سحرا لهذا النشيد

---

(١) الكاتب عدد يناير سنه ١٩٦٧ ٠

● ان محمود حسن اسماعيل لايمت هنا بنسب عميق الى سارتر بقدر مايمت الى تلك الوجودية المؤمنة المثلة فى الوجودى الكبير « كارل يسبرز » والوجودى الفرنسى « مارسيل » وليست هذه النظرة جديدة تماما على الشعر العربى · ولكن محمود حسن اسماعيل يمكن أن يكون المثل الحقيقى لها فى هذا العصر (١) ·

● ونلاحظ كذلك أن الشاعر واثق من نفسه كل الثقه وخاصة من ثقافته العربية لأنه يعيب على الآخرين فى تحمس الفنان وجرأة الملهم مشاعرهم السطحية ومواهبهم الفاترة النحيلة ونلمس بصمات هذه الثقافة العميقة عندما نقرأ له قوله عن باكورة نتاجه « ديوان أغانى الكوخ »

« وقد حفزتنا لاظهارها · هذه الرغبة فى تسجيل أول باكورة فنية لفترة خاصة من العمر ، وروح التشاؤم السائدة فى النقد الحديث بالشعر ومستقبله وبوجه خاص بشعر الشباب الذى غلبت عليه المسحة التقليدية المحضة والرخاوة والضعف فى معانيه وأساليبه مما يرجع الى عدم التركيز الفنى فى الاستعداد الطبيعى وضعف الطاقة الشعرية فى التعبير الدقيق الصادق عن الاحساسات المختلفة لكل ما يخالج نفس الشاعر من المرئى والوجدانات المنعكسة فى نفسة والتهافت على الشهرة من غير زاد فنى يدعم به الشباب محاولته الظهور ن المجتمع مما أغرى الكثيرين الى النظم الجاف فى كل مناسبة أقل ماتوصف فى أنها بعيدة عن التأثير فى احساس الناظم وشعوره فلا يستطيع أن ينتج فيها غير كلام غث ساعد على رصفه فى قوالب موزونة تكرار المحاولات فى محاكاة الشعر القديم والسطو على صياغته وأفكاره · ومهما بلغت به الاجادة فهو خاو ومتهالك لنضوب الروح وجفاف الطبع فى مادته ·· وقلما تراه الا فى صور فاسدة يشوبها النزوع الى العامية التى جر اليها عدم الاحتشاد للشعر بطبع فطرى واستعداد قوى واطلاع عميق · وتأمل فى الفنون المختلفة والتشرب

---

(١) الفكر المعاصر · أغسطس ١٩٤٧ م د · عبده بدوى

يروجها . وفي طبيعتها الشعر » (١)

... والشاعر ظامىء أبدا الى الحقيقة وثائرا أبدا على الزيف وهـذه سمة الفنان الحقيقى ... ولذلك نراه يلقى اللوم على النقاد وأولى الأمر ويحملهم تبعة تشاؤمهم من مستقبل الشعر لافساحهم صدر المجلات والصحف لنشر النتاج الشعرى الفج مغرون بالملق والزلفى التى يقوم بها نفر من الشباب مغرورون . ومغرر بهم ممن لا يميزون الشعر رديئه من جيده وهم الذين لم يوهبوا ذوقا فطريا يسعدهم بعد الوقوف على أسرار الشعر وروائعه باستقلال فى الرأى الأدبى يصوب أفكارهم للنقد الحكيم .. فنراهم يهللون لكل تافه مسرفين فى المحاباة التى تخنق فى ظلها أصوات الموهوبين الذين يختبىء فنهم من الجحود الى حين يكتشفه الزمن بعد انقضاء حياتهم كما حدث ويحدث لكثير من عظماء العالم الذين يعبرون الحياة فى صمت ممض وألم من عدم التقدير ..

حتى اذا قضوا .. شقى بيئاتهم تـدم على عقوقهم لهم ولات حين مندم ... وهذا هو الشاعر الانجليزى « كيتس » يبلغ به التبرم من بيئته التى أضناه جحودها الى أن يوصى صديقه « سيفرن » قبل وفاته بأيام ثلاث قائلا له .

« فلتكتب على قبرى .. هنـا ينام من نقش اسـمه على الماء » تلك الكلمه التى يحس فيها بتلاشى كل آثاره شاعر عبقرى شهد له بعض كبـار النقاد فى عصره بعظمة ممتازه فى فنه الشعرى رغم وفاته فى السـادسـة والعشرين من عمره .

وكلنا يشعر بحياة الضنك والبؤس التى كابدها حافظ ابراهيم شاعر النيل والجحود الذى قوبل به حيا وميتا حتى نفث شيئا من آلامه متبرما بشعره .. بحياته وبيئته فقال :

---

(١) أغانى الكوخ ص ٢٢٥

حطمت البـراع فـلا تعجبى وعفت البيـان فـلا تعتبى

فما أنت يامصـر دار الأديب ولا أنت بالبلد الطيب (١) ٠

٠٠٠ وللشـاعر جس نقدى اسـتطاع به أن يمزج بين الأحاسيس فى شعره وأن يدرك ذلك أيضاً فى الشـعر العربى القديم وهـو ما يطلق عليه « تراسل الحواس » فى الآداب الأجنبية ٠

فالعين تسمع والأذن ترى ٠٠ والنور يشم والعبير يتذوق ٠

● والشاعر بهذا المنظور النقدى يفصح عن وعيـه الكـامل بالتراث فالتراث العربى والاسلامى لم يفتقد هذه الحساسية الفنية التى تمثل الرمزية بؤرة وجودها ٠

« ومعجم الأدب الصوفى يمثل لبكـارة اللغوية ، ويعد منبعـا للمذهب الرمزى ٠ حيث لجأ الصوفيون الى الغرابة والتخيل واللامعقولية ٠ وأحدثوا علاقات جديدة بين الألفاظ ، وسـبقوا المذهب الرمزى فى أوربـا ، ومن أخص خصائص هذا المذهب « تراسل الحواس » الذى سرى فى نسيج أشعار رامبو ، وبودلير ، ومالارميه »

يقول ابن الفارض فى « تائيته الكبرى »

وكلى لسـان ناظر مسمع يـد لنطق وادراك وسـمع وبطشة

فعينى ناجت واللسـان مشاهد وينطق منى السمع واليد أصغت

وسمعتى عين تجتلى كل مابدا وعينى سمع انشد القوم تنصت

ومنى عن أيـد لسـانى يد كما يدى لى لسان فى خطابى وخطبتى

كذاك يدى عين ترى كل مابدا وعينى يد مبسوطة عند بسطتى

وسمعى لسان فى مخاطبتى كـذا لسانى فى أصغائه سمع منصت

---

(١) أغانى الكوخ ص ٢٢٤

● وهذه التعبيرات الرمزية أكثر منها الصوفيون ليعبروا عن فلسفتهم فى الحياة ، وهى ايمانهم بوحدة الوجود ، فالوجود من منبع واحد وتحكمه قوة واحدة » (١)

والأصوات والألوان والعطوز تتجاوب كما يقول بودلير · ويتحدث الشاعر عن العلاقة بين الشعراء والطبيعة وانصهارهم فى بوتقتها · فيقول ·

« والطبيعة فى كل زمان ومكان تأسر مشاعر الانسان وتملك عواطفه فيندمج فيها بآلامه وآماله ·· وكل انسان فى الحياة شاعر بالجاذبية الخفية بينه وبينها الى حد ما ·

غير أن الاحساس بالرابطة القوية بين النفس البشرية وبين الطبيعة يتفاوت عند الناس حسب استعدادهم وقوة ادراكهم الفطرية ·· فاحساس الرجل العادى الذى لم يوهب شعورا كاملا يستطيع أن يترجم بوساطته عن خفايا التجارب بينه وبين مايشاهد من صورها المتباينة يختلف كل الاختلاف بل ينقص نقصا كبيرا يصل الى حد التلاشى بالنسبة الى احساس الشاعر الذى وهب قوة عليا تمكنه من تصوير شعوره ازاء الطبيعة والترجمة عما يخالج نفسه من اثر الاندماج فيها فهو يحس بكل ما تتحمله الكلمة من معان حتى لقد تمتزج هذه الاحساسات فى نفسه فيترجم عما يراه بعينه بسمعه وعما يسمعه بأذنه بنظره وهذا ما يعبر عنه بمزج الأحاسيس ويظنه بعضهم لونا جديدا لا عهد للشعر العربى بمثله وانه وليد الآداب الأجنبية أو الابتداع الجديد فى الشعر ولكن المطلع على أسرار الشعر العربى يرى سبق العرب به · ولابن حمديس مثل ذلك حين يصف الخمر قائلا

حمراء تشرب بالأنوف سلافها   لطفا وبالأسماع والأحداق

---

(١) انظر كتاب « الأدب الصوفى : اتجاهاته وخصائصه » د · صابر عبد الدايم ص ١٤٥

فأنت ترى أن الشاعر قد اندمج شعوره اندماجا كليا فيما وقع عليه بصره وأحس احساسا عاما بعيد الأثر اعمق وأدق من احساس النفس العادية (١) .

● وكذلك نلمح اصداء خافتة تسرى الينا عبر شعاب الثقافة ومجاهلها تنبىء عن ثقافة أجنبية للشاعر ربما تكون من الكتب المترجمة أو اطلاعه على على الكتب الأجنبية نفسها .. وان كان هو كما قلت سابقا ينكر ذلك ..

نرى ذلك حين يتحدث عن هيام شعراء الغرب بالطبيعة وتخليدهم لها بالآثار الرائعة التى توحى بسيطرة الطبيعة على كل نفس شاعرة شفافة .. و « بيرس شلر » الشاعر الانجليزى .. بلغ حبه للطبيعة والتلهف عليها درجة العشق السامى حتى انه ناداها .. فى ظمأ محرق « تعالى بعيدا عن الناس والمهد . الى الغابة الوحشية والوهاد البرية الصامتة حيث لاتكبت الروح موسيقاها مخافة أن لاتجد لها صدى فى النفوس الأخرى .

● هنا فن الطبيعة الخالد .. يؤلف توافقه وانسجامه بين القلوب ، ويتحدث محمود حسن اسماعيل عن الشاعر الانجليزى لبيرن .. ويذكر حبه للطبيعة ، حديثة ونداءه للبحيرة حيث يناجيها ..

« أيتها البحيرة الراقدة فى ظلال السكون لقد لجأت اليك وان فى مياهك الهادئة لراحة وسلوانا لنفسى »

ولا شك انه عندما يتحدث الشاعر عن شاعر آخر حديث الحب والانصاف لابد أنه يكون قد تأثر به مما يؤكد رأينا فى ان محمود حسن اسماعيل قد تأثر بهؤلاء الشعراء .. ببودلير ، وبيرس شلى ، ولبيرن .. وغيرهم .. مما كان له أثره فى أعمال الشاعر التى اصدرها بعد ذلك .. كذلك نستطيع ان نقول ان الشاعر تأثر فى وصف الطبيعة بابن الرومى وابن خفاجه

---

(١) اغانى الكوخ ص ٢٢٦

الأندلسى لأنه يثنى على ابن الرومى ويمدح فيه إنه استطاع ان يخلص بشاعريته العظيمه الى حد بعيد من التوشية اللفظية التى بدأت تنمو فى الشعر العربى من عصر الأندلس ويذكر ابن خفاجه ··· لكنه يعيب عليه الترصيع البيانى الذى غمر شعره « فكتب روح الطبيعة خلاله (١) » ولولا هذا الترصيع لأصبح فن ابن خفاجة قمة فى وصف الطبيعة والاندماج فيها اندماجا كليا ··

ومن الملامح الأصيلة البارزه التى اثرت فى فن محمود حسن اسماعيل ظاهرة الحب فى شعره وحياته والحب يصل عنده الى درجة التصوف والذوبان والشمول وكأن الانسانية كلها عذراء يطوف حول كعبتها وقصيدته فى المحراب تمثل هذه النزعة أصدق تمثيل ·· ويقول منها

أبدا أجن اذا تحدر طيفها	من عرشه السامى الى محرابى
وأهم أرشف من منابع حسنها	فيض الهوى المترقرق المنساب
خمرا من الألق السنى تدفقت	لامن جنى التفاح والأعناب
من ثغرك الذاكى رشفت قصائدى	ومن اللحاظ قبست ومض شهاب
قدست فيك الشرق فتنة منظر	وجلال ايمان وقدس جناب
ما النيل ؟ ماماء الحياة به ؟ اذا	أجرى الهوى من فيك شهد رضاب
اولاك ما أحببت مصر ولارنا	طرفى لروعة نيلها السكاب
ولما هتفت لريفها بملا حن	تصمت هزار الروضة المطراب
يابؤس روحى ان صغيت لعاذل	حسب الجمال مراتع الأوشاب
فالحسن ان لم يسب مهجة شاعر	أولى فى الكون بطن تراب (٢)

● ويرى أن هناك علاقة وطيدة بين الطبيعة والحب ··· وهو يرى ان الحب له فضل اكبر على الطبيعة « فى كشف المخبوء من جمالها ورصد

---

(١) أغانى الكوخ ص ٢٣٠

(٢) أغانى الكوخ ص ٣٧

احساسه لجميع دقائقها وصهر المشاعر الوجدانية التى يلهبها غرام الشاعر فى نفسه ومزجها بكل ما يحيط بها من صور الطبيعة المختلفة ، ويستشـهد الشاعر بقصيدة البحيرة « للامارتين » تاييدا لهذه العلاقة الوثيقة بين الطبيعة والحب ٠٠ وهذه القصيدة نظمها لامرتين « الشاعر الفرنسى مناجيا بها بحيرة اكس » التى شهدت شطرا هانئا من غرامه مع حبيبته « جوليا »

ويذكر الدكتور محمد مندور فى كتابه فـن الشـعر أن الحبيبة اسمهـا « الفير » ولا يهمنا الاسم بقدر ما تهمنا القصيدة « فهى تعبر عن ذات الشاعر لا وصف للبحيرة أو محاكاة لصورتها الشعرية التى انعكست فى نفسة فكلها تعبر عن ذكريات الشاعر مع حبيبته ولواعجه على موتها المبكر وتأملاته فى الحياة والموت يقول منها

انظل هكذا منساقين أبدا الى شواطىء جديده
محمولين دائما وسط الليل الأبدى بغير رجعه ؟
أو ما نستطيع أن نلقى بمرساتنا يوما ٠٠٠
٠٠ على شاطىء الزمن اللجى ؟

أيتها البحيرة
لم يكد العام يتم دورته
ومع ذلك انظرى ـ ها أنا وحدى ٠٠٠
جالسا فوق هذه الصخرة التى رأيتها تجلس عليها
والى جوار أمواجك العزيزة التى كانت ستعود الى رؤيتها
هكذا كنت تهدرين تحت هذه الصخور العميقه
وهكذا كنت تنكسرين على جوانبها المزقه
وهكذا كانت الرياح تلقى بزبد أمواجك فوق قدميها المعبودتين (١) ٠

والمرأة عند محمود حسن اسماعيل ٠٠ نبع للالهام ووحى للفن وربـة

---

(١) فن الشعر د / محمد مندور ص ٤٨

للسحر قبل أن تكون سريرا للمتعة وفراشا للذة ··· هى نظرة سامية تحلق فى سماء الالهام الشعرى وترتفع عن ابتذال العواطف الرخيصة ·· والمشاعر المبتذلة والشاعر الدقيق الاحساس مثل محمود حسن اسماعيل كما يقول عن نفسه يستطيع « أن يستلهم المرأة فنونا شتى من الشعر الغزلى جديدة فى معانيها وأخيلتها عميقة التصوير · فياضة النوازع الوجدانية السامية التى يتمنع خلقها على الاحساس العادى (١) ·

ونبض الأنثى نسمعه كثيرا عند قراءتنا لديوان أغانى الكوخ ··· مما يعطينا الأثر القوى الذى خلفته حواء فى نفس الشاعر عند لحظات المخاض التى أعقبتها لحظة الميلاد للأغانى الخالدة ··· وما أروع قصائده ·

(الفستان الأحمر ، أنا ظمآن ، فى المحراب ، خمر الأنوثة) (٢)

وهو فى قصيدته ·· انا ظمآن ·· غصن بعيد عن النبع ·· أوراقه ترمىء بالحنين الى قطرات تتنسم بها اريج الحياة ·

أنا ظمآن فهاتى	خمر عينيك الشهيه
انهلينى سحرها السـ	مى وروى شفتيه
واسكبى روحك فى رو	حى بكأس الأبديه
قبل ان تغرب شمس	بين أطباق المنيه
خمرة من هالة النو	ر بعينيك رويه
تمسح الآلام من دنـ	يا بآلامى ثريه
وتنسينى ضنى عمـ	ى وأيامى الشقيه (٢)

● ومن الملامح البارزه فى حياة الشاعر والتى كان لها الأثر الفعال فى شعره روح الثورة والقلق والتمرد على كل ثابت ·· رتيب جامد منغلق فهو

---

١) أغانى الكوخ ص ٢٣٥

(٢) أغانى الكوخ ص ٢٣٧ ، ٥٧ ، ١٢٩ ، ١٩٧

(٣) أغانى الكوخ ص ١٩٧

دائما يحارب الرق والسلاسل والقيود ... ويحن الى النور ... والشمس والفضاء والحرية ... فهو دائما ثائر على الأسوار .. والحواجز . وتكاد تكون هذه الظاهرة هى قضية حياته . ظاهرة . البحث عن الخلاص من القيد . ومعانقه الحرية .. وهو يخاطب روح الشرق العليلة فى مقدمة ديوانه أين المفر مشعلا ناره فى قيود الحياة من حوله ... صارخا

● فيا أيتها الأجنحة الضاربة فى ضباب الشرق
شقى حجاب السر المختم على جراح الوجود
والطمى ظلام الحياة الشقية بعويلك الجبار علها
تهتك قناع الرق عن وجهها الجاثى على رياء الزمن
ومرى بترنيمك السماوى على أسوار هذه الأرض المحرومة من النور
لعل سحرها يصحو من غطيطه الطويل على دق هذه المزامير
ويقتات اشراقة من هذا الغناء الجديد
واجرفى بنارك الحرة الواثبة هشيم الواقفين بتوابيت
الماضى فى طريقك الطويل
وأيقظى الغاب والرعيان (١)

---

(١) أين المفر ؟ المقدمة ص ٤

الفصل الثانى

عصر الشاعر
« ظواهر سياسية وأدبيه »

الشاعر نتاج عصره وبمقدار مايؤثر الشاعر فى ذلك العصر - بمقدار ما يكون فنه الجنين الذى تمخضت عنه ظروف العصر ·· ورأى النور على يدى أحداثه وشب فى صراعاته حتى استوى عوده وأصبح هو الآخر ظاهرة من الظواهر الثابتة الراسخة التى تؤثر فيما بعدها ، وليس كل شاعر باقيا ولا كل فن خالد · فكثيرا ما جرفت رياح الزمن أعشاب الفن الشيطانية ولكن لم تقو على زحزحة الأشجار السامقة الضاربة بجذورها فى الأعماق الشماء والمعانقه بفروعها وثمارها جبين السماء

وقد عاصر شاعرنا أحداثا كثيرة متباينة ·· وكان لها أكبر الأثر فى فنه فهو قد ولد وترعرع ونضجت شاعريته فى النصف الأول من هذا القرن ·

وقد عاصر ··· عدة ظواهر سياسية وكذلك عدة ظواهر أدبية ·· فأما الظواهر السياسية فهى

أولا ·· ثورة ١٩١٩ · التى اشتعلت فى أعقاب الحرب العالمية الكبرى وقتها كان طفلا ·· يشهد الأحداث ويتلقاها باحساس فطرى موشى بالبراءة · لكنها كانت تختزن فى بؤرة اللاشعور عنده ·

ثانيا ·· فترة مابين الحربين ··

● بنضالها الوطنى والاجتماعى المرير القاسى

ثالثا ... الحرب العالمية الثانية . وفى هذه الفترة كان صيت الشاعر قد ذاع وانتشر وأصدر ديوانين من أروع دواوينه وهما أغانى الكوخ ، هكذا أغنى ..

رابعا .. عام ١٩٤٨ والنكبة الكبرى وبالطبع شدته هذه الأحـــداث ووخزته عصاها الملتهبه فنظم القصائد الوطنية الكثيرة وكان قد أصدر ديوان الملك ،وأين المفر .. قبل ذلك (١) .

خامسا .. ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ التى حققت أمل الشاعر وهو يدق باب الكوخ بيد مضـرجة ، وقلب مرتعش النبض ، قلقـــا على غده ، وكذلك أحـــداث الثورة والوحدة والاعتداء الثلاثى والتحول الاشـــتراكى فى مصر والهمته هذه الأحداث ديوان « نار وأصفاد » الذى صدر سنة ١٩٥٩ وديوان قاب قوسين ١٩٦٤ وديوان « لابد سنة ١٩٦٦ » .

سادسا .. النكسة المرة سنة ١٩٦٧ ومرارة الجرح الذى تعمق فى داخلنا ونفوسنا ونزع بالصديد حتى كادت أن تتقيح منه مشاعرنا وكان لذلك صداه فى نفس الشاعر فأصدر ديوان صلاة ورفض .

ونهر الحقيقة وديوان : التائهون ، وديوان « هدير البرزخ » وكلها تحمل وهج الصدق وروح التطور فى كل الاتجاهات عند الشاعر

سابعا .. حرب العاشر من رمضان وتمزيق القيود ورفع الكابوس والذل عن صدورنا وفتح النوافذ الجديدة وكان لابد من الغناء والالهام تزيده نشـــوة النصر تدفقا وأصالة وشاعريه ..

● .. وبجانب هذه الظواهر . كانت هناك ظواهر أخرى هى

---

(١) انظر ديوان : هكذا أغنى ظن ٩٩ ـ ٢٠٩ « من نار المعترك » وانظر ديوان « أين المفر » وانظر ديوان « قاب قوسين »

الظـواهر الأدبيـــة

تمثلت الظواهر الأدبية التى عاصرها الشاعر فى المدارس الآتية

أولا : المدرسة التقليدية

وزعيم هذه المدرسة أمير الشعراء أحمد شوقى وكان من فحولها شاعر النيل حافظ ابراهيم وشاعر البداوة محمد عبد المطلب وشاعر رشيد على الجارم والشاعر محمود الأسمر ٠

ومحمود عماد وعلى الجندى وعزيز اباظه ٠ ويطلق الدكتور احمد هيكل على هذه المدرسة لقب « الاتجاه المحافظ البيانى » ويقول انه من الناحيـــة الموضوعية لم يضف أى كسب جديد الى المجالات التى كان يعبر عنها من قبل كما أنه من الناحية الفنية لم يصب أى تطور فى أسلوبه الذى عرف به (١) ٠

ويعد البارودى حامل لواء النهضة الشعرية فى العصر الحديث وقـــد احتذى حذوه شوقى وحافظ ومن ساروا على شاكلتهما وقد نوه بدور البارودى الريادى أدباء جيله ومن تلاهم من الأجيال اللاحقه من مختلف الاتجاهـات الأدبية ٠

فخليل مطران رائد الاتجاه التجديدى الرومانسى فى العصر الحــديث يقول عنه « نسيج وحده ، ونادرة الزمان ، على أن أحسن ما فى شعره الصياغة بها سما الى منتهى الاجادة ، وبرز على المتقدمين فضلا عن المتأخرين » ٠

● ويقول شكيب أرسلان « أشعر الشعراء عندى هو » محمود سامى البارودى ثم شوقى ثم حافظ ، وهؤلاء الثلاثة فى هذا العصر هم السابقون فى حلبة الشعر ، الفائقون فى اجادته ٠ بل هم أشبه بالثلاثة الماضين « أبى تمام الشعر ، ومتنبيه ، وأبى عبادته ٠ بل هم اليوم لات الشعر وعزاه ومناته ، والذى رجحت لهم على غيره بيناته » ٠

● ويقول محمد حسن هيكل « فكان شعره فى عصره جديدا كله ، كانت

محاكاته للأقدمين جديده ، وكانت معارضته اياهم جديده ، وكانت رياضته القول على مثالهم جديدة » •

● ويقول أودونيس « على أحمد سعيد »

لاشك فى أن لشعر البارودى دورا احيائيا بمعنى أنه اعادة متقنة للماضى، وقد يكون لهذا الاحياء أهمية وطنية وسياسية من حيث تعزيز الثقة بالنفس ، ودفعها الى الثبات فى وجه العدو أو النضال ضده » •

● ويشيد أدونيس بمضمون الشعر عند البارودى • لكنه لايعد المضمون كافيا لنضوج الشاعرية • لأن الشعر عنده يقوم بخصوصيته الفنية أى من حيث هو طريقة خاصة فى التعبير تتميز عن النثر الفكرى •

● ومهما تصارعت الآراء حول فن البارودى وفن شوقى وحافظ فقد أدوا دورهم الحضارى والفنى وأرسوا دعائم البنيان الأدبى الحديث • والبارودى يحدد منهجه ومنهج مدرسة الاحياء والبعث فيقول ان خير الشعر « ما ائتلفت ألفاظه ، وائتلفت معانيه ، وكان قريب المأخذ ، بعيد المرمى ، وسيلما من وصمة التكلف ، بريئا من عشوة التعسف ، غنيا عن مراجعة الفكرة ، فهذه صفة الشعر الجيد » (١) •

ثانيا : مدرسة الديوان ٥٠

وقادت مدرسة الديوان الدعوة الى شعر الوجدان وزعماؤها العقاد والمازنى وعبد الرحمن شكرى وتميز هذه المدرسة بروح نقدية مستقلة حيث نظروا الى

● راجع الثابت والمتحول لأدونيس ، دار العودة : بيروت ١٩٧٨ م
● محمود سامى البارودى : شاعر النهضه د • على الحديدى ـ الانجلو ١٩٦٩
● الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث • أنيس المقدسى دار العلم للملايين بيروت ط ٤ ١٩٦٧م

الشعر نظرة نفسية بحيث نعثر على مفتاح شخصية الشاعر من شعره · واتفق زعماؤها الثلاثة على الدعوة الى شعر الوجدان وان اختلفوا بعد ذلك فى الاتجاه وفقا لمزاج كل منهم الخاص · فذهب عبد الرحمن شكرى بالتأمل الوجدانى والاستبطان الذاتى بينما صدر المازنى فى مستهل شبابه عن روح رومانسية شاكية متبرمة بالحياه ســاخطة عليها وأما العقـــاد فقد قال الشـــعر فى الاتجاهات كافة فله شعر الوجدان وله الشعر الفلسفى بل وله أيضا شـــعر المناسبات (١) ·

وهذه الاتجاه عند مدرسة الديوان « يعد ثورة كاملة على مفهوم الشعر عند شوقى وحافظ والبارودى ·

وأذكى لهيب هذه الثورة اطلاع رواد هذا الاتجاه على الآداب الأجنبية وبخاصة « الأدب الانجليزى »

فالعقاد يرى « أن دعاة هذه المدرسة كانوا وليدى مدرسة لاشبه بينها وبين مـا سبقها فى تـاريخ الأدب العربى الحديث فهى مدرســة أوغلت فى القراءة الانجليزية ، ولم تقصر قرءاتها على أطراف من الأدب الفرنسى ·· ، وهى على ايغالها فى قراءة الأدباء والشعراء الانجليز لم تنس الألمان والطليان والروس والاسبان واليونان واللاتين الأقدمين » ·

● ويؤكد العقاد تأثر هذه المدرسة بالناقد الانجليزى « هازلت » ويقول مؤكدا نزعة الاستقلال ورافضا تهمة التقليد المحضة « فكان الأدباء المصريون مبتدعين فى الاعجاب به ، لامقلدين ولا مسوقين (٢) » ·

● ومدرسة الديوان « نقلت الى الساحة الأدبية المصرية والعربية معالم مدرســة « النبوءة والمجـــاز » التى تتألق بين نجومهـا أسـماء كـارليل ،

---

(١) فن الشعر د · محمد مندور ·

(٢) انظر « شعراء مصر وبيئاتهم للعقاد · ١٩١ ــ ١٩٣

« عباس ناقدا · عبد الحى دياب ص ١٣٦ ــ ١٣٧

وجون ستيورات ميل ، وشيلى ، وبيرون ، ووردزورث وكذلك المدرســـة التى جمعت بين الواقعية والمجازية وهى مدرسة بروتنج وتنيسون والمرسون ، ولونجفلو وبو ، وويتمان ، وهاروى وغيرهم •

● وهذا النبض الجديد كان زادا حيا وخصتاً لمحمود حسن اسماعيل أن يعايشة وتسرى اليه منه الايحاءات الكثيرة ·· ولكنه كان سريان التشابه فى المنحى واتجاه العصر ولم يكن تشابه التقليد والغناء • كما يصور العقاد تأثره بمدرسة الشعر لانجليزى •

ثالثا ·· المدرسة المهجرية

ونشات معاصرة لمدرسة الديوان

● فبينما كانت جماعة الديوان تدعو الى التجديد فى المشرق العربى كان اخوانهم فى المهاجر الأمريكية وبخاصة الشمالية منها يدعون دعوة مماثلة حتى رأينا العقاد وميخائيل نعيمه يتبادلان التحية والتأييد فى كتاب « الغربال » الذى ألفه نعيمه وقدم له العقاد » (٣) •

ومن زعماء هذه المدرسة ايليا ابو ماضى وجبران خليل جبران • وميخائيل نعيمه وفمزى المعلوف ·· وبشارة الخورى

وأوضح ميخائيل نعيمه فى كتابه الغربال بعض أهداف هذه المدرســـة وتتخلص فى حاجتهم الى الافصاح عن كل مأينتاب النفس من العوامل الملحة من يأس ورجاء وفوفسل •

كذلك ظمأ ارواحهم الى الحقيقة جعلهم يبحثون عن النور الذى يقودهم

---

(١) تطور الأدب الحديث فى مصر ص ٢٦٦

(٢) فن الشعر د / مندور ص ١٤٤

(٣) المرجع نفسه ص ١٤١

اليا وحسوا بعطشهم الذى لاينطفى الى الجمال فانطلقوا يبحثون عنه وحينما تحسسوا فى الروح ميلا عجيبا الى الأصوات والألحان ادركوا حاجتهم الى الموسيقى حتى يسدوا الفجوة المخيفة فى أرواحهم ٠

رابعا ٠٠ « مدرسة ابولو »

وتأسست هذه الجماعة سنة ١٩٣٢ متأثرة بروح خليل مطران الذى أخذ يجود فى صمت وأصدرت مجلتها الشعرية الخالدة التى ظلت تصدر حتى آخر سنة ١٩٣٤ وكان شاعرنا محمود حسن اسماعيل من اعضاء هذه الجماعة ونشر كثيرا من قصائده فى مجلتها ومن شعرائها ٠ احمد زكى ابو شادى وعلى محمود طه والهمشرى وابراهيم ناجى وحسن كامل الصيرفى وغيرهم ٠

خامسا ٠٠

مدرسة الوجدان الجماعى « شعر التفعيلة »

٠٠ ومايزال الشاعر يرقب الأحداث والمذاهب بحس داع ويرصد كل جديد ويسير الزمن بخطوات مسرعة فاذا بالمد الثورى يعلو موجه واذا بثورتنا الوطنية الكبرى تجمع فى سنة ١٩٥٢ بين الثورة السياسية والثورة الاجتماعية فيأخذ الوجدان الفردى فى التقهقر ٠٠ شيئا فشيئا امام الوجدان الجماعى الذى نسميه حينا بالوجدان الواقعى وحينا آخر بالوجدان الاشتراكى فيظهر الى جوار شعر الوجدان الفردى الخالص شعر الوجدان الجماعى الذى أخذ يجدد فى صورة القصيدة العربية ومضمونها فيتحرر من وحدة البيت ليجعل من القصيدة وحدة متكاملة ٠

● ومن رواد شعر التفعيلة ٠ صلاح عبد الصبور ، وأحمد عبد المعطى حجازى وملك عبد العزيز ، ومحمد ابراهيم ابو سنة ، فى مصر ٠

وفى العراق ٠ بدر شاكر السياب ، وعبد الوهاب البياتى ، وفى لبنان الشاعر « على احمد سعيد « أدونيس » ٠

ويقوم هذا النوع من الشعر على عدة أسس

(أ) عدم التمسك بنظام البيت ذى الشطرين ، فهو يبنى على نظام التفعيلة ، ويمكن أن يتكون البيت من تفعيلة أو اثنتين أو ثلاث ، والبيت يكون أربعة أو أقل أو أكثر اى لاتتساوى الأبيات فى عددا التفعيلات • ويمكن أن يستغنى عن البيت بما يسمى « السطر الشعرى » أو « الجملة الشعرية »

(ب) الرؤية الفنية للواقع والبعد عن الأغراض المبشرة ، والمجتمع فى الشعر الجديد هو نقطة انطلاق الشاعر • منه يبدأ واليه يعود ، وقد يعبر عنه ذاته لكنه لا ينفصل عن الفترة التى يعايشها ويظل على وعى تام بما يحدث فى بنية المجتمع من تغيرات اجتماعيه ، وسياسية ، واقتصادية ، ونفسية •

(جـ) البعد عن الخيال التقليدى • والتعبير بلغة عصرية عن طريق احداث علاقات جديدة بين الكلمات • ولذلك يقول بعض شعراء التفعيلة « ان الشعر مغامرة لغويه » •

(د) الاتكاء على الغرابة والغموض فى كثير من المواقف الى درجة تنأى بالشعر عن اقتحام المشاعر ، والتاثير الفعال ، وتمثل التجربة بصورة فنية صادقة •

● وأرى أن الحداثة مقولة فنية وليست مقولة زمنية ، فقد توجد قصيدة جاهليةوهى من انضج القصائد رؤية واداء ، وقد توجد قصيدة من شعر « التفعيله » وهى لاتعبر عن روح العصر برؤية واعية ناضجة •

● والذى حققه الشعر الحديث هو أنه استطاع أن يحرك الجمود الذى كاد أن يحجر الشاعر والعقول ، واستطاع أن يلقى فى قلوب الشعراء حمرة الابداع ، وتفرد الرؤيا ، وشجاعة النظر فى التراث واستيحاء عوالمه وأحداثه كلها فى وحدة موسيقية متصلة متماسكة •

ويلجأ فى احيان كثيرة الى الأقصوصة الموضوعية والدراما القصيرة ليتخذ

منها موضوعات لقصائده » (١)

● هذه الظواهر السياسية والأدبية التى عاصرها الشاعر لابد أنه تأثر بها وراقبها بعين الفنان وحس الشاعر واستطاع أن يملأ جعبته من كل بضائعها ...

● فالفترة التى عاصرها الشاعر أخصب فترات مصر كفاحا ونضالا فقد انفتحت مصر على الثقافات الخارجية وتأسست الجامعة المصرية · وفى هذا مايدل على أن مصر انتقلت فى حياتها العقلية نقله كبيرة فهى لاتدرس العلم والأدب العربى لانشاء جيش أو طبقة من موظفى الدواوين أو معلمى اللغات فى المدارس وانما تدريسها من أجل أنفسهما فلا غاية وراءهما سوى البحث الحر والمتعة بهذا البحث متعة خالصة متعة تعلو على الغايات الحكومية واليومية التافهة ··

● واستجابت مصر · واستجاب شباب مصر لهذا الطموح الكبير الذى راود جلة المصرين ممن فكروا فى تأسيس الجامعة أمثال لطفى السيد ، مصطفى كامل · سعد زغلول · قاسم أمين ولم تلبث الجامعة أن أرسلت بطلابها الى أوروبا لاستكمال البحث والدرس فدخلوا ميادين العلوم والآداب هناك بقوة وروح عظيمة » (٢) ·

وقد حققت الجامعة كل ماكان يطلب منها من بحوث علمية وأدبية ممتازة وتخرج منها جيل اتم مع الأساتذة الرائدين هذه الدورة الرائعة فى تاريخ علمنا وأدبنا فترجم الغربيون ما أبدعه الأدباء والكتاب العرب وترجمنا نحن ماأحدثوهم من روائع فى الحقل الأدبى والعلمى ...

وكل ذلك معناه التحام التيار الغربى بالتيار العربى داخل بلدنا فى وحدة

---

(١) الأدب العربى المعاصر فى مصر ص ٢٦

وقوة لم يسبق لها مثيل ولا نظر فى تاريخنا الحديث (١) ٠

● واتسمت البيئة الأدبية التى فتح الشاعر عينيه عليها بالصراع بين القديم والحديث ٠٠ وعكس أدب تلك الفترة طابعها العلم ومثل بخاصة أهم معالمها النفسية والثقافيه والفكرية ٠

فهو أولا ٠٠ قد سجل الشعور العام باستقلال الشخصية المصرية

وهو ثانيا ٠٠٠ قد صور الاحساس بالحرية الفردية

وهو ثالثا ٠٠٠ قد جسم روح الثورة المتطلعة الى التغيير

وهو رابعا ٠٠٠ قد مثل فى بعض جوانبه هذا التطرف فى الشعور بالحرية والاستقلال والثورة عند البعض بما وصل الى حد الذاتية المنعزلة ٠ أو الفردية المتقوقعة أحيانا ٠

وبلغ درجة التمرد أو الهدم فى بعض الأحايين ٠

والأدب آخر الأمر قد صور هذا الصراع الذى سببه اصطدام التيار الفكرى الغربى بالاتجاه الفكرى العربى الاسلامى ٠

هذا الصراع قد تعددت ميادينه واشتعل أواره حتى خرج كثيرا عن الموضوعية وتقاليد المعارك الأدبية المهذبة » (٢)

● ورغم ما كان فى هذا الصراع من سلبيات لكنه أثرى الفن بروائع خالدة وصهر العقول ٠٠ فاذا بنا فى السنوات الأخيرة نمضى قدما فى مختلف مناحى حياتنا السياسية والعقلية ٠ وكان من مظاهر ذلك تنظيم حياتنا العلمية والأدبية عن طريق الجامعات التى أخذ علماؤنا وأدباؤنا منها يسيغون كل ماهو غربى فى فهم شديد للمتاع الفكرى ٠ وحتى الترجمت نظمت فقامت عليها جمعيات

---

(١) الأدب العربى المعاصر : د ٠ شوقى ضيف ص ٢٦ ٠

(٢) تطور الأدب الحديث فىمصر د ٠ أحمد هيكل ص ٢٥٦

مختلفة كلجنة التاليف والنشر وقامت عليها الحكومة ورعتها خير رعـــاية ولم يترجم فقط من الفرنسية أو الانجليزية بــل ترجمنا بعض عيــون الأدب من الألمانية والايطالية والروسية .

وطبيعى أن يتوج هذا المجهود بالثمرة المنتظرة وهى اقامة أدب مصرى انسانى أقامته ســواعد شــوقى وشــكرى والعقــاد والمازنى ولطفى الســيد وطه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم ممن أحدثوا لنا هذا الأدب فاذا هو لايقف عند حدود بيئتنا المصرية وتراثنا القديم ولا عند البيئة الغربية وتراثهـا القديم والحديث بل تتسع هذه البيئة فتصبح بيئة انسانية كبرى تشيع منها الغايات السامية للأدب الحقيقى وهى غايات الحق والخير والجمال (١) .

« ومحمود حسن اسماعيل » الذى عاصر هذه الأحداث والمذاهب الأدبية المتعددة .. الكلاســيكية والذهنية والمهجرية والرومانســية والواقعية يقف ثائرا .. أبدا .. ظامئا أبدا مؤكدا شاعريته الفذة ـ الى حد أن أطلق عليه الدكتور مندور « وحش الشعر » يهاجم المتصارعين وبخاصة المستغربين منهم اذا صح هذا التعبير ويقدم فى مقدمة ديوانه « أين المفر » تسجيلا انطباعيا عن البيئة الأدبية وظروفها التى عاصرها ويهاجم أمير الشعراء ثم واحـــدا من أربعة .. العقاد .. أو خليل مطران أو احمد زكى ابو شادى أو عزيز أباظه .

وهذه المقدمة .. وخزة أدبية فى ضمير الحقل الأدبى امتدادا من شوقى الى اليوم ... فالمقدمة كتبها الشاعر فى الطبعة الثانية للديوان عام ١٩٦٨ دفعته الى كتابتها روحه الثائرة القلقة المتمردة فهو يعلن رأيه فى امارة شوقى للشعر اعلانا صريحا صادقا بعد أن يعرض لمسيرة الشعر المتعثرة والتائهة بين التقليد .. والتجديد . وتعسف المحافظين . وتهور المجددين . ولكن المحافظين كان نفوذهم أوسع فهم قد أقاموا من أنفسهم سدنة على الشعر . وتصدر هذه اللمة الضخمة .. رتل من الركبان والمحافظين يتوسطهم شاعر عيل البيـــان

---

(١) الأدب العربى المعاصر فى مصر د . شوقى ضيف ص ٢٩ .

قناص لما يرضى مزاج الحياة ، متماوج الصيح مع خواطر جيله وهمـوم قومه • فجرف صيته البقاع وطن بوقه فى شعاب الشرق وتزلقت شهرته على رقاب العصر • فأمروه صاغرين على الشعر • وحفوا خاشعين حـول قبابه الناغمة بالجرس وفخامة الايقاع والترنيم اللفظى الساحر وتأنق الزى البيانى وتجنيد التجارب وأزواد التاريخ لظاهرة الاحساس الشعرى وأمداد طاقتـه بما يخرجها من النفس فى موكب حماس شديد حاشد وتطويع الفطرة لشـهوة الآفاق التى تحدجها الجماهير بالترقب والاصغاء » (١)

ويبين محمود حسن اسماعيل شعور الناس بعد امارة شوقى للشـعر وذلك أنهم فقدوا الرجاء فى أن تجود الحياة بمثله قذفوا الطبيعة بالعقم وقالوا للشعر لن تقوم لك قائمة بعد أن دفنت صولجانك معك •

ثم بين كيف ضاق الناس بهذا الرق الأدبى الفادح وهاجم من حاول الأدباء أن يختاروه بعد ذلك أميرا للشعراء •• وأظنه ظنا مشوبا باليقين واحدا من اثنين العقاد •• أو احمد زكى ابو شادى •• وفى رأيى أن العقاد هو المقصود لأن الدكتور طه حسين عند تكريم العقاد بمناسبة فوز نشيده القومى قال له • انه جدير بامارة الشعر وهتف الشباب وقتها يحيا العقاد أمير الشعراء •• ووضعوا فى يمينه عصا المعلم وقالوا له :

● سلام الفاتحين • لقد كنت حامل اللواء وأستاذ الشعر والشعراء ورائد المجددين العاقل الحذر فى تطعيم الشعر العربى الجامد بلقاح الفن الأوروبى وترميم هياكله ومومياته بطرائق الأدب الحديث (٢)

ويثور محمود حسن اسماعيل على هذه البيئة الأدبية العميقة التى تنغلق على نفسها ويمور فى وجدانه عامل الغيرة وحب الوطن لأن الشعراء لاينقدون فى

---

(١) أين المفر ص ٢٣

(٢) أين المفر ص ٧

مشاكل مجتمعهم ويتبرأ من هذا ويصفه بالهزر لأنه نظم فى كل ما لاصلة له بالبيئة ··· وأدب بهذا الوجه لايكون الا أدبا مزيفا سلبيا ··· ويندد بالشعراء الذين لايستمدون الهامهم من واقعهم بينما الشعراء الأجانب تغنوا بمفاتن النيل وسحره ويذكر ثلاثة شعراء تباروا فى نظم أغنية عن النيل وهم « ليهنت و « كيتس » و « شلى » من شعراء الأدب الانجليزى فى القرن التاسع عشر وكتب كل منهم أغنية شبب فيها بالنيل ومجده وسحره الخالد حتى لقد قال « ليهنت » ·

« اننى أسمع وسط جزيره العذب ضحكات كليوباتره وأصداء سلطانها العظيم » ·· وينعى على الشعراء قصور فنهم فى هذه الناحية ويتهمهم بالجحود قائلا « فماذا كتب شعراء مصر أنفسهم عن النيل وسحر الطبيعة الفاتنة فى واديه الرحيب الذى يجتازه العابر فتملكه رهبة السكون المخيم على القصر كأنه يجتاز معبدا فسيحا من معابد الفراعين أو واحة فيحاء لم تقلق صحتها ضجة الوافدين (١) ·

ويقف محمود حسن اسماعيل كعادته · موقفا منفردا معلنا رأيه فى وضوح فى قضية القديم والحديث ناعيا على كل خيبة الأمل وتدم التردى فى هاوية التعصب فالمتعصبون للقديم فى قفصه العتيق المحكم بأقفاص ذهبية

والمتحمسون للجديد لبسوا ثيابه الحريرية المطرزة بدبابيس الغرور فحادوا عن الطريق ··· حيث « نظم الأولون منهم الشعر فكانوا حفدة حافظين لارث أسلافهم أذهلهم دوار التعصب وجرفتهم حماقة الألفة الذهنية والعصبية الثقافية فغضوا من كل شاعر لم يفهق غناؤه برغاء الجرس العربى الموروث وعثروا دروبه الحرة بالتشبخ فى الجدال مع كل قصيدة لم يلفع وجهها نقابه المقدس · وحاد نفرمنهم عن الطريق ولكن اليه ! فلم يستبيحوا نفائس

---

(١) أغانى الكوخ ص ٢٣٣

التركة العربية ولم يلصوا على الحرف العربى فيخالون الناس فى شـــعرهم بعرض حركاته وسكناته كما فعل أشياخهم من قبل · بل سلكوا السبيل نفسه فى تعقب الشعر الجديد الذى يهرهم ترامى الفضاء بينه وبين خوالجهم ففروا اليه يتلهفون على وميض من خياله ·· وتعبيره ومعناه · وعادوا بنظم مرتج يشوبه هوس الخيال المطروق واللحن المسروق ·

وتعذبت الألفاظ بحشرها فى غير أجسادها النفسية بلابث من الشعور ولا افضاء من الروح · فشطت بهم خيبة المصير وعاقبتهم الطبيعة بالاهمال والضياع وحاقت بهم لعنتها على التكرر والمتابعة والتقليد ولو فى طـــريق جديد ! !

والتوى بالآخرين المعاد الى أرضهم الأولى فى جوانح الشرق و ·· ويالها من أزليه بكر ·· تختزل أسرارها كل قادم على وجهه غبرة الشك لاذوابهـــا من هجير المعميات النافرة لطبائعها وجوهر انفعالاتها عن وجـودهم النفس فردتهم حيارى يتكفأون فى مسح غريبة وفن مضطرب القرائص هجين النسب مقطوع الوشائج بالدوافع النفسية الأولى ·· خالقة الفنون الحية الخالدة (١) »

● ويشخص شاعرنا حالة الشعر فى هذا الجو المضطرب حيث ضربت عليه أسداد خانقة من التشبث بالقديم واحتراف التجديد ··· وبقى الشعر · واقفا عاثرا ، مظلوم الجراح ···

ولكن لابد من يقظه جريئة حيث نفد صبر الطبيعة فى احتمال هـــذه الأغـــلال قرابة جيل من حياتها المتحفزه دائما للسـير الكاشـف المتحـــرر وقامت الثورة الفكرية ودوى نفير التجديد ··

● والشاعر ·· يقسم المجددين الذين تحملوا عبء هـــذه المسئولية التاريخية ·· الى ·· ستة أقسام ·· وكلها كـانت ان تطيش سهامها فى النهاية ولم تواصل الطريق الا فئة واحدة ··

---

(١) أين المفر المقدمة

● فهؤلاء المجدوون ·· منهم

أولا ·· من ارعش أيديهم الحذر فخدرت فى أول الطريق حيث لم تكن عندهم الشجاعة التى تبدد القلق والخوف ··

وثانيا ·· من اندفع مع حماسة البعث الجارف · فطاشت خطوتـــه وكان هذا الحكم حكما عادلا لأن الحماسة السطحية تغرق الفكر فى شبر مـاء ·· فكيف الحـال اذا كانت لجة لا تحصـر العين ضفتيها ·

وثالثاً ·· من ارهقه الكفاح ولم يقدر على مواصلة السير ·· فنكص على عقبيه يتجرع هوان الفشل ·· وحسرة الزوال ·

ورابعا ·· من حاول أن يعمـل فى الظـلال مختفيـا وراء الآخرين ·· ولكنه ·· تلاشى فى غبارها الكثيف ومات ·

وخامسا ·· من تأرجح بين خاطره وناظره ·· واكلته الحيرة فى ارضاء فنه ·· أم ارضاء زمنه ·· وكان فى النهاية لا شيء ·· حيث ترنح على سراب بلا رحيل ولا اياب ··

● وتلاشت كل النزعات السابقة ·· ولم تبق الا · ندرة هائمة على سفوح النغم العربى فى مختلف أصقاعه ·· انطلق جناحها فى وهج النـــور الخارج بقوة الايمان ، وهذه الندوة من روادها · شاعرنا محمود حسن اسماعيل وهو يوضح بؤرة ما تهدف اليه ·· وقضيتهم الكبرى التى يدافعون عنهـــا وهى ·· ازاحة اللثام عن اسرار الحياة حيث راحت نفوسهم ، تتموج أوتارها بحنين الأسرار الواغلة فى ظلام النفس الانسانية ، وأنين قيدها وعذابهـــا المصـفد العميق ·· ومـالت الى السـحر المحجب العاصى وراء أحزان الطبيعة وأفراحها واسوارها الأزلية العاتية ·· وشب غناؤها من نار الشقاء الانسانى

الذى ترزح تحت نيره جوانح الشرق المعذب المقهور » (١)

● هذه هى أهم المعالم السياسية والأدبية لعصر الشاعر الذى عاشه قلقا ثائرا ٠٠ متمردا ٠٠ لا يلقى بنفسه فى أحضان بيئة يكون فيها تابعا وانما هو ٠٠ ذو شخصية مستقلة تماما وان اتفق مع غيره فى كثير ، وهو يقول

مذهبى ٠٠ لامذهب اليوم سوى أصداء لحنى

* ولا شك أنه احتفظ برصيد ضخم من التجارب التى تمخض عنها صراع المذهب ٠٠ وتناقض المواقف ٠٠ ولم يجرفه أى تيار بل ظل واقفا شامخا ٠٠ وحين يصدر التاريخ حكمه المنصف سيذكر فى فخر أن محمود حسن اسماعيل هو الشاعر الوحيد الذى استطاع أن يسد الفجوة الهائلة بين التراث والمعاصرة بين القديم والجديد بما يملك من موهبة فذة استطاعت أن تجمع بين رصانة القديم وجزالته ومرونه الجديد ورقته وروعة القديم وحكمته وخيال الجديد الخصب وفلسفته ٠

● واذا كان من المشكلات التى تواجه الشعر اليوم ٠٠٠ مشكله حل التناقض بين الشكل المتورث وبين الخيال الجامح ٠٠

وبعبارة أخرى مشكلة التضاد بين الطاقة الشعرية وبين اللغه ٠

فان محمود حسن اسماعيل قد وفق بين طاقته الشعريه الجياشة وبين الشكل المتوارث ٠ (٢)

وعن مكانته بين شعراء عصره بل شعراء العربية يقول كثير من النقاد انه تبوأ مكانة لاينافس فيها على خريطة الشعر العربى ويقول أحدهم « أننا

---

(١) المرجع السابق ـ المقدمه ص ٥

(٢) الفكر المعاصر ٠ أغسطس سنه ١٩٦٧ م

امام شاعر يعد ظهوره فى مصر ظاهرة أدبية فريدة ، شاعر له شـــخصيته الأدبية المستقلة ، وتراثه الخاص الفذ بين تراثنا العربى المعاصر شاعر كــان وسيكون له نفوذه الكبير على كثير من شعراء البلاد العربية ، وعلى رأســها مصر ، والعراق ، والشام ، والسودان وغيرها من البلاد » (١)

---

(١) دراسات نقدية ص ٥٣ مصطفى السحرتى

الباب الثانى

التيـار التقليـدى
فى شـعر
محمود حسن اسماعيل

محتويات الباب

تمهيد

● كان الصراع بين الموروث والحديث فى الفكر وفى الحياة الاجتماعية يدور فى مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر ثم اتسع ميدانه منذ أوائل القرن العشرين فظهر فريق من الشعراء يتوسط الطرفين ذلك الذى تزعمه شوقى زعيم المدرسة التقليدية والذى يعد منه حافظ ابراهيم واسماعيل صبرى ومحرم ونسيم والكاشف ويكن ثم عزيز فهمى والماحى ومحمد عبد الغنى والأسمر وعزيز أباظه وعلى الجندى ، ومحمود غنيم ومحمد التهامى وحاول هذا الفريق أن يتطور بالشعر فى رفق واتئاد ..

● والشعر العربى القديم رسخ فى الأذهان مئات السنين بشكله المتوارث .. ومعانيه المعروفة وكأنه الكعبة التى يقصدها الحجاج . وبخاصة عصره الذى يمثل الجذور الأصيلة لدوحة الشعر « العصر الجاهلى » بما فيه من صدق فى الشعور وفطرة فى المشاعر وتلقائية فى تلقى الأشياء وذوبان فى احضان البيئة ولذلك جاء صادقا كل الصدق معبرا عن حياة هؤلاء الناس أصدق تعبير وان كان هذا الرأى لايوافق الدكتور طه حسين .. وتلك قضية لامجال لبحثها هنا .

● والعصر الذى تذلت فيه أغصان الشعر وآتى ثماره .. ناضجة حلوة المذاق مستساغة الشعور .. العصر العباسى ..

وتأتى . حركة البعث من بعد أن نام الشعر طويلا على أنغيه ينهشه الداء .. والكساد اللغوى والفقر الشعورى والجدب الروحى والجوع الغائر فى الأعماق من نومته الطويلة ..

ويدق البارودى على أبواب الشعر العباسى .. ويدخل رحابه بخطا واثقة محافظة ويلتقط أثمن دوره والذ ثماره .

ويتطور الشعر قليلا على يد شوقى ·· ولكن الأغراض ·· هى الأغراض والمعانى تقف فى المسافة مابين الثابت والمتحرك وهى الى الثابت أقرب منها الى المتحرك ·· لاجديد ولا ابداع وانما تقليد ومحاكاة ·

فالمعروف أن اغراض الشعر القديمة هى ···

المدح ، الهجـــاء ، الرثاء ، التشبيب والغزل ، الفخر ، الوصـف ، الزهد الحكمة ··

والمضامين الشعرية معروفة وصورها قوالب ثابتة عند كثير من الشعراء فاذا مدح الشاعر القديم انسانا بالشجاعة شبهه بالأسد · واذا مدحه بالكرم شبهه بالندى ، واذا وصفه بالبخل شبهه بمادر وذا وصفه بالعلم شـــبهه بالبحر ، واذا وصف غانية بالجمال شبهها بالبدر ·· واذا عبر عن شوقه بكى الأطلال الدوارس ·· واذا عبر عن فرحه وصــــف الكئوس واراح والسلاسل واذا عبـــر عن حــزنه قـــد قميصه من النـــــواح وذرف الدمـــع مدرارا واذا هجا وصف مهجوه بأنه أقبح من القرد وبأنه قصير ·· وبأنه بخيل وانه يفر من الحرب ··

كل هذه معايير وصور متوارثه ومعروفة والفضل للذى قالها للمرة الأولى بدافع من احساسه الفطرى بها ــ فهى عند الشعراء القدامى صـادقة قويـة الدلالة · وأما الذين رددوها بعد ذلك ــ فهم جياع فقراء يلتقطون من على موائد القدامى بقايا الفتات الذى لايسمن ولا يغنى من جوع ·

وحينما اتناول مظاهر التقليد فى شعر محمود حسن اسماعيل سأحرص على أن انقب عن كل ما يدخل فى هـذه الدائرة ·· دائرة التقليد والمحاكاة لمعانى القدماء وأفكارهم ·

ولذلك سأتعرض للنقاط التالية

(ا) الأسلوب والصياغة — (ب) الصور والأخيلة

(حـ) الشـــكل — (د) المضـمون

حتى تتم الصورة التى أريد ان اكونها عن هذا الجانب فى شعر الشاعر وهى صورة تؤكد قدرة الشاعر على الأصالة والمعاصرة · فظـلال القديم لم تحجب ضوء الابتكار عن شاعرية الشاعر وقدرته الفنية البارعة ·

الفصل الأول

« الأسلوب والصياغة »

محمود حسن اسماعيل ـ شاعر أصيل ·· غريب لانستطيع أن نحدد له فترات معينه لتطوره · وارتقائه · ولكنه يسمو ثم يهبط ثم يرتفع ثم يهبط ومـــع ذلك فهو فى هبوطـــه دائمـــا مثـــل النســر الذى تصارعه الريـــاح فيقاومها ويتمسك بشموخه فهـــو ذو شـــخصية واضحة قد تجلت فى أسلوبه الشعرى وجعلت له طابعا فريدا بطبيعة تجاربه وطريقة تناول عناصر صوره ومفردات معجمه ··

وعندما نتكلم عن أسلوب الشاعر لانستطيع أن نضعه فى تيار التقليـد منفردا لأنه أسلوب فريد متميز بالأصالة ولكن حينما يرتبط بالصياغة ··· نشتم رائحة التقليد بل نلمس بصماته ظاهرة واضحة فى جسد العمل الأدبى للشاعر ··

ولذلك سأبدأ ·· بمعالجه الصياغة أولا ثم الأسلوب ··

(أ) الصـــياغة

● وصياغة الشاعر فى دواوينه الأولى يغلب عليها الطابع التقليـدى حيث نظام القافيه الواحدة والصياغة القوية الرصينة المسبوكة التى تهـدر فى عنف وتذكرنا بالمتنبى وقد عاب الدكتور مندور عليه ذلك وسمى شعره بالشعر الخطابى · وذلك حين نشأت الخصومة بينه وبين الأستاذ سيد قطب حول الشعر المهموس والشاعر فى رأى الدكتور مندور « هو من ينجح فى أن يهزك وهو قد يستطيع ذلك بضخامة موسيقاه كما قد يستطيعه برقتهـا والأدب الجيد لابد أن يلونه الاحساس ··· ويقول فى الميزان الجديد والأستاذ محمود حسن اسماعيل يذكرنى دائما بالمتنبى ففى شعره رنين قوى تجـده

ف بسط أوزانه وضخامة الفاظه بل ف بعض صوره الشعرية المجتلبة على نفس النحو الذى كان المتنبى يصطنعه احيانا متتلمذا لأبى تمام ٠

ولكنى ابادر فاقرر أن شعر المتنبي غير شعر محمود اسماعيل ف معدنه النفسى وفى رؤيته الشعرية ٠

والرنين الخطابى مهما بلغت قوته لايمكن أن يسمو بالشعر
فلغيرى أن يعجب بقوة أسر محمود اسماعيل واستحصاد لفظه وغرابة صوره ٠

وأما أنا فمادمت لا أستطيع ان ادرك ببصرى حقيقة ما يصف ولا أن أسكن الى نوع احساسه فاننى لا اتردد في رفض شعره وتفضيل نعيمه أو عريضة عليه وذلك لصدق شعراء المهجر فى فنهم ٠ وشعر المتنبى كشعر محمود حسن اسماعيل من النوع الخطابى ولكن شاعر الحمدانين كان شاعرا كبيرا ٠

وانا بعد مؤمن بأن محمود حسن اسماعيل يستطيع أن يصبح شاعرا كبيرا ! (١)

والمتأمل فى دواوين الشاعر المتعدده يلمح تطورا ف الصياغة ففى مرحلته الأولى مرحلة ديوان « أغانى الكوخ » وديوان « الملك » وهكذا اغنى ٠٠ وأين المفر ؟ ٠٠

نلمس قوة فى الصياغة وتمسكا بالرصانة العربية القديمة فى اغلب القصائد ٠

ففى ديوان أغانى الكوخ نسيجه يهدر كالرعد رغم ان الجو النفسى للقصيدة لا يتفق مع هذه الجلبة الموسيقية وزحمة الأصداء يقول من قصيدة « أحزان الغروب »

---

(١) في الميزان الجديد د ٠ محمد مندور ص ٩٨ ـ ٩٩

مات النهار وهذى الشمس جازعة

عليه تخطر فى دامى الجلابيب

كأنها نعش خوفو مال متكئا　　　　على سرير بجوب النورمخضوب

أهرامه الأفق يجرى فوق ساحله

على يم من عيون الشرق مسكوب

ملفف فى سحابات سبحن به

لشاطىء فى ضمير الغيب محجوب

هذه القصيدة تذكرنى · فى صياغتها وقوة أسرها بقصيدة المتنبى التى يمدح بها كافورا سنه ٣٤٦هـ ست وأربعين وثلثمائه

من الجآزر فى زى الا عاريب أحمر الحلى والمطايا والجلابيب (١)

وهو فى هذه القصيدة يستعمل ألفاظا « متخفية » تسللت اليه من نافذة التقليد ومحاكاة القوالب القديمة فهو يذكر ألفاظ ·· الرعابيب – مجدوب – حوب الميازيب – الذيب – وذلك لفرط تأثره بالأدب القديم مع انها كلمات تراثية لم يعدلها وجود عصرى ·

● وفى ديوان الملك ·· نراه تقليديا فى صياغته الى حد بعيد فهو يختار القصائد القديمة لينسج على غرارها وينفخ فى روحه من روح القدامى فنخاله شاعرا من شعراء البلاط الملكى فى العصر العباسى ·

فهو يمدح الفاروق ·· قائلا

فاروق أنت لها فجر على يده

ترقرقت من ضياء الله هالات

---

(١) ديوان المتنبى المجلد الأول ص ٢٨٨ شرح عبد الرحمن البرقوقي

فاروق أنت ملاذ عنـــد حيرتهـا

على يديك لهـا ترجى المنـــارات

قال المصلون من هذا ، فقلت لهم

فى كل بيت هدى منـه علامـات

هذا الذى يرهب الأيـام صـولجه

لله من نسكه فيض وراحات (١)

والقصيدة بمعانيها وصياغتها وايقاعها تذكرنى ...

بقصيدة الشاعر الفرزدق .. الكنانى .. وهو يمدح على بن الحسين ابن زين العابدين عندما أشار الناس اليه . من هذا ؟ فقال لهم

هـذا الذى تعرف البطحـاء وطأته

والبيت يعـــرفه والحــل والحرم

هـــذا ابى خيـر عبـاد الله كلهم

هذا التقى النقى الطـــاهر العلم

وليس قـولك من هـــذا بضـائره

العرب تعرف من انكـرت والعجـم

ينشق ثوب الضحى عن نور عزته

كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم(٢)

● وامتدادا لأسلوب الشعر القديم فى الفخر بالنفس أمام الممدوح يفتخر

---

(١) ديوان الملك ص ٥٠

(٢) أدب السياسة فى العصر الأموى . أحمد الحوفى . وانظر نص القصيدة وشرحها برؤية نقدية معاصرة فى كتابنا « القيم الاسلامية فى الأدب العربى ».

الشاعربقصائده ٠٠ لدرجة أننا نكاد نلمس نبرات الشريف الرضى وهى تتسلل الينا عبر بحيرات الشعور التقليدى ٠٠٠٠ فهو يفتخر بقصائدة أمام فاروق قائلا ٠

قوافـــل من أغـــان أنت ملهمهـا

وانت فيها الهدى والشجو والذكر

حـدا خطاها ســليمان وطار بهـا

بســاطة وهــدى ارسانها القـدر

ذوات سحر يروع الجن ما طرقت

غيبـا ولم يأتهـا عن سره خبر

كم صادفت فى السرى ركبا فأذهله

أن الرياح لهـا تصـغى وتأتمر

ومصادفة الركب فى السرى وذهوله من اصغاء الرياح للقصائد وائتمارهـا بأمرها ٠٠ مبالغة شعرية قديمة جدا وصورة استمدها الشاعر من ذاكرته ٠٠ وموروثه لا من شعوره واحساسه واذا ما قرأنا مفخرة أخرى من مفاخر الشاعر بقريضه لحكمنا عليه أنه لبس فى صياغته ٠٠ مســوح القدامى مثل ابى العلاء المعرى والمتنبى ويظهر هذا واضحا فى قوله ٠٠٠

انا مرعش الأسرار فى كبد الدجى

والليـــل عـــراف الظـــلام مجاذر

شعر هو الـــدم لو لمست خياله

فى الروح أخرقنى الهـتـوء المشاعر

هذه النغمة تذكرنى ... بأبيات ابى العلاء التى يقول فيها

وأغدو ولو أن الصـــباح صـــوارم
واســرى ولـــو أن الظلام جحافل

وانى جـــواد لم يحـــل لجـامه
ونضويمان اصقلته الصـــياقل

وانى وان كنت الأخيـــر زمـــانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل (١)

كذلك تذكرنى بصوت شاعر الحمدانيين وهو يسرى من قاع التـــاريخ وقمة الفن :

ومرهف سرت بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

● وقصيدة « نهر النسيان » (٢) التى تنساب كالبحيرة الهادئة فى دراما غنائية حزينة تذكرنى بقصائد ابن الرومى التى تطول فى يسر لتعطى صورة كلية .

وأرجح ان الشاعر تأثرا بابن الرومى فى صياغة القصيدة وان كان جوها الذى يميل الى الاستبطان الذاتى يختلف عن الجـــو النفسى لقصـــيدة ابن الرومى ...رغم ان القافية واحدة والبحر واحد .. بحر الخفيف ووزنه . فاعلاتن مستفعلن ـ فاعلاتن .. مرتين

والقصيدة فى مطلعها يستعمل الشاعر أسلوب التجريد .. وهو نـــوع

---

(١) ديوان : أبى العلاء المعرى
(٢) ديوان المتنبى ص ٤٩ المجلد الثانى ص ٣

من أنواع البديع اكثر منه للشعراء القدامى فى بداية قصائدهم فهو يجرد من نفسه وروحه شخصين مختلفين منفصلين عنه ثم يخاطبهما ٠

اسقيانى من خمـــرة النســـيان

وانسيانى فقد نسيت زمـــانى

وفى هذه القصيدة تتضح سمة بارزة فى صياغة الشاعر لقصائده وهى لازمة من لوازمه الفنية ٠ وتكثر حتى تكاد تصل الى درجة العيب اذا لم يواكبها الانفعال الصادق والقدرة الخارقة عليه هذه السمة هى ميل الشاعر الى تكرار الكلمة الأولى من البيت وتركه العنان لنفسه لتتداعى خواطره فى صورة اشبه بالسيل الجارف أو الحشــد الهــائل من الثروة اللغوية والطاقة الشــعورية الجبارة التى تصل الى حد التوحش ٠

وفى هذه القصــيدة يكرر الشاعر ٠٠ كلمة « ونسيت » أكثر من خمس وعشرين مرة حتى نظن ان الشاعر نسى نفسه وهو يقول ونسيت برغم انه يذكر النفس فى قائمة منسياته وكان يجب أن يضيف الى كشف نسيانه ٠٠ هذا البيت ٠

ونسيت النفس السجينة فى ذاتى تعانى مرارة الحرمان ٠٠٠

والقصيدة يقول فيها ٠٠

اســقيانى من خمــرة النســيان وانسيانى فقد نسيت زمــانى

ونسيت الشباب والسحر والأحلام والفن والرؤى والأغانى ٠٠

ونسيت المنى وكانت شعاعا ،

سابحت الظل حائرا فى جنـــانى

ونسيت الأسى وكنـــان ريـــاحا

ازجت الجن خطوها فى كيانى (١)

ونسيت النسيان حتى كأنى
صرت وهما فى خاطر النسيان

● وقصيدته « جلاد الظلال » بصياغتها التقليدية وقافيتها الموحدة وموسيقاها الخليلية .. تردنا الى معلقة زهير بن ابى سلمى وان لم يكن هناك تشابه الا فى الصياغة التقليدية .. وهى وصف لجزيرة الزمالك فى هاجرة الصيف ... وهى فى الحقيقة ليست الا وصفا لحالته النفسية وانعكاسا لمشاعره المحترقة حيث ودع حبيبته فى هذه الجزيرة فهو ظامئ تحرقه لوعة الفراق .

وهى « تعبر عن امتزاج الشاعر بالطبيعة وحلوله فيها وعنوان القصيدة يشع تلك الصورة التى فجرت التجربة فى نفس الشاعر » (١)

يقول : يطن حواليها الهجير كأنه
تخافت عار خول عرض مثلم

وينفخ كالحداد نارا شرارها
تناهش خزى فى ضمير مذمم

مشيت بها حيران أشعبه خاطرا
بقلب ملون جازع اليأس مظلم

افتش عن سحر الزبيع وعطره
كأنى نقاب بأحشاء منجم

لقد مات واغتالت مغانية بغتة
كما اغتال عصف الشك أحلام مغرم

---

(١) محمود حسن اسماعيل . مدخل الى عالمه الشعرى ص ١٨
د . عبد العزيز الدسوقى

أحب لياليهـــا واهـــوى ترابهـا

واهوى غروب الشمس فى أفقها الظمى

فقـــدت أليف الروح بين شــــعابها

وعدت بحزن المســـتطاز المتيم (١)

● وفى ديوان نار وأصفاد ٠٠ تفاجئنا الصياغة التقليدية حيث تغلب على طابع الديوان كله ٠ فيما عدا ٠ القليل ٠٠ مثل ٠ مطوله نبى الحرية بمشاهدها المسرحية » ويرمز عنوانه إلى النيران المشتعلة فى كل أرض عربية تنزع الى التحرر من الأصفاد التى لاتزال تكبل بعض الأقطار العربيه بالمعاهدات والالتزامات والقيود وفى اختيار العنوان دليل على أن الشاعر يحس احساس قومه ويريد أن يحطم القيود ويحرق الأصفاد » (٢)

ومطلع قصيدة « جلاء أو فناء »

السيف قال : فما يقول الشاعر عهد الكلام اليوم عهد غـابر (٣)

يذكرنى ببائية أبى تمام ٠٠

السيف أصدق انباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب (٤)

وكذلك قصيدته ٠٠ عدو الاستعباد التي يحيي بها عبد الرحمن الكواكبى تذكرنى بمطلع قصيدتين ٠٠ بائية أبى تمام ـ وقصيدة شوقى التى يمدح بها كمال أتاتورك ٠٠٠

الله اكبر كم فى الفتح من عجب ياخالد الترك جدد خالد العرب (٥)

---

(١) أين المفر ص ٣١

(٢) المجلة عدد مايو ١٩٦٨ م

(٣) نار وأصفاد ص ١١٢

(٤) ديوان أبو تمام : تحقيق : حسن كامل الصيرفى : المجلد الأول ٠

(٥) الشوقيات ص ٥٩ جـ ١

والديباجة الكلاسيكية .. التى كثيرا ما عهدناها فى مطالع القصائد الكلاسيكين الكبار أمثال حافظ وشوقى وعلى الجارم لاتفتقدها هاهنا عند شاعرنا فى كثير من قصائده ..

فهو فى قصيدته « راية الوحدة » يتقدم بديباجة تفضى الى سر حبه للراية الخفاقة .. فيها امتاع وتشويق وبراعة استهلال » يقول

فوق صدر الأثير والأفق حـولى
كتبى ومصـــحف وصــــلاة
والسمـــاوات فتحت لخطـا الذرة
بـــأبا وكبـــرت للنــــواة
وفضـــاء الفضـــاء غيب ولكن
لخطـــا العلم شــع بالبينـات
والضحى عابـــد توشـــح بالنـو
ر وصلى على جبين الحياة
وأنـــا دائب أصــــعد فى المجـ
ـهول مستـــتسلم الى نظـراتى
واذا رايـــة تمس يـــد الشمـ
ـس وتمضى لســـدة النيـرات
قلت من انت فانبرت تحصـد الصم
ت وتـروى العظـائم الخالـدات
نفضت عن جبينها حســـرة الذل
وداسـت على جبين الطغاة (١)

---

(١) نار واصفاد ص ٥٠

● وفى قصيدة « ثورة الطبيعة » نلمح تطورا فى الصياغة ٠٠ وقيدا ٠٠ قيد به الشاعر نفسه فقد تاثر بأبى العلاء المعرى ٠٠ فى الزام نفسه بمبدأ ٠٠ لزوم مالا يلزم وصاغ قصيدته ٠٠

على روى التاء المسبوقة بحرف المد « الألف » والتزم به الشاعر مثلما التزم بحرف الهاء الممدودة (١) ويقترب هذا من « لزوم ما يلزم » ٠

وتمضى القصيدة على هذا النحو حتى نهايتها لاتتغير القافية ذات الحروف الثلاثة وقد عاب النقاد وبخاصة د ٠ شوقى ضيف ، هذه الظاهرة على ابى العلاء فى كتابه « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ٠

لأنها تحد من قدرة الشاعر على الانطلاق والتعبير عن اهم خصائصه النفسية وهمومه ومشاكله ٠٠٠ يقول محمود حسن اسماعيل

هات الشدائد للجريحة هاتها

فالصبر فى الأهوال دين أساتها

واحشد صروفك يازمان فربما

لهب العظائم شب من نكباتها (٢)

والقصيدة سبعة وستون بيتا سيطر عليها الشاعر بقدرته الخارقة على احتواء اللغة والتوغل فى غاباتها الوحشية ليأخذ من بين انيابها مايريد كيفما شاء ٠

● ويلجأ الشاعر فى كثير من الأحيان فى صياغته الى القوافى الصعبة فقافية الفاء تكاد تكون معدومة فى الشعر العربى ولكن الشاعر ياتى بها فى

---

(١) لمزيد من الايضاح انظر « موسيقى الشعر د ٠ ابراهيم انيس ص ٢٤٦ ــ ٢٧٨

(٢) قاب قوسين ص ٢٠٥

القصيدة « النيل نعسان » (١) .. مما يدل على قدرة خارقة عنده .

ذهبت له والأنجم البيض حـــوم
على خمرة كالطير تحسـو وترشف

لهـا رعشة مسحورة فى عبـابه
وهمس حـديث فى الحنايـا مرفرف

● وفى كثير من المواقف يصوغ الشاعر قصائده صياغة ملحمية تنبىء عن قدرة رائعة .. وتبعده عن التبعية والابتذال .

● فهو شاعر متدفق يحتاج الى أن يفرغ كل ما عنده حتى يعثر على جوهرة الشعر فهو كالسيل الآتى احتمل زيدا رابيا .

أو كقيثرة « شلى » يصب قلبه الملآن فى أنغام ثرة من الفن الذى لم يسبق بتفكير (٢) .

ففى قصيدة « عبيد الرياح » مثلا وهى قصيدة قصيرة نجد نموذجا من الأسلوب الملحمى فى وصفه لجبابرة النيل .. أولئك المراكبيه المساكين الذين يجرون المراكب بالحبال حتى تفتر الريح

على صدرهم من غضون الكفاح ... أفاعى حبـال تلف الجنـــوب
تجـانبهم خطــوهم للـوراء ... فهم من عنـاد بقايـا حروب
ســقاهم سليمان من ســره ... فكادوا يمسون دمـع الغيوب
يكـاد يعزى ويمشى النخيـــل ... وراءهــم وتلوذ الهـبـوب (٣)

---

(١) قاب قوسين ص ١٧٩ .
(٢) مجلة الكاتب يناير سنة ١٩٦٧
(٣) أين المفر ص ٩

● وفى ديوان « صلاة ورفض » برغم تقدم الزمن بالشاعر لانزال نسمع النبرة الخطابية التى كثيرا ما يقع فيها وبخاصة فى الشعر الوطنى يتضح هذا جيدا فى قصيدته « مصر انشوده الدنيا » .

نـاداك مجـدك فاستجيبى وامشـى لـه فـوق اللهيب

وتجشمى لعلاه نيران الشدائد والخطوب

وثبى له أيان شاء ولو على كبد الغيوب (١)

● وتتطور الصياغة فى ديوان « نهر الحقيقة » فيصب الشاعر مشاعره فى قالب سهلة ممتنعة والقافية الواحدة تندر فى هذا الديوان وحتى عندما نعثر عليها نجدها طيعة سهلة لينة .

وفى قصيدة . أهواك ياوطنى .. نعثر على هذه الروح السهلة

أهواك ياوطنى

ياكل ما تروى به شفة الهوى فتنى

وتصـــبه فى الكاس أيـامى ..

رحيق الخلد أشربه ويشـــربنى

ياكل لحـن فى لهـــاة الطير أعزفـــه ويعزفـــنى (٢)

● وفى صياغة الشاعر نلمح تجديدا فى بعض الأحيان .. وذلك حين يتسم عمله الشعرى بالحوار .. الداخلى فى القصيدة .. وهى طريقة وان لم تكن جديدة لكنها تقطع الملل .. وتوقظ الاحساس .. وتدعو الى الاثارة والدهشة فهو يقول فى قصيدته ..

ولما رفعت الستر عنها وجدتها ولا حزن الا انها ادمع السـر

---

(١) صلاة ورفض ص ١٢٠

(٢) نهر الحقيقة ص ١٦٦

فقلت لها : من أنت ؟ قالت سجينة | بحبك تشتاق الخلاص من الأسر
فقلت : وفيم الدمع ؟ قالت شقية | يعذبها الحرمان فى نشوة العمر
فقلت ومن أين الخـــــلاص ؟ فأومأت
بعين تدس الـذل فى نظرة الكبر

وقالت : صبرنا والهوى غير راحم
واقسى عذاب العاشقين من الصبر (١).

وصياغة هذه القصيدة تعود بذاكرتنا الشعرية الى صوت أبى فراس الحمدانى الذى يتجسد فى قصيدته « أراك عصى الدمع شيمتك الصبر » .

● والحوار فى قصيدة محمود حسن اسماعيل يشبه الى حد مثير قصيدة ابى فراس الحمدانى .

اراك عصى الدمع شيمتك الصبر | أما لـلهوى نهى عليك ولا أمر

(ب) الأسلوب ...

ان الأسلوب مرتبط بالصياغة دائما وهما متحدان متلائمان فى كل وقت الا مع شاعرنا فقد تكون صياغته تقليدية .. لكننا لانحس بها .. أو يشغلنا الأسلوب عنها ...

فهو ذو شخصية واضحة تماما منفردا متميزا بأسلوب خاص . فحين يذكر الشاعر محمود حسن اسماعيل لابد أن تذكر تلك الرعشة التى أدخلها على الشعر العربى فاذا كان الشعر من فترة كبيرة فى العالم العربى قد تحول الى مغامرات فى عالم الصياغة والى تقاليد الكلمة العربية الشديدة الوضوح فان محمود حسن اسماعيل قد أدخل تركيبة سحرية جديدة فى الشعر العربى .

---

(١) أين المفر ص ١٣٩

حين جرد بشكل حاسم المحسوس وجسـد المجرد وربط بين الأشياء لأدنى ملابسة . وفى الوقت نفسه قام بعملية حرق وتطهير للغة (١) .

ولمحمود حسن اسماعيل طريقة فى تناول أسلوبه ومعالجته ..
وهناك اسس عامة تمثل الأداء الشعرى له .. تلك الأسس هى :

أولا : خلع الصفات الانسانية على الأشياء ثم معاملتها كبشر فكثيرا ما يحدثنا عن الضوء الأسير والعطر النعسان ، والشعاع المؤمن و « الشذا النائم » كما يحدثنا عن « بقايا الليل فى جفن العبير » وعن النار التى شيبتها أوهام العصور ثم يصف لنا « ركعة صاغرة الوجه مهينة » وكلمة ساجدة الحرف ذليلة . الى آخر هذه الأشياء التى يحيلها الشاعر الى أنـاس ويحركها فى شعره كبشر .

ثانيا : تجسيد المعانى ثم منحها صفات الأحياء فى كثير من الأحيـان فكثيرا ما نقرأ « الرق المصلوب » والندم المسحور ، والتوبة الموءودة ، والقلق المسهد ، النغمة الباكية ، لزمن الأسير وكثيرا ما يطالعنا .. القدر يشهق » و « الغيب يعول » والأمس يقعى » و « الزمان يحدودب ، هـذا تلفع الشـاعر بسره ، « تناثر شظايا ندمه » وما الى ذلك من تجسيدات للمعانى تصل فى اكثر الأحيان الى بث الحياة فيها ومعاملتها ككائنات حية . (٢)

● وقد يكون هذا الأسلوب ليس جديدا تماما على الشعر العربى ولكن مغامرة الشاعر فى هذا المجال من غير افتعال ولاترصد وبخاصة فى طرح الموج الشعرى فريدة فى الشعر العربى وجعله جديرا بأن يقول للقارىء العربى .
شعرية فريدة فى الشعر العربى وجعله جديرا بأن يقول للقارىء العربى .

● « استيقظ فانى ارتب الكلمات والعالم بصورة جديدة » .

---

(١) الفكر المعاصر أغسطس ١٩٦٧
(٢) الشعر يونيو ١٩٦٥

وان محمود حسن اسماعيل قد وفق بين طاقته الشعرية الجياشة وبين الشكل المتوارث •

وفق فى أن يركز لا فى أن يسترجـــع وفى أن يقدم شـيئا غريبا على قارئه • ولما كانت هذه الطاقة جبارة الى حد التوحش • عميقة الى مالا قرار • وضـــاربة فى أدغال النفس البشـــرية بصـفة عـامه فانا نرى صاحبها يفجر الكلمة العربية ويسلط عليها شعاعا محموما وطاقة فوق ما كانت تحتمله مز طاقات (١) •

وذلك أن محمود حسن اسماعيل لايضع الألفاظ كما هى فى صورتهـــا الشعرية بما لها من دلالات باهتة الظل فى الحياة اليومية ••••

وانما كما قلنا •• يلقى عليها شعاعا محموما وطاقة قوية فوق ما كانت تحتمله من طاقات ••• وذلك بوسائل كثيرة منها

أولا : تجريد المحسوسات وتحويلها الى معان فنحن نرى الشـــاعر فى بعض الأحيان يعامل الشىء المجسم كانه مجرد ويقدم للمحسوس بعيـــدا عن الحس بعد أن يحيله الى مدروك عقلى فنى : ومن على سبيل المثال ـ مانراه من قوله •• ان النهر خلد •• ، والموج ذكرى ، والأغصان أحلام •

ثانيا : ـ تراسل الحواس

ووصف بعض المحسوسات بصفات محسوسات أخرى ومن هنا نرى الشاعر قد جعل الموسيقى ترشف والضباب يجرع • والظلام يرسب كما أحس النغـم ناعم الملمس ، ورأى الصلاة بيضاء اللون • وشم الضياء معطر الأريج وما الى ذلك مما تراسلت فيه حواس الشاعر •

ثالثا : ـ استخدام معجم شعرى يوشك أن يكون خاصا وهو معجـــم تصب فيه روافد عديدة أهمها •

---

(١) الفكر المعاصر ١٩٦٧

● الألفاظ التى تصور الجو المصرى الصعيدى الدينى بكل موروثـاته الفرعونية والقبطية والاسلامية ٠

كالمعبد ، والدير ، والمسجد ، والمصلى ، والمحراب والمئذنة ، والعابـد والراهب والناسك والخاشع ، والمسوح والزنار ، والصلاة والسجدة ، والتاووس واللحد ، والجنازة والقبر ٠

● ثم الألفاظ التى تتصل بالطبيعة ، كالبحر والنهر ، والشاطىء والموج والغدير والنبع ، والريح والاعصار ، والربيع والخريف والصحو والشروق ٠ والزوال والمغيب ، والشعاع والظل والحقل والروض ، والنخل والدوح ، والزهر والعطر ، والفراش والنحل ، والشذى والعبير ٠

● والألفاظ التى ترتبط بالغناء والموسيقى ٠٠ كالشدو واللحن والنشيد والنغم ، وكالوتر والرباب ، والقيثار والنـار ، والمزهر والعـود ، والشبابة والمزمار ٠ (١)

● وكذلك الألفاظ التى تتصل بالحرية والرق ٠٠ مثل النار والأصفاد والسلاسل والقيود ، والشباك والشراك ، والصلب والدم والهول والهشيم ، والقضبان والسدود ، والأسوار والصور ٠

● ومما يميز المعجم الشعرى لمحمود حسن اسماعيل كذلك كثرة استخدام لفظ النور ومشتقاته ٠

وعن هذه الظاهرة يتحدث الدكتور عبده بدوى فيقول ثم ان النور بعد ذلك يدخل فى نسيج العمل الفنى سواء كانت المادة هى النور أم الفجر أم الشمس أم الصفاء أم البراءة ٠

ومن هنا نرى عنده « موازيكو » من قطع صغيرة لا تنتهى من النـور فهناك طريق الشمس ، وصلاة الشمس ٠

---

(١) الشعر عدد يونيو ١٩٦٥

والشمس الكبرى ، وازدحام النور ، والزحف بالنور ، والشعاع المؤمن ويد الضحى ، والأحلام المضاءة ،والضياء الذى يكبو ،وصخب الوميض والضوء المجروح والمورق ، والنفس التى تبسم أصداء النور والفجر الذى يغسل بالضياء مالوثه العصاة ، وسوق الفجر والفجر فى الوادى رسول اشمة ·

● واذا كان النور فى الفترة الأولى من شعر الشاعر يرتبط بالنار والوهج والتمرد بحيث نراه احيانا شهوة النار أو قاسيا كاسد ما تكون القسوة ·

« الفجـــر قـــد داســـا
بنوره أشــلا هـــذا القتــام »

فانا نراه فى الفترة الأخيرة فرحة تبدو من خلالها الحياة وبقاء يستعصى على الضياع ·

● على الأرض نـــوره
وفى الأفـــق نـــوره
وفى كـــل قلـــب
شـــعاع يـــدور (١)

● فأتنتى سر الهوى سابح
فى نور عينيك فلا تسألى

● قالت لقد عزب الشعاع فقلت ما
غربت بشـــاشته وأنت بجـانبى

قالت وكيف فقلت انت قصـــيدة
بيضـــاء فى قدح المساء الذائب (٢)

انه متعاطف مع تلك النظرية القديمة التى تقول ·

---

(١) قاب قوسين ص ١٤٣
(٢) قاب قوسين ص ١٩٦

ان الأشياء كلها نور مصفي • وان كل شيء مخلوق يعكس شيئا من الله على قدر حجمه ••

وعلى كل حال فهو هنا يشبه الرسام « فريد » الذى كان يحب النور لذات النور لا لما يمس هذا النور من أشياء ولذلك جاءت رسومه كلها ريانه فالنور ليس وسيلة لله ولكنه الله ، والنور ليس اصبعا يشير الى الحب أنه الحب •

ومن هنا كان النور له عمق ورنين وثقل وحركة
وهذا ما نجده عند محمود حسن اسماعيل

وهو من أجل تعميق هذا الجانب يضع الظلام أمامه ويعطى لكل منهما اسلحته • ثم ينتهى دائما الى التهليل بانتصار النور •

● كذلك نعثر فى معجم محمود حسن اسماعيل الشعرى على لفظ الكأس ومشتقاتة ••

وذلك يرجع الى مزاج الشاعر الخاص او تقليده المتصوفين الكبار امثال محيى الدين بن عربى والحلاج وابن الفارض الذين كانوا يغرقون فى حب الذات العلية حبا يصل الى العشق والهيام ••

فنرى لفظ – الخمر – والكأس ، والصهباء والنديم والساقى ، الحسو ، والرشف ، والقدح الذائب ، وخمرة العين الشهيه وخمر الزوال ، وخمر الأنوثة كما نقرأ مثل هذه الأبيات

ظمئت نارى •• وللنار كما للناس خمر ورحيق
ولها حان وخمار واقداح وابريق عتيق
وندماها أسى العشاق والأحزان والسر العميق (١)

---

(١) اين المفر ص ١١٢

● كذلك يلاحظ على معجم محمود حسن اسماعيل عدم السيطرة على الألوان جميعها ·· فمادة الشاعر الحقيقية الأبيض والاسود وان كان احيانا يركز على اللون الأصفر باعتباره ممثلا للذبول الانسانى وجفاف الحركة وتوقف النبض ·

كما انه لا يلتفت الى اللون الأخضر كقاعدة الشعراء العرب كما نجد عند أبى تمام وكما نجد فى الشعر المعاصر

وعلى نحو مانرى عند « لوركا وذلك لأن هذا اللون او هذا الرمز بلغة أدق يعنى البعث ـ وتعجل نضارة الحياة بل انه يعنى به شيئاً آخر كريها كما فى قصيدة « الضباب الأخضر » التى اهداها الى سقاة الضباب وفيها يؤكد الشاعر ذاته الجديدة ، حيث يقول

دعـــونى اغنى

فان الغناء طريقى الى كل سر بعيد

خلقت لأرتـاد روح الحيـــاة

وأسـتل اعماقها ···· للوجـود

ومهمـا ســرى قبلى السـائرون

فانى على كل خطـو جديد (١)

ومحمود حسن اسماعيل لا يتعجل الشيء لأنه يراه رؤية حقيقية ··· فى زحمة النور

او لأنه يحتفظ فى قلبه بقدر كبير من الحنين الى الماضى (٢) ····· وذلك الشعور كثيرا ما يوقعه فى أسر التقليد والمحاكاة ··

---

(١) قاب قوسين ص ٣٣

(٢) الفكر المعاصر اغسطس · ١٩٦٧ م

الفصل الثانى

« الصور والأخيلة »

فالشاعر يلتقط بحسه المرهف وشعوره الواعى صورا من الحياة ويوشيها وتعد هذه السمة أهم فرق بينه وبين النثر ٠

فالشاعر يلتقط بحسه المرهف وشعوره الواعى صورا من للحياة ويوشيها بألوانه وأصباغه شأنه شأن الرسام ٠٠ الماهر الذى يخرج لوحاته معبرة عن شعوره غير مجردة من الألوان والظلال ٠

وانما هو بريشته الساحرة يمتع شعورك قبل نظرك كذلك الشاعر المتمكن من فنه والذى يسيطر تمام السيطرة على أدوات تعبيره الفنية ٠

● والخيال من أهم عناصر الأثر الأدبى ٠٠٠ وشعور الانسان بأشياء غير حاضرة واستعادة المرء فى ذهنة الصور التى أدركها من قبل بالحس هو مانسميه الخيال أو التخيل ٠٠ وهو خطوة أرقى من الادراك الحسى ومن مجرد التذكر نفسه ٠٠ فالتخيل يعين الانسان على استغلال الماضى للمستقبل ٠ ولولا التخيل لأصبحت حياة الانسان فقيرة كل الفقر ولكانت حياته النفسية ضئيلة محدودة ٠ فهو الأصل فى تكوين المثل العليا ٠٠ وفى اختيار الطرق التى قد تؤدى الى بلوغها ٠ وهو الذى يعيننا على فهم الحقائق والفنون ٠ وله أثر كبير فى دائرة العلم ومخترعات الحضارة الحديثة ٠

ولهذا العنصر ايضا اثره فى العمل الأدبى فالشاعر يلتقط كل ما رأى وما سمع طوال حياته ولا يفوته منظر ٠٠ حتى ولو كان من أدق المشاهد وأخفاها »

ولو حفيف أوراق الشجر ثم يخزنه ، ثم يهم الخيال فيستخرج منه صورا وآراء متناسبة منسقة فى الأوقات الملائمة كما يرى « رسكن » ٠

● وتبدو صور الخيال فى النص الأدبى فى التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وحسن التعليل والمبالغة وما شابه ذلك ٠

والأديب يستطيع بخياله أن يبعث فى النص الأدبى قوة وروحا وحياة وكلما تعمق الأديب فى الأدب وتذوقه كانت حاجته الى الخيال اكثر (١)

● وللكلمات والأصوات دور هائل فى ايضاح الصورة وابراز الخيـال فالصورة الفنية التى يشاء الشاعر استخدامها واستحضارها تضع امامه كمية من الاحتمالات اللغوية لايستطيع أن يخرج عنها ٠

اعنى أن الصورة تحدد له مسارا لفظيا لايستطيع أن يحيد عنه وذلك يحتم وجود لون من الوان الصلة والتداعى من الصورة والكلمات ، فالصورة تدعو الكلمات ولكنها ليست جاهزة تماما للاستخدام انها مازالت امكانات خاما لم يستطع الشاعر أن يحسم أمره بشأنها ٠

والشاعر لايملك الجهاز المحدد من الكلمات للفكرة أو الموضـوع فكثيرا مايخطىء الشعراء ويضعون كلمة أو تعبيرا واحدا ٠ ليس فى مكانه المنضبط فيتخلخل البناء الشكلى ويميد ٠

والكلمات لدى الشاعر ليست مطايا للموضوع أو الفكرة انها رمـوز كاملة ٠ فحين يشاء الشاعر أن يطرح للتعبير فكرة أو موضوعا أو جملة من الأفكار فانه لايستخدم التعبير المنطقى الدال او التعبير الأكثر اقناعا ٠ بـل انه يلجأ الى هذه الأفكار والرؤى أو الموضوعات الى صور أو جملة من الاشارات

---

(١) النقد العربى الحديث ومذاهبه د ٠ محمد عبد المنعم خفاجى ص ٤٤

الصورة · والتعبير عن هذه الصور لا يحتم وجود علاقات مدلولية بين الكلمات والصور ·

ومن المؤكد تماما أن الصورة الفنية منقطعا خاصا بها يفصلها عن الصورة المبتذلة أو غير الأصيلة ·

● هذا المنطق كامن فى الجو الموحى الذى تثيره الصورة مهما كانت الكلمات المستخدمة ·

أعنى بذلك أن الصورة الأصيلة تطرح أمام الشاعر كمية من الاحتمالات اللفظية لا تتيح له حرية الخروج عنها والاختيار من غيرها وليست هـذه الاحتمالات اللفظية متشابهة أو مترادفة بالضرورة بل هى تثير احتمالات متقابلة ومتعارضة ·

وتثير معها أيضا كمية من الألفاظ الأقل دقة والاكثر ايحاء بالموقف نفسه · (١) و ··

والكلمة الشعرية تثير جوا عصريا معينا هو كم المعادلات المجتمعية والرؤى والانفعالات التى تحدث فى عصر تاريخى معين غير أن بعضا من الشعراء يستخدمون كلمات قديمة بدلالات قديمة فى أشعارهم الحديثة طلبا لذلك النوع من الانفعال الذى اندثر وضاع ·

واذا كانت الكلمة الشعرية تثير جوا معينا فهى اذن معين نفسى لاينضب غير أنها تثير فوق ذلك أيضا جوا نفسيا معينا (٢) ····

ومن أهم ما يميز فن محمود حسن اسماعيل عن غيره صوره واخيلته

---

(١) الشعر يونيو ١٩٦٠ : محاولات تحليل التجربة ·

(٢) الشعر · أغسطس ١٩٦٥

فالصورة عند شاعرنا تبلغ حدا من الكثافة يطمس اشراقة الشعر احيانا ٠٠٠ وان كنت « انا » شخصياً أميل الى غرابة الصور وتكثيفها فكلما زادت الصور غرابة كلما دلت على سعة خيال الشاعر ٠٠ واحدثت عند السامع والقارىء دهشة المتلقى وأجبرته على التفكير والإستمتاع بعد طول المعاناة ٠

● ومعالجة الصور والأخيلة هنا ٠٠ لا يقصد بها معالجة الصور الفنية الأصيلة عند الشاعر ٠٠ فلها مكان آخر من البحث وانما أحاول هنا أن أقوم بعملية رصد للصور التقليدية المستمدة من الذاكرة كما عبر عن ذلك الدكتور مندور وهويتهم الشاعر بأنه يستمد صوره من الذاكرة لامن الواقع

وأقول ٠٠ مخالفا ماذهب اليه د ٠ مندور

ان شاعرنا أول من أبدع فى العصر الحديث الصوره الشعريه غير المألوفه للسمع العادى ٠

فأحدث ثورة فى الحس والشعور لاعهد للأدب العربى بها من قبل تواكبها هذه المبالغة فى الصور التى تجعلها دائما على ما كان ينبغى لها أن تتحمل ٠

ذلك لأن وراءها الطاقة التى لا يتحملها اللفظ ومن هنا تهوم وتتشعشع وتحدث حولها مجالا كهربيا يصعق القارىء الهزيل فى بعض الأحيان ٠٠ولايخلو الأمر من أن تكون هناك صور تقليدية ٠٠ فكل فنان له عثراته ٠٠ وكبواته ٠ ومحمود حسن اسماعيل حتى فى صوره وأخيلته التقليدية ٠ يضفى عليها ظلالا من روحه وينفث فيها من ذاته فيحجب ٠ التشوه ٠ ويخدع مشاعرنا بصنعته اللطيفة ٠ وحين نقرأ قصيدة « خمر الأنوثه » نشعر بمزاج الشاعر التقليدى فهو يصف حبيبته مصورا اياها بالخمر التى لم تسكب فى الدنان ولم تعصر

---

(١) اغانى الكوخ ص ١٢٩

من رحيق لاعنب ·· وتلك نظرة قديمة حاول أن يوشيها بثوب الجدة ···
بهذا النفى ·· فيقول ··

هى الخمر ما سكبت فى الدنان ولا عصـرت من رحيق العنب
ولا شعشـعت جامهـا فاغتدت عروسـا مكللـة بالحبب
اذا خلعـت للنـديم العذار فياضيعة الرشـد المستلب

وتجاربا مع ايحاء القصيدة التقليدى وجوها النفسى
نرى الشاعر يصورها بهذه الصورة التقليدية أيضا
لـو ان النواسى غنى بهـا لزين بالطهـر شعر العـرب

● والشاعر يحن الى استعمال الطباق والمقابلة فى تصويره فيقول ··
اذا رق ينفـح طيب الـورود وان هـاج يضـرم حر اللهب

فالمقابلة واضحة بين رق وهاج ، وينفح ويضرم ، وطيب وحر والاوروِد
واللـهب ··

● وكذلك يعتمد الشاعر فى تصويره على التشبيه بكل أنواعه فيستعمل
أداه التشبية كثيرا ·· فالشمس وقت الغروب ··

كأنها نعش خـرفو مـال متكئا
على سريربذوب لانور مخضوب(١)

● ويستعمل الكاف كثيرا فى التشبيه ·· فمثلا نراه يصور النور منتشيا
بصوت المؤذن يقول ···
ولاح كالنشـوان من شـدوه يرقص من بشر على صـيحته

---

(١) اغانى الكوخ ص ١٥٢

ويستعمل أيضا فى تصويره ... الاستعاره التصريحية والمكنية فنراه يصور التسبيح بانسان يعانق ويحذف المشبه ويثبت له لازما من لوازمه وهو العناق .

هذى الطيور البيض قد رفرفت   تعانق التسبيح من مسجده (١)

وينتزع الشاعر فى كثير من صوره . ملامحها من مخزونه الثقافى لا من املاء شعوره عليه ..

فهو اذا شبه المدافع بالحية البيضاء

واضرب على الحية البيضاء ان انها   سماخفى الردى فى سائر البؤر (٢)

واذا شبه الفقراء الذين أصابهم النحول من الاملاق شبههم بغصون البان ... وفى هذا تنافر لا نقبله لأن العرب يشبهون العذراء .. الملداء التى تتثنى بغصن البان وذلك موقف بهيج يحدث فى النفس الوانا من السعادة ويوشى الروح باصباغ من البهجة .. وذلك الجو يختلف تماما عن الجو الذى وصفه الشاعر فهو يعبر عن عاطفة حزينة لاتتفق وذكر غصن البان ..

وارفع ظهورا أحال الرق أعظمها

اقواس ذل على الأعتاب منتظر

تأودت كغصون البان من ملق

يلقن الجيل بلواه من الصغر (٣)

وفى قصيدة « عهد الذئاب » نلمح تصويرا تظهر فيه مسمة التجديد .. فالشاعر يحيا واقعه المرير ويؤكد ان العيد ليس عيده الآن ولكن العيد هو

---

(١) صوت من الله ص ١٠١

(٢) نار وأصفاد ص ١١٠

(٣) نار وأصفاد ص ٨٨

الحرية ٠٠ ويصور البلد مذبوحة مثل الشاة ٠٠ وان كان التشبيه تقليديا ولكنه يعمق فينا الحماس وفى نفوس الناشئين مما يدفعهم الى الهبوب لأخذ حقهم فالعيد هو الحرية

ذبحتم الشاة قربانا وأمتكم	ذبيحة مثلها لكن بغير يد
فان فعلتم فعيد الدهر يرقبكم	وان تخاذلتم ياضيعة البلد (١).

● ويصور السلام بغصن الزيتون ويصفه بأنه يتيم ٠٠ اشارة الى الحرب العالمية الثانية

والتصوير وان كان تقليديا لكن الشاعر يجبرنا على احترامه بانطلاقه الجامح وخياله الخصب وشاعريته الهادرة كالموج الظامىء للشاطىء ومشاعره الهائجة كالبحر الغاضب ٠٠

***

● والشاعر متأثر بالحكم التقليدية القديمة التى دائما مانجدها فى نهاية كل مقطع من القصيدة شأن الكلاسيكيين الكبار أمثال شوقى والجارم والبارودى وحافظ ٠٠ وشأن الشعراء العرب العظام أمثال زهير بن ابى سلمى والمتنبى ٠٠

● ولكن الذى يحمد لشاعرنا أنه يسوق الحكمة الرائعة المستوحاة من التجربة الشعرية وليست المنفصلة عنها التى هى أشبه بالمواعظ على نحو ماكان يفعل صالح بن عبد القدوس فى حكمه الوعظية ٠

يقول الشاعر من قصيدته « أذن الفجر »

ووالله ما تمضى الشعوب لغاية

وتدركها والقيد فى خطوها جمر

---

(٢) السابق

وكيف يحث الخطـــو شعب مقيد

اذا لم يحطم قيـده الثائر الحـر

● ومع هذه الحكم ٠٠ نطالع بعض الصور التقليدية المحضة ٠٠ التى لانكاد نميزها عن شعر القدامى ٠٠ اضافة الى نبرتها الخطـابية الزاعقة ٠ وذلك فى مثل قوله ٠

خذوهم ولا تخشوا غرابيب كيدهم

فما تفعل الغربان لو رفرفَ النسر

ويختم القصيدة ختاما تقليديا محضا ٠٠٠ بقوله

وما تسكب الأوطان صفوا لأهلهـا

اذا لم تكن نار الجهاد هى الخمر

ومن رام اكتـــاف الجبـال غدا له

رحيقا من الصهباء مسلكها الوعر

وتحس هنا بالتنافر الشديد فى الموقف النفسى وعدم التآلف بين الصوره والايحاء ٠٠ فالقصيدة تحية للفدائيين ٠٠ الذين يسطرون أروع الملاحـم وأى علاقة بين النار والخمر ، وبين اكتاف الجبال ورحيق الصهباء وماذا تكون النتيجة اذا تصورنا أن هناك جيشا من السكارى اللاهين العابثين ٠٠٠٠ معروفة حقا ٠٠ تلك النتيجة ٠٠

● وفى تصوير الشاعر فى ديوان نار واصفاد رنين خطابى فهو يستعمل اساليب الأمر كثيرا ٠٠فنسمعه يقول خذوهم ، فهيابنا ، كونوا لهم صـــفا من الله بأسه ، وتلك النبرة تحدث شرخا كبيرا فى البناء المعمارى للتجربة الشعرية وبالتالى تسبب فقرا فى الشعور ٠

---

(١) نار واصفاد ص ٩٢

وفى القصيدة « النداء المقدس نلمس جهارة الصوت والخطابية المفرطة

لقد طال نومكم فى القيود فهبوا فقد بح صوت الوطن

وتتوالى سبع مقطوعات تكرر فى كل منها لفظ يناديكم وتناديكم

تناديكم صرخة فى الشعاب عليها تفح أفاعى الحراب

● وفى قصيدة « نفخة الصور » (١) يستعمل الشاعر أيضاً أسلوب الأمر المباشر التقريرى الذى يصل الى حد الهتاف الخالى من المعنى العميق

دمر القبر ·· أزجر الموت أخرج

عن سكون ينوح فى ظلماتك

وتحرك فان ركبا من الغيـ

ـلان جوعان فى حشا طرقاتك

فامض للغاصبين بالنار والا

جال واضمم لهم زئير حداتك

● وامعانا فى التقليد يصور الشاعر يد الفاروق بالنور المنقذ من البؤس وبأنها أهلت نعما وفاضت مننا وضفت نورا

فهو يصورها أولا بالبدر ثم بالشمس ثم بالبحر وفى ذلك خيال محفوظ لا مبتدع ·· خيال من الذاكرة لم يفض عليه من ريشته التى يغمسها فى دمه فترسم أصدق اللوحات وانما استعارها من تراثه بدون تصرف ·

ونداء اليد ·· نبرة موغلة فى القدم وفيه توسل وذلة والشاعر الحديث داس عليها بأقدامه ووطئها بعزته وانطلق شامخاً ليعبر عن حرية الانسان فى كل مكان · يقول

يايد الفاروق انا معشر هدنا البؤس وأبلانا الضنى

قد ضربت اليوم فينا مثلا لذوى النعمى وعباد الغنى

---

(١) نار وأصفاد ص ٩٦

ختموا المـال على أكبـادهم	وأصموا عن أسـانا الأذنـا
ليتهم منـك استهلوا قبسا	ثم ساروا مثلما سـرت بنـا
يمسحون الدمـع من أيـامنا	وينسون الليالى ٠٠ الحزنـا
كـف فاروق أهلت نعمـــا	وصفت نورا وفاضت مننـا
فاقبسوا من نورها وامضوا بنا	مثلما يمضي سناها فوقنا (١)

● يا شاعرنا المبدع فى غير ذلك ٠٠ ومانيل المطالب بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

هل تقتصر المطالب على « ليتهم ؟ » وماذا تفيد ليت ؟

وأى فائدة ٠٠ لليد عندما يمر سناها فوق الشعب ٠ انها حينئذ مترفعة وهم فى الحضيض ٠٠ ماذا كان يضرك لو قلت

مثلما يمضى سناها بيننا ٠٠

أعتقد أن الصدمة الشعورية كانت ستصبح قليلة التأثير الى حد ما ٠

● وفى قصيدة فلسطين ٠٠ يصور الشاعر الفاروق بانه الحامى للاسلام وفى يده سيفان ٠٠٠ سيف من الله ، وسيف عزمته وحتى تتم مكونـات الصورة وأبعادها التقليدية يصور الشاعر السيف لامعا فى الليل « ولم تشهد مضاءه بالليالى عين انسان » وهذه مبالغة ممقوتة فماذا فعل الفاروق للاسلام والعروبه ؟ (٢)

بل وأين سيف خالد ؟ وأين سيف عمر ؟ وأين سـيف المعتصـم وأين سيف محمد ؟ ٠٠ عليه السلام ٠٠ وماذا نقول عن اسياف هؤلاء ٠٠ وعنهم اذا قلنا عن الفاروق مثلما يقول الشاعر ٠

---

(١) ديوان الملك ٠٠
(٢) ديوان الملك

تلفت القدس فيها شاكيافمضت	أنوار ملكك فى عطـــف وتحنان
ترعى وترحم والأقدار شـاهدة	وفى يمينك الاســـلام سينـــان
سيف من الله علوى تمـر بـه	كالهول بالهول فى صبر وايمان
وسيف عزمتك الجبار ماشهدت	مضاءه بالليالى عين انســان

ويحق لنا أن نتساءل ٠٠ بعد قراءتنا للقصيدة وهى موجودة بالديوان أين فلسطين ؟ وأين نصيبها من القصيدة ؟

ان القصيدة أشبه برسالة غرامية بين الملك وبين الشاعر !!!

كانت فلسطين فيها لحنا نشازا ٠٠

أنها مأساة ٠٠ فلسطين تحتضر توأد ٠٠ تضيع ٠٠ وأنت تغنى للملك وتصدح فى عيده ويبيض نغمك بسنا الملك ٠

ولم تشهد الأقدار الا بالخزى والعار للملك الذى ذل جبهة الشرق وجعلها فى الرغام عام ١٩٤٨ ألف وتسعمائة وثمان وأربعين ٠

وهل تتفق البشرى والتحية واللحن والترجيع ورنة الألحان فى مسبح الشمس وأعياد القصر والمواسم التى ما أصاب فرعون فرحتها ٠

هل تتفق كل هذه الصور الراقصة الناعمة مع عنوان القصيدة « هـــذه فلسطين » ودراماها الحزينة حيث يشرد أبناؤها وتهتك أعراض نســـائها ويذبح أطفالها ٠

أنها سقطة فنية ٠ كبيرة كبيرة ٠ واهتزاز فى الرؤية الشعرية والتخييلية والجمالية عند الشـــاعر حيث حجبت ملاءة النفاق الكاذب ضياء لصـــدق الوهاج عن حس الشاعر وشعوره ٠

● وقد يسرف الشاعر فى تكثيف الصور ثم يفشل فى تجميع الصورة الكلية كما فى قصيدته « حصاد القمر » ٠

ولا انكر انها شدتنى وقراتها أكثر من مرة ٠٠

شدتنى انغام الشوق الصوفى الذى يصل الى درجة الحرمان المغلف بالغزل ٠٠ والربط بين نفسه وبين البيئة وبين ذاته المجروحة وبيئته المقهورة ٠

وبرغم ذلك فالدكتور مندور له رأى فى صور القصيدة حيث يعدها نموذجا لصوره الجزئية ٠٠ الجديدة التى لا تتآلف مع الايحاء النفس للعمل الفنى ٠٠

يقول الدكتور مندور « القصيدة كما يقول الشاعر فى بطاقته »

« وحى سياحة قمرية فى ليلة من ليالى الحصاد »

وهاهو شاعرنا يبدأ بوصف الحقل ٠٠

« سيان فى جفنه الاغفاء والسهر

واذن نحن فى حالة هيام شعرى تستوى فيه اليقظة والنوم نحن ان أردت فى حلم يقظة « نعسان يحلم والأضواء ساهدة وهذا لاريب جو الانهام الشعرى ولكنه جو قيد الشاعر ونحن لا يعنينا منه صدقه « أو كذبه ، أو تصنعه ٠ فالشاعر يدعونا الى هذا الجو ٠٠ وقد أعاننا على أن نحيط أنفسنا به لنخلق جوا مشابها ٠٠ وننظر مع الشاعر فماذا نرى ؟

نرى أن السنابل قد نامت واستيقظ القمر ٠ القمر الذى ينشر الأحلام ٠ وهذا يسلمنا الى ملاحظة عامة خطيره على شعر محمود حسن اسماعيل وهى مصدر مافيه من تنافر وأعنى بها تشخيصه للأشياء ٠

والتشخيص لاريب من وسائل الفن القوية

ولكن لا يمكن أن يكون مجرد عبث أو مهارة بل من الواجب ان تمليه الأشياء املاء يقر به وقد مسه بجناحه فاذا به كالحقائق ٠٠

والفن الى حد بعيد ٠٠ ايهام بالخلق ـ خلق واقع شعرى فهل نجح الشاعر فى ذلك ؟

انني أنظر فأرى « قلب النسيم ولهان ينفطر للأضواء والسنا قد مال جاثيا » و « نخلة قد أطرقت بتلعة ·

وظل النخل « كأنه مضطهد » ثم أرى الدوح « نشوانا »
ومع ذلك يدعونا الشاعر أن نخشع ان مررنا بالدوح النشوان ما هذا التنافر ؟ لماذا ينفطر قلب النسيم ولهان بالأضواء ؟ أهذا تجسيم لاحساس الشاعر ؟

أهو تصوير النسيم تصويرا مجتلبا ؟
ولماذا يجثو السنا وهو يحنو على الشاعر ؟ وينساب اليه من السماء
ثم ان الجو كله أحلام هادئة فيها لاريب حزن خفيف ومع ذلك فجأة نرى الدوح نشوانا

وكل هذا تخبط فى الرؤية الشعرية أو انعدام لها ومن عجب أن تجد وسط هذا التنافر البيت الرائع بتصويره

ان هب نسم بهـا خيلت ذوائبهـا
أنا مـــلا مرعشـات هـزها الكبر

وأنه يجاور هذا التصوير الجميل تشبيهه لظل النخلة « بمضـطهد » وأغصـــان الدوح بأشـــباح قافلة غاب عنها الرفيقان « الركب والســفر وقد نزل على الدوح ضيفان ·· الليل والقدر « ليتم الازدواج الكاذب » الليل والقدر ، والركب والسفر ·

أما الليل فنستطيع أن نفهمه · ولكن ما شأن القدر هنا ؟
وما الرأى فى غياب السفر ؟ كناية عن ثبات الدوح وعدم تحركه ، قد يكون فى غياب الركب ما يشعر بالوحشه ولكننى فى الحق لاأدرك العبارة عن السكون بغياب السفر والأغصان مبهورة ذاهلة ، ولكنها مـع ذلك قـد تكون منتعشة بشجو الرياح ·

وما أريد أن أدركه هو وضع تلك الأغصان ٠ كيف كانت ؟ أو كيف رآها الشاعر ؟ ذاهلة أم منتعشة ٠

اننى لا أطيق ما يلقيه الشاعر فى نفسى من عجز عن ادراك ٠

ما أرى ٠٠ ثم ان القمر هيمان يحمل وجد الليل أضلعه « وقديما قاتل النقاد أبا تمام لقوله « ماء الملام » وثار به الآمدى ٠٠ اذ وصف « حمرة الخدين بـ « ملطومة الخدين بالورد » فلماذا يقول المسكين الآمدى لو سمع محمود حسن اسماعيل يتحدث عن أضلع القمر (١) » ؟

● والاجابة ياسيدى الناقد سهلة جدا وبديهية تماما وذلك أن العصر يختلف وتختلف لغته وأخيلته وصوره وتتفتح العيون دائما على كل ما هو جديد ورائع وينمو الخيال مع نمو الزمن ٠٠ وتغير البيئة ٠٠

وأعتقد أن الآمدى لو عاش فى القرن العشرين وعرف مذهب الرمزيــــة والسريالية ٠٠ وأدرك أن هناك تراسلا بين الحواس ٠٠ وأنه من الممكن وليس من المستحيل أن تسمع العين وترى الأذن ٠

● لو أدرك الآمدى هذا العصر ٠٠ لما عاب على أبى تمام شيئا وأقر بشاعرية محمود حسن اسماعيل ٠٠

● وأعتقد أن القمر هنا هو الشاعر نفسه ٠

ان الشاعر ينصهر فى أحضــان الطبيعة ومظاهرها الى درجة تصل الى الاتحاد والحلول ٠٠ كالمتصوفة الذين يهيمون فى العالم الكلى ٠٠ ويغيبون عن عالمهم الأصغر واذا بهم فى النور الأكبر ٠٠ أشعة نقية ٠٠ طاهرة ٠٠٠

● ويقول د ٠ عبد العزيز الدسوقى محللا موقف د ٠ مندور من الشاعر

---

(١) الميزان الجديد ص ١٠١ د ٠ محمد مندور

« ونا أعرف أننى لم أفهم على وجه الدقة حقيقة المآخذ التى يأخذها استاذنا الدكتور « مندور » على هذه القصيدة ، فهى مجموعة من التساؤلات العـــامة الغامضة ٠٠ غير المحددة ٠٠

ومن الغريب أن القصيدة تموج بالصور الهامسة الخافته وهى أقرب فنيا الى الشعر المهموس الذى كأن يدعو اليه مندور ٠

من كثير من القصائد التى أعجب بها ٠ ويبدو أن د ٠ مندور لم يكن يتعاطف هو والشاعر سياسيا فصرفه ذلك عن التعاطف مع القصيدة ، ونو فعل ذلك لتبين له جمال الصورة المركبة التى رسمها الشاعر ٠

« الدوح نشوان وضيفه الباطشان : الليل والقدر » ولعرف أن « السنا الجاثى » جثا على الحقل لاعلى الشاعر (١)

---

(١) محمود حسن اسماعيل

مدخل الى عالمه الشعرى ص ٣٥ ـ ٣٦ د ٠ عبد العزيز الدسوقى

الفصل الثالث

« الشــكل »

● ان الشكل المتوارث اذا وجد الشاعر الضخم يستطيع أن يستبطن مشاكل الانسان المعاصر ويبرز الظواهر المتداخلة داخل عوالم التجسدات وأخيرا يستطيع أن يجمع من حوله الانتباه واليقظة والدهشة والشاعر هنا هو محمود حسن اسماعيل ٠

والشكل المتوارث هو الشـعر الحقيقى ذو القافية الواحـدة أو القوافى المتعددة « نظام المقطوعات » والقافية الواحدة التى كانت من مقومات القصيدد العربية قد فقدت منزلتها وبدأت تتراجع أمام القصائد المنوعة القوافى التى غلبت على دواوين الشعراء العصريين وأصبحت القصيدة تتكون من مقطوعات لكل مقطوعة قافيتها ٠ وتتحدث كـل مقطوعة عن فكرة ٠ فينتقل الشاعر فى قصيدته من فكرة الى فكرة دون أن تجهده القافية الواحدة ٠٠

وينتقل القارىء من مطقوعة الى مقطوعة دون أن يحس بملل من الموسيقى الرتيبة ٠

والواقع أن القوافى المنوعة قد عرفهـا الأندلسيون فى موشـحاتهم فهى ليست جديدة تماما « كل الجدة على الشعر العربى ٠ ولكن الجديد هـو ذلك الشعر المرسل الذى لايتقيد بنظام معين فى ترتيب قوافى القصيدة (١)٠

---

(١) تطور الشعر العربى الحديث فى مصر د ٠ ماهر حسن فهمى ص ٢٢٤

● والشعر فن من الفنون الجميلة مثله مثل التصوير والموسيقى والنحت وهو فى أغلب أحواله يخاطب العاطفة ، ويستثير المشاعر والوجدان وهو جميل فى تخير ألفاظه ، جميل فى تركيب كلماته ، جميل فى توالى مقاطعه ، وانسجامها بحيث تتردد ويتكرر بعضها فتسمعه الآذان موسيقى ونغما منتظما ٠

فالشعر صورة جميلة من صور الكلام (١) ٠

وحول شكل الشعر ووظيفته دارت معارك طاحنه وبخاصة فى عصرنا الحديث ٠٠ والمعركة مازالت مشتعلة بين أنصار القديم وأنصار الجديد ٠

ويهمنا أن نوضح آراء بعض النقاد والشعراء من قضية الشـــكل حتى نستطيع أن نقوم رأى شاعرنا فى ظلال هذه الآراء ٠٠٠

« فالضد يظهر حسنه الضد » ٠٠

والمعروف أن القصيدة العربية سارت على نظامها المعروف طيلة عمر التاريخ الأدبى السحيق ٠ اللهم الا بعض التجديد فى الموشحات الأندلسية ٠

وقد اصطدمت تيارات ثـلاثة فى هـذا القرن ٠٠ التقليدى والرومانسى والواقعى الاشتراكى وقد هاجم انصار التقليد الشكل الجديد فى الشعر نقادا وشعراء ٠

ففى الحفل الذى أقيم يوم الأحد فى القاعة الذهبية

احياء لذكرى باعث الشعر العربى فى العصر الحديث محمود سامى البارودى القى الأستاذ عبد الرحمن صدقى مقطوعة شعرية ينقد فيها الشعر الجـديد بروح فكاهية فقال مخاطبا البارودى

يا باعث النهضـة من بعد ركـود

وقائد الحملة فى وســط الجنـود

اليك من جنـــدك فى الشعر السلام

---

(١) موسيقى الشعر د : ابراهيم انيس ص ٧

لو عدت من شوق الى هذه الربوع

أحمدتها ، لـــولا فتون وصـنـدوع

أحدثها فى الشـــعر أحفـاد الامـام

أحدث أحفـــادك فى الشـــعر جديد

منذ رأوا فى الوزن قيدا من حديد

أعياهم النظم فنـــادوا لانظام (١)

● والأستاذ على الجارم هاجم الشعر الذى يسير على نظام المقطوعات فى رثائه لأحمد شوقى وحافظ ابراهيم عندما وجه الحديث الى شوقى فقال ٠٠

سكت العندليب فى وحشة الدو ٠٠

ح وغنت نـــسواعق الغربان

فســمعنا من النشــوز أفانين (٢)

يروعن صــــادح الأفنـــــان

أســـمعونا برغمنــــا ٠ فصـــبرنا

ثـم ثرنــا غيظنا ٠٠ على الآذان

جلبوا للقريض ثوبا من الغر ٠٠

ب ولم يجلبوا سـوى الأكفـــان

ثم قالوا ٠٠ مجددون فأهــــــلا

بصـــــناديد أخريـــــات الزمـــان

لاتثوروا على تراث امرىء القيس ٠

٠٠ وصونوا ديباجة الذبيـــــــانى

---

(١) الشعر المصرى بعد شوقى ص ٧٥ حـ ٣ د ٠ محمد مندور

● ودافع الأدباء المحدثون عن فنهم ·· ووقتها كانت مدرسة التجديد المصرية هى مدرسة الديوان ·· وهذه المدرسة يمكن أن نسميها اليوم ··· المدرسة الكلاسيكية الجديدة لأن رائدها العملاق الأستاذ عباس العقاد قد وقف فى وجه الشعر الحر ·· متمسكا بقول الشاعر الكبير « اندريه شينيه »

« فلنقل أفكارا جديدة فى أشعار قديمة »

ومحمود حسن اسماعيل لاتشكل هذه القضية أمرا ذا بال عنده مادام الشاعر يملك الموهبة الحقيقية · وأنها قضية غير ذات موضوع · وذلك لأن الشاعر الحق لايبدأ باختيار القالب الموسيقى لشعره بل يترك نفسه لسجيتها عندما يختمر الموضوع فى وجدانه الشعرى · واذا بهذا الموضوع يخرج فى القالب الذى يستريح له الشاعر ويحس أنه قد استنفد كل أوجز ما فى نفسه وشفاها مما تجد ·

وقد يأتى القالب بعد ذلك تقليديا أو جديدا ولا ضير على الشاعر فى ذلك مادام قد أحس بملاءمة القالب الذى انبثق من نفسه لموضوعه ولنوع الخواطر والأحساسيس التى صبها فى هذا الموضوع » (١)

وأنا اتفق تماما مع الشاعر فى رأيه وهو يبعد عن التعصب القاتل للحقيقة والجدل الذى يئد جوهر الحق ·· وسأوضح رأى الشاعر اكثر فى موضع خاص من هذا البحث ··

· · · ·

● والشاعر فى تناوله للايقاع ·· واستخدامه للشكل ·· واستعماله القوالب الفنية قد تطور من ديوان لآخر ومن فترة لأخرى ·

ويمكن أن نقسم دواوينه الى قسمين

القسم الأول : يتمسك فيه الشاعر بنظام القافية الواحدة أو المتعددة ··

---

(١) المجلة عدد يونيو ١٩٦١ ص ٥٧

أو الرباعية أو النظام المخمس أو المسمط على نحو ما كان يفعل شعراء الأندلس في موشحاتهم ..

ويمثل هذا القسم .. عند الشاعر .. الجانب التقليدى فى شكل الشعر .... وخير ما يمثلها دواوينه .

أغانى الكوخ ، أين المفر ، هكذا أغنى ، الملك ، نار وأصفاد ، قلب قوسين، التائهون ، لابد .

● القسم الثانى : وهو الذى يمثل الفترة الأخيرة للشاعر حيث تطور قالبه الفنى حتى كاد أن ينكر نظام الشطرين نهائيا وكذلك المقطوعات .... لينطلق الشاعر مع ركب الشعراء الجدد فى قالبهم ذى التفعيلة والمسمى بالشعر الحر .. « شعر التفعيلة » ونلمح هذه الظاهرة فى ديوانه .. صلاة ورفض ، نهر الحقيقة ..

● والشاعر أحيانا يحن الى قافيته القديمة ولكن ليست القافية الجاهزه المصبوبة فى قلب حديدى « أكلشيه » يتناوله كل من توفرت فيه الأمية الشعرية ليبصم به على مشاعر القراء والسامعين . فيحسبون أنه شاعر . وما هو بشاعر أبدا ولاحتى متشاعر ..

● ولكنها القافية المنسابة المقتطعة من الشعور التى يمكن ان نسمى أبياتها الجمل الشعرية ..

والشكل الذى سأتناوله بالمعالجة هنا .. الشكل التقليدى « ذو الشطرين » أما الشكل الجديد فله مكان آخر من البحث

● ونحن حينما ننظر فى ديوان أغانى الكوخ وهو أول ديوان ظهر للشاعر تطل علينا .. روح الشاعر التقليدية من خصاص الفن فالديوان كله الا بعض القصائد مصبوب فى قالب تقليدى حسب نظام القافية الواحدة ، وإن كانت

المضامين جديدة فى أغلب الديوان ··· وكأنه تأثر بأندريه شينيه الشاعر الفرنسى حينما قال : « فلننقل أفكارا جديدة فى أشعار قديمة »
ولم نلمس فى الديوان تصرفا فى الموسيقى الا نادرا ··
وتتكرر القصائد العمودية فى أغلب دواوين الشاعر ·

● ففى أغانى الكوخ يقول فى قصيدته « الكوخ » (١) وهى تبلغ أثنين وخمسين بيتا بقافيه موحدة ··

بعثر عليه الدمع ما صفقت
فى قلبك الألحان يا شاعر

واحرق له الأجفان ما مسها
برح الضنى والحزن يا ساهر

عرج عليه ساعة واتخذ
فى ظله مأواك ياعابر

وهذه القصيدة من بحر السريع وهو من البحور القليلة الاستعمال فى الشعر الحديث ووزن البحر ·· مستفعلن مستفعلن فاعلن مرتين والشاعر لايستعمل هذا البحر كثيرا فى أشعاره ·

وفى ديوان أين المفر تكثر القصائد العمودية وان كان الشاعر أصبح اكثر تصرفا فى الموسيقى ··

وقصيدة « نهر النسيان » وأخواتها « جلاد الظلال » « والشك » ··· تتسم بالقافية الواحدة حيث تبلغ « نهر النسيان » أربعة وثمانين ٨٤ بيتا وفيها يقول الشاعر ··

---

(١) أغانى الكوخ ص ٢٢

اسقيانى من خمـــرة النسيان وانسيانى فقــد نسيت زمانى.

ونسيت الشباب والخمر والأحــــلام

والفــن والرؤى والأغــــــانى

والقصيدة من بحَر الحفيفَ : فاَعلاتن مستفعلَنَ فاعلاتن مرتينَ

وهذا البحر ·· يستعمله الشاعر كثيرا فى دواوينه الأولى

وقصيدة « جلاد الظلال » تبلغ واحدا وسبعين بيتا قافيتها موحدة وتذكرنا بقالب الشعر الجاهلى القوى الرصين ·

دعوها على راحاتــه الخضر ترتمى

فقد شــفها يـــرح الهجير المسمم

رمت فوقه أشجانها وتنفســـت

اليـــه بشـــكوى عابر لمخيــم

والقصيدة من بحر الطويل ·· فعولن مفاعيلين فعولن مفاعلن مرتين

● ولا يرد هذا البحر كثيرا فى شعر الشاعر الا فى القصائد الطويلة ·· حيث نرى شاعرنا يصب مشاعره فى هذا القلب الطويل الهادىء ··

● وديوان ·· هكذا أغنى ·· تتضح فيه الروح التقليدية وقد « جاء بهذا الديوان قرابة ألفين ٢٠٠٠ من الأبيات موزعة كالآتى الكامل ٤٠٪ الحفيف ٣١٪ الطويل ١٠٪ السريع ٧٪ الرمل ٧٪ البسيط ٤٪ » (١)

---

(١) موسيقى الشعر د · ابراهيم أنيس ص ٢٠٧

(٢) هكذا أغنى ص ١٩١

وهذه الاحصائية تعطينا فكرة دقيقة عن القالب الموسيقى الذى يحن اليه الشاعر .. وغالبا مايكون بحر الكامل .. وهو البحر الذى كثر ذيوعه فى العصر الحديث أصبح أغلب الشعراء .. ينظمون على تفاعيله .. حتى نستطيع أن نؤكد حقيقة هامة هى أنه اذا كان بحر الرجز .. حمار الشعراء فى العصر القديم فان بحر الكامل .. مطية الشعراء فى العصر الحديث ..

وذلك لما فيه من انسياب فى اللحن وخفة على السمع ..

● وفى الديوان نفسه « هكذا أغنى » يصف الشاعر الغراب فى قدرة فائقة فى قصيدة تبلغ مائة بيت وتسعة أبيات ١٠٩ بيتا وهو وصف ملحمى رائع .. يقول مخاطبا الغراب .

سلاما قسيمى فى الحظوظ وصاحبى

وقد أرخصت عهدى القلوب الغوادر

عشقتك منذ النخل مد ظلاله

على تغادينى به وتباكر

ومذ كان لى فى الكوخ عهد فقدته

فسل عنه تنبئك الليالى الغوادر

● وفى ديوان قاب قوسين تتنوع الألحان .. ويكثر أيضا نظام القافية الواحدة وذلك فى القصائد التاليه .

جنازه الرق ، ساعة مع الكوخ ، معجزة على النهر ، صحراء العجائب الوجه المسدود ، العودة الى الله ، النفس والخطيئة ، شاطىء التوبة ، سواقى ابريل ، الملاك النائم ، النيل نعسان ، صلاة الرماد ، وغابت عن الروض ، ربيعنا لايموت .. ثورة الطبيعة ، لوح العدم ، أنا والسمر .

ولنستمع اليه فى قصيدته « شاطىء التوبة » (١) وهى من القصائد الصوفية التى تمثل نظرة الشاعر الباطنية النافذة الى أعماق السر الذى يبحث عنه دائما ٠

وشــــاطىء فى يـــديه كفـــــارة للخطـــايا
ذهبت يومـــا اليـــه بأدمعـــى وشـــقايا

وأشهد أن هذه القصيدة كانت الطريق التى قادتنى الى دروب الشـــاعر المجهولة وعرفته عن طريقها ٠

ونمضى مـــع الشـــاعر ٠٠ وقوالبه الفنية الثـــابتة فنرى فى ديـــوان « التائهون » أن شكل الشعر بل والمضمون أيضا فيه حس تقليدى ٠ وان كان موضوع الديوان واحدا لكنها قصائد متفرقة متباعده ٠

● وحتى فى ديوانه « صلاة ورفض » نرى الشاعر لايهمل نظام الشطرتين فهو يحن للقافية دائما ٠٠٠

وقصيدته « الأذان الذبيح » (٢) تبلغ ثمانية وستين بيتا يقول فيهـا

تلفت فمـــازال خطـــو النبى يرش لك النـــور بالراحتين

ويسقيك اســـراؤه فى الظـــلام
رحيـــق القداســـة من خطـــوتين

ويستمر احساس الشاعر الموسيقى الذى يحن للقافية الواحدة ٠

● ويباروعة القافية حين تجد الشاعر الأصيل ليصب بين شاطيئها

---

(١) قاب قوسين ص ١١٤
(٢) صلاة ورفض ص ٩٠

مشاعره فلا تضل سفنته فى المحيطات وتموج بغير ضفاف وتسير بلا شراع ٠٠ يقول فى قصيدته ٠ « قاهر النهر » (١)

عانقت شمس الضحى أعلى ذراك
وحبا التاريخ شوقا كى يراك

وشدا النيل وغنى موجه
للذى شاد من البأس علاك

كنت لجا شاردا تجرى به
عاتى التيار للبحر يداك

وأتاك العلم والعقل على
ثورة بيضاء يدريها ثراك (١)

وفى ديوان « لابد » تقل القصائد العمودية الى درجة كبيرة ومن هذه القصائد قصيدة « من نار السكينة » (٢) التى تمثل اغراق الشاعر نفسه فى البحث عن السر المجهول الذى يعذبه دائما ٠

الهى ومازال فى الناس سر
وشط من الوحى مازرته

ولا شربت حيرتى منه لحنا
ولا أى يوم بها جئته

عميق كحلم الرؤى فى خيال
على غفوة الروح كفنته

---

(١) نهر الحقيقة ص ١٨٥
(٢) لابد ص ١٤٩

تواری وأســـــبل أنغـــامه
على وتـــــر كنت قطعتـــــــه

وأحرقت فيـــه ربيــع الحيـــاة
ومن غفـــوة القلب ودعتـــــه

ولم يقتصر الشاعر على نظام القافية الواحـدة بل هناك تشـكيلات أخرى موسيقية ·· جعلها الشاعر وعاء لأفكاره وأغانيه العذاب استمد بعضها من القديم « الموشحات الأندلسيه » واخترع بعضها الآخر لأنه كلما تقدمت الحضارة كلما ازدادت الحاجة الى التنويع فى الأداء والألحان ·· وذلك حـدث فى الشعر الأندلسى حين · أحس الأندلسيون بتخلف القصـيدة الموحدة ازاء الألحان المنوعة وشعروا بجمود الشعر فى ماضيه التقليدى الصارم أمام النغم فى حاضره التجديدى المرن وأصبحت الحاسة ماسة الى لون من شعر جديـد يواكب الموسيقى والغناء فى تنوعهما واختلاف ·· ألحانهما ومن هنا ظهر هذا الفن الشعرى الغنائى الذى تتنوع فيه الأوزان وتتعدد القوافى والذى تعتبر الموسيقى أساسا من أسسه فهو ينظم ابتداء « للتلحين والغناء » (١)

● والقصـــائد المقطعية ذات لونين ·· لون ليس فيـــه تنوع الا فى القافية التى تتغير من مقطع الى مقطع ··

● ولون ·· يحدث فيه تغير فى نظام القوافى وتقسيماتها ·

● كالمزدوج الذى يتألف من أزواج شطرات كل زوج على قافيه واحـدة تخالف بقية القوافى ·

وكالمربع : الذى يتألف من مقاطع وكل مقطع مكون من بيتين وأحيانا

---

(١) الأدب الأندلسى من الفتح الى سقوط الخلافة ص ١٤٧ د · احمدهيكل

يكون بين الشطرين الأول والثالث منهما اتفاق فى القافية وبين الآخرين اتفاق فى قافية أخرى ..

وأحيانا تكون الشطرات الأربع متحدة فى قافية تخالف فيها بقية المقاطع وفى بعض الأحيان تتحد ثلاث شطرات منها فى القافية وهى الشطرات الأولى والثانية والرابعة

أما الثالثه فتكون حرة ..

و « كالمخمس » الذى يتألف من مقاطع كل مقطع يتكون من خمس شطرات تتحد أحيانا فى القافية التى تخالف قافية المقاطع الأخرى فى القصيدة ...

وأحيانا تتحد أربع شطرات منها فى القافية وتختم بشطرة خامسة ملتزمة فى كل الخواتيم ومتفقة مع قافية الفقرة الأولى « وكالمسمط » الذى يتألف من مقاطع تختلف قوافيها دون أن تحصر فى أربع أو خمس على أن يختم كل مقطع بشطر أو أكثر يكون على قافية متماثلة فى القصيدة كلها ... » (١)

ومن تتبعى لقصائد شاعرنا محمود حسن اسماعيل وجدته قد كتب فى هذه الأنواع كلها « ولم يكتف بل زاد عدة مقطوعات ذات موسيقى وتقسيم جديد ولكنها مقبولة .. وشائعة .. ففى ديوان « أغانى الكوخ » برزت القصائد المقطعية وبلغت سبع قصائد .. واختلفت فمنها الخماسيات والثلاثيات والثنائيات يقول من قصيدته « وقفة حيال القصر » (٢)

ياصرخة الأعصاب لاتهدئى	فى مهجة المحروم من مورده
فالنار مازالت على مضجعى	تذكى بخور القلب فى معبده

وتسير القصيدة على النظام الثنائى كل بيتين بقافية واحدة

---

(١) انظر موسيقى الشعر د . ابراهيم انيس ص ٣٠٠
(٢) أغانى الكوخ ص ٨١

ومن النظام الثنائى قصيدة « دمعة بغى ، والغدير الذهبى وتوجد ايضا قصائد مقطعية كل مقطع مكون من خمسة أبيات وهى تبسمى ، سنبلة تغنى ، من فم الراعى ، والنعس وهذه القصائد من « النوع المسمى بالمخمس » .

وان كانت قصيدة النعش أعدها من « المسمط » فهى تنتهى فى كل مقطع ببيتين متفقين فى القافية ومكررين فى كل مقطع .

● وهناك ملاحظة ملفتة للنظر فى هذه القصيدة . وهى تغيير نظام البحر ـ بل تغير البحر نفسه وهذه ظاهرة تجديدية فى الايقاع سبق بها الشاعر زمنه وعصره .

فالقصيدة من بحر البسيط ـ والأبيات التى بها المقطع ليست على وزن البسيط وانما هى من مجزوء الخفيف ...

مستفعلن ـ فاعلاتن .. والتغيير أحدثه الشاعر لضرورة فنية فالأبيات تقوم مقام الموسيقى الداخلية فى القصيدة وهى أشبه باللحن الجنائزى الذى يشيع .. الراحل فى مركبته الخشبيه محمولا على الأعناق ..

غادرت دنياك لم تحفل بضجتها
حول الركاب ولا بالدمع الجارى

يمشى اليتامى بأكباد ممزقة
من النجوى ورحيل الموكب الشارى

وللأرامل صرخات لها حزم
تحت الأصابع مشبوب من النار

لاحت مناديلهن السود خافقة
كأنما فصلت من حالك القار

كأنها فى سـماء الحـزن أغربة
تنعى حياتك فى لهـف وانـذار

لفـوك فى سـابرى		مكـلل بالزهـور
ما قيمـة الزهـر يزهو		على طعـام القبـور

● وقصيدة « العذراء الشهيدة من ابداع الشاعر الموسيقى وتصرفـه المبتكر فى الشعر وايقاعاته · فالبيت له قواف ثلاث وكل بيتين يشـتركان فى ستقواف ويمكن أن نسمى هذا النظام · السداسى، والايقاع هنا غير مفصول عن ايحاء القصيدة وجوها الشعرى فكأن الكلمات بتركيبها النغمى أمواج البحر وهى ترتفع وتهبط فى عنف والعذراء تصارع الموت وتتشبث بالحياة ·· ولكن فى النهاية ·· تسبح مع الأمواج ·· حيث غرقت روحها فى لجة العدم ··· اللانهائى والعذراء الشهيدة ··

راحت بلا زورق	تنساب فى المـاء	كأنهـا موجـه
فى صـمتها تخفق	لحنا بـلا ناء	أنشـودة اللجـه
تقول يا جـانى	هزأت بالمـوت	وانت لاتـدرى
فصـغت الحـانى	فى سكرة الصمت	من عـالم سحرى
أرثى بهـا عذراء	منهوبـة العمـر	كالحـلم الغـافى
طافت بهـا الأنواء	فى ثبج البحـر	كالزبد الطـافى (١)

● وقصيدة « أغانى الرق » جديدة فى موسيقاها ·· وهى أشبه بالمربع فهى تتكون من مقاطع كل مقطع يتكون من خمسة أبيات والبيت الخامس قافيته مختلفة ··

والبيت مكون من شطرتين ·· شطرة طويلة وأخرى قصيرة وهو نوع من التجديد فى موسيقى الشعر ··

---

(١) أغانى الكوخ ص ٧٧

ألقيتنى بين شـــباك العذاب وقلت لى غـــن

وكل ما يشجى حنين الربـاب ضيعته منى

هذا جناحى صارخ لايجـــاب فى ظلمه السجن

ونشوتى صارت بقايا سراب فى حانة الجن

أواه يا فنى لو لم أعش كالناس فوق التراب (٢)

ومن المسمط قصيدة « العزلة ٠٠ »

فى روضـــة معطـــار تخضـن بالتذكـــار

هاجت بهـــا الأفكـار نـــارا على قلبـــى

فيها جنـــاح طـــار وعطر أيـــك ثـــار

وجـــدول هـــــدار يجرى بـــلا سـكب (١)

ومن « المخمس » قصيدة الخريف يقول

أوشـــكت أقطـــع أوتـــارى وأطيـــح بنشـــوة مزمارى

وأعيش كنســـــر جبـــار يشـــجى بعـــويل الاعصـــار

وبصمت القمم الهدار (٢)

ومن الموشحات التى صاغها الشـــاعر على غرار موشـــحات الأندلس قصيدة عرافة الزهر ٠٠ والزهرة اليتيمة

وهو يخاطب الزهرة اليتيمة ٠ فيبدأ بالقفل ثم البيت ثم يختم المقطوعة بالقفل الذى تكرر قافيته فى كل مقطع

لئن مـــات حولك نور الضحى ورانت عليـــك ســـتور الظلام

فلا تحزنى فالهـــوى فى دمى صـــباح يزلزل هـــذا القتـــام

(٢) أين المفر ص ٦

(١) أين المفر ص ٣٧

(٢) أين المفر ص ٦٥

وفجرى مدى الدهر يبقى لك

تشعشع أنواره حولك

وتسقى اباريقه ليلك

سنا خمرة لم يذقها الأنام (٣)

وقصيدة الذهول ٠٠ ترقص موسيقاها رقصات هادئة أشبه بلثم شعاع القمر لو جنة النهر ويمكن ان نقول انها من المثمن « أو المربع المضعف » اذا صح هذا التعبير ٠

نام السنا فوق ضفاف الذهول	ياليته يصحو
كأنه زنبقة فى الحقول	أسكرها الصبح
أو نجمة بين ثنايا الأفول	مات بها اللمح
أو نسمة قيدها فى الهول	من شمسها لفح (٤)

وكثيرا ما يصب الشاعر مشاعره فى أناشيد لتغنى ٠٠

يقول من نشيد « عاش الملك »

نفخت بنارك عزم الوطن

وأبرأته من جراح المحن

وعلمته كيف يلقى الزمن

قوى الجنان ٠٠ قوى البدن

فجئنا اليك نهز اليمين

ونقسم أنا سنطوى السنين

ونعلوا بتاجك فوق الفلك

ونهتف بالروح « عاش الملك » (١)

---

(٣) أين المفر ص ١١٣

(٤) هكذا اغنى ص ٦٧

(١) الملك ص ١٤٨

والشاعر كثيرا ما يتأثر بنظام الأرجوزه فتراه يستعمل هذا القالب كثيرا مع التصرف الموسيقى فى عدد التفعيلات ويظهر هذا الاتجاه فى مثل قصيدة « سارق الضياء »

باللـــــــه يا تـــــراب	ياعـــــازف الخـــــراب
يا مشـــــجى الســـــكون	بصـــــــجة المنـــــــون
ياســـــاقى الفضـــــــاء	تــــــأوه الفضـــــــاء
يا خـــــادع الأنـــــام	بوجهـــــك المضـــــــام
وانت فى النهـــــاية	مبـــــــدد الحكـــــايه (١)

وفى قصيدة « المعبد الحزين » نلمح قافية مزدوجة للبيت والقصيده ذات قافيتين ٠ الدال والنون وفى ذلك تجديد وتعقيد أشبه بنظام لزوم مالا يلزم ٠

من ذلك الطارق ؟ لاصوت ولادق يد	هز الســـــكون
ولا عزيفـمنخيال ،مسصمتالأبد	ولا ظنـــون (٢)

وأحيانا نراه يقلد أبا تمام فى الموسيقى الخارجية داخل الأبيات ففى « موسيقى الوداع الأخير » وهو يرثى دكتور غنيمى هلال يقول ٠٠

وكان فأس حاطب ٠ وكان كأس شارب ٠ وكان لمح سارب
فى توهة العبور
وكان درب سابل ، وكان حرب جاهل ، وكان سكب يقظة ونور
وكان فى انطوائه ٠٠ وكان فى انتمائه ، توهجا يدور (٣)

● وأخيرا تطور فن الايقاع عند الشاعر حتى رأيناه فى دواوينه الأخيره نهر الحقيقة ، صلاة ورفض ٠ وبعض القصائد المنشورة

---

(١) قاب قوسين ص ١٣١
(٢) قاب قوسين ص ٢٣٦
(٣) صلاة ورفض ص ١٥٦

يثور ثورة شبه شاملة على نظام الشطرتين
وينطلق حرا ولكنه مع ذلك فيه حنين عميق للقافية
وهو فى قصيدة الأرض ·· يقول فى حرية وانطلاق ورقه

أرض ·· وما أقدسها حياه
ترابها حيـــاه
وماؤها حيـــاه
وعشبها حيـــاه
نسيمها قبـــل
وأفقهـــا أمل
جميلة فى وجهها الحقول والجنائن
عظيمة فى جوها القباب والمآذن (١)

---

(١) نهر الحقيقة ص ١١٩

الفصل الرابع

« المضـــمون »

الفنان هو الذى يخلق لنفسه فعلا ولغيره بالقوة تجربة تأملية موحدة ذات طابع يتميز بدرجة كبيرة من الموضوعية • وذلك عن طريق فرضه شكلا ما على مادته الخاصة • والشاعر هو الذى يخلق تجربة من هذا النوع عن طريق تنسيقه الكلام تنسيقا موزونا • وكل تنسيق موزون للكلام له هـذا الأثر هو قصيدة (١)

● وقد عالجت فى الباب السابق الشكل أو الموسيقى الشعرية عنـــد الشاعر ••• ولا أعنى بذلك أن المضمون منفصل عن الشكل فهما متحدان • اتحادا كليا بل كل مضمون لابد له من شكل بعينه ولا نغالى اذا قلنا وزنا بعينه الى حد ما ، ومن الملاحظ أننى تعمدت أن أذكر أولا فى ذلك الباب الأسلوب والصياغة ثم الصور والأخيلة ثم الشكل •• واخيرا المضمون ••

وذلك لتتم الصورة الكلية التى أردت أن أرسمها لشعر الشاعر فى طـور من أطوار حياته الفنية •

فهو قادر على أن يصب الأفكار المعاصرة فى قوالب قديمة مثلما رأينا فى الفصول السابقة •

---

(١) الشعر والتأمل • روستر يفور هاملتون ترجمة د • محمد مصطفى مراجعة د • سهير القلماوى •

وفى هذا الفصل ٠٠ أعالج فكرة المضمون التقليدى عند محمود اسماعيل والشىء الذى يرفض الشك ولا ينحنى لله ٠٠ أن الشاعر بدأ حياته الفنية بثورة فى المضمون الشعرى انفرد به حيث هاجم شعراء عصره فى ديـــوان أغانى الكوخ ٠ فأغلبهم كان منغلقا على ذاته ويلعن جراح أمسه الذاهب وغده القاتم ويومه الأسيان وليست هناك أى صلة بينهم وبين مجتمعهم ٠٠٠٠

بينما الشاعر عزف على قيثارته الندية الأسيانه أصدق الألحان أمام باب الكــوخ وذاب فى خضرة الحقول ومروج القريه وتحول قلبه لقطرات من اللؤلؤ تنسكب على زهرات الفول والقطن وغنى عذابات الفلاح وجراحاته ٠

وتنسك فى محراب الطبيعة ٠ وكان يحاول جهده أن يحكى بالشعر حياة قريته النائمة فى حضن الوادى فى صعيد مصر ٠

يغنى لزهرة الفول والسيســبان وربما غلبته العملة الشعرية المتداولة فذكر الزنبق والسوسن ٠

ويجادل الضفدع والبومة ولكن الشاعر عنده هو البلبل التقليدى بعينه وربما كان امتزاج الأصالة بالتقليد فى وصفه للطبيعة راجعا الى أنه ألزم نفسه فى كثير من الأحيان أن يكون وصافا للطبيعة المحسوسة ٠

وروعة الطبيعة فى مصر شىء غامض ٠ هى لاتفتن ولا تتبرج ولا تلبس مسوح الرهبان فى الخريف ولا تنطلق نشوى معربدة فى الربيع ان شـــعر الطبيعة فى اكمل صوره وأصفاها شعر دنيوى وشعر وثنى ٠

وطبيعة مصر فى كل ثنية من ثناياها تذكر باثنين : بالانسان والخالق لهذا كان محمود اسماعيل أعظم أصالة حين غنى عذاب الفلاح وحين ذوب نفسه فى سر الوجود ٠ (١)

---

(١) الكاتب يناير ١٩٦٧

وبرغم هذا فقد وقع الشاعر فى شباك التقليد فى كثير من الأحيان وليس قنـــاع القدماء وصعد على مسرح الشعر والزلفى يلقى قصائده على ســمع التاريخ ..

وخير ما يمثل هذه النزعة ديوان الملك . وهكذا أغنى . ونار وأصفاد ففى هذه الدواوين نجد الشــاعر مادحا أو راثيا ، أو مفتخرا أو وصافـــا أو شاعر مناسبات أو يلقى بالحكمة الغير ملائمة للتجربة وكل غرض من هذه الأغراض خاضه الشاعر وأوغل فيه مع ملاحظة أنه كان يضفى عليه من ظلاله الخاصه المتسمة بالجدة

وهى نفس أغراض الشــعر القديم . وسأحاول أن أبرز كـــل غرض وأعطى له من اهمية الدراسة حظه من اهتمام الشاعر به .

أولا ... المدح :

● المدح من أغراض الشعر القديمة جدا وقد كانت له أسبابه ودوافعه التى تبرر وجوده .. وفى العصر الحديث بهت لون هذا الغرض بل حكم عليه بالاعدام نظرا لتطور الظروف واختلاف المناخ الفكرى .. ولكن شاعرنا أحيا هذه السنة .. بصورة أكيدة حين .. خصص ديوانا ونصف ديوان لمــدح شخصية واحدة .. « الملك فاروق »

فقد أصدر ديوان الملك . فى ١١ فبراير سنه ١٩٤٦ بمناسبة عيد الميلاد الفاروقى السعيد ... وقصائد الديوان كلها فى مدح الملك ... وانشئت ما بين سنة ١٩٣٨ ـ ١٩٤٧ .. فترة الحرب العالمية الثانية وغرض الديوان يسىء الى الشاعر كثيرا ويدينه .

والغريب أن الشاعر أصدر قبل ذلك ديوان « أغانى الكوخ سنة ١٩٣٦ وكان الديوان شمسا ظهرت فى وسط السماء الأدبيه المعتمة فشدت الأبصار اليها . وأثار الديوان جدلا كثيرا لأنه ظهر بمضمون فكرى جديد ولغة غربية وصورة شعرية مركبة تركيبا جديدا .

ويأتى ديوان الملك ٠٠ وهو يمثل التقليد الأعمى الذى أصاب الشاعر بعد لبسه الثوب الجديد ٠٠٠ حيث هبط فيه الشاعر من القمة الى الأغوار والسفوح ٠٠٠ والديوان تقليدى شكلا ومضمونا والاهداء الذى صدر بـه الشاعر ديوانه يحمل فى ذاته روح الديوان واثبت هنا نص الاهداء حتى يستطيع القارىء أن يحكم على الأشعار التى قيلت بعد ذلك فى مدح الملك ٠٠ ويحكم للشاعر أو عليه

مولاى صاحب الجلالة

هذا هتاف الفن لأنوارك الجديدة فى كل آفاق الحياة ٠

سكبته من دمى غناء يفيض للدنيا بحبك وينبض فى جوانح الزمن بآيات وطنيتك وحملته الى الوجود أمانة عن تراب واديك العزيز

● من القرية التى خضت ظلالها وأسقامها حتى طرقت باب الكـوخ بيمينك لتطمئن على حياة شعبك « فشددت ساعد الفلاح والعامل » ورقأت دمعة البائس والسقيم ٠ ونفضت غبار الذل والمسكنة عن هؤلاء الذين طرحتهم عبودية الفقر والجهالة فى كهوف النسيان ٠

● ومن المدينة التى لقنتها عدالة الوجود ٠٠ مع أختها القرية تحت ظلال تاجك فآمن كل أبناء مصر بأنهم سواسية على أعتاب ملكك ، وأن الحياة حق للجميع على دين سواء ٠٠

● ومن الآفاق البعيدة التى تفجاها خطاك بالنور والحياة ٠ فتشعر بأنك « وأنت قلب مصر » تغذو كل أطرافها بشبابك وقوتك ، وأنك لاتنـام وحفنة من تراب واديك العزيز يعوزها الضياء ٠

ومن النيل الذى عصمت عزته

ومن الشرق الذى عصبت وحدته

ومن نفخة الصور التى بعثت بها الجيل كله

فكنت حامل الشعلة الأولى فى طريق أيامه
ورائد الوثبة الكبرى فى كفاح نهضته
الى شعبك الفادى أهز هذه الترانيم
والى نورك الهادى أرفع هذه الأمانة

القاهرة أول يناير ١٩٤٦
٢٧ محرم ١٣٩٠
محمود حسن اسماعيل

ويلاحظ أن الشاعر فى المقدمة والاهداء يذكر العمال والفلاحين والجوع والفقر والبؤس والقرية والمدينة ، والنيل والشرق ، والجبل ونفخة الصور . ويقرن كل معلم من هذه المعالم بصفات يضفيها على الملك .

فهل كان الملك كذلك حقا . ربما ، ولكن الذى قدمه كان فتاتا يلتقطه الجياع من على موائد ظلمه .. وهل يكفى الفتات ؟ ويصدر الشاعر الديوان بكلمة الفاروق .

« ارفعوا المشاعل . فوق الطريق . ولا تجعلوها نارا تحرق بل اجعلوها نورا يضيىء » ..

والكلمة لا تحمل من الصدق الا مدلولها اللغوى . وهو يأمر الأمة ولا يقرر على نفسه شيئا .. كلمة كالطبل الأجوف لاتحمل أى قيمة . ويمضى الشاعر فى ديوان « الملك » يرتل أناشيد الزلفى والرياء فى محراب الملك المزيف . ويطيل السجود على أعتابه . لا أدرى لماذا ؟ ربما نعرف بعد أن نسمع ونقرأ اعترافاته التى سجلها ...

● والفاروق فى نظر الشاعر .. « نور من الله » يقول .

نور من الله ترعاه العنايــــات هاتوا أغانيكم فى حبـــه هاتــوا

وهو يملك قدسـية علوية فهى تسير فى ركابه . وحبه قد أسر قلوب الناس.

والنيل والطير ، والشرق والله وتطور حبه وسما حتى انه أصبح هديا منزلا ٠٠

مملك فى شباب العمر تحسـبه	لحكمة الرأى تحـدوه القداسات
أحبه الناس حتى لو سجا حلم	بغير رؤياه تبليـه النفاثـات
أحبه النيل سن أمواجها ترعا	وملء أقداحها منـه بشاشـــات
أحبه الطير حتى قال أعجمهـا	من نشوةبالهدى ٠ أين الربابات ؟
أحبه الشرق حتى صـار قبلته	أنى مشى خلفه تمشى السياسات
أحبه الله اذ أوحى لكل هـدى	بشرى هـداه فخصته الضراعات
كأنما حبـــه للكـون هاديـــة	من الشرائع سـاقتها الديانات

وبعد هذا التملق يصدق حس الشاعر ويغرق فى ضياء وطنه الحبيب « مصر » الوطن والهوية والأمل ٠ فيتكلم عنها فى خمسة عشر بيتا ويجول فى رحـاب تاريخها المورق بالمجد والمثمر بالمفاخر والبطولات ٠ ففرعون ، ورمسيس ، وابراهيم ، والضفاف والطيور ٠ كل هذا :

«دنيا من السحر لم تكشف سرائرها	لساحر لم تكاشفة السـماوات»
سجت رباها وقلب الأرض مضطرم	تفزع الجن من شـكواه أنـات

● والفاروق وحى للقصائد فهو الربيع والشاعر اللحن والوتر حيث يعبر الشاعر عن فرحته بعيد الجلوس ٦ مايو ١٩٤٥ ويصف العيد بأنه : كان عيدا للانسانية والطبيعة والوطن

منك الربيع وفى اللحن والوتر	فـلا على اذا بالشـدو انهمر

وفى هذه القصيدة يذكر الشاعر أهوال الحرب وشـياطينها الجهنمية الطائرات ٠٠٠ ويصف الطائرات وصفا رائعا ٠

أعشاشها من ضلوع الناس ان سكنت
وجـوها هبـوة بالهـول تستعر

والمـاء فيها دم تغلى سـواكبه
كأنـه من حميم النـار ينفجـر

وعزم الملك فى نظر الشاعر عاصفة ، ويده غمامة ، معطاء ، وخطوه فاجئة من الهوى لمشوق فته السهر ·· وهو موسى يشعشع منه الحالك العكر فى سيناء ، وعدله سارية من الضياء ··

والفاروق ·· هو ·· عمر زمانه ··

هذى موازين شعب أنت سائسه

فـاحكم فـانك فى أيـــامه عمر

وتاجه مرصع بالعلا من عهد خوفو · وشعبه كوكبة من الطيور تسبح فى القيظ وهجير الأيام وهذا الروض الذى حفت الناس نداوة عبيره وتفيأت ظلاله وعطفه مغنية تضمد جراح النساء ·· ثم يتوج هذه المعانى المفتعله الكاذبة بقوله ·

شباب ملكك للأوطان أغنية   على صداها جميع الناس قد سكروا (١)

● ونهر النيل فى نظر الشاعر يجرى بهوى الفاروق ·· وقد كرر الشاعر هذا المعنى من قبل وهنا يزيده تأكيدا ورغم أن قصيدته « أسالوا عنه » خـــلابة بموسيقاها المنســابة كماء النيل الذى شــربت منه روح الشاعر الظمــآى ، ولكن مضــــمونها يفقدها هذــــه الحــلاوة النغمية · والنهر فى الحقيقة لا يجرى بهـوى الفاروق ·· كمــا عبر الشاعر بــــل يجرى بهـوى الشعب الذى اخضوضرت الحياة على يديه ·· الشعب الذى قهر الموت على ضفافه ·· حول شاطىء النيل الميمون ··

فلنصم آذاننا ومشاعرنا عندما تسرى الينا كلمات الشاعر

هــو نهــر بهوى الفــاروق يجرى

وعلى راحاتــــــه من روح مصــــر

ينقــل الأمجـــاد من عصر لعصر

---

(١) الملك ص ٢٤

ويسوق الحب موجا خلف مـوج
واله اللجة مشـبوب الأمانى (١)

ان بداية المقطع تصدم مشـاعرنا فلا تتفتح شهيتها لمـا بعد ذلك مهما لذ طعمه وطاب

● والشاعر ·· فى بعض مدائحه نراه يهدف الى أغـراض اكبر من المديح ذاته ·· وتكاد تكون هذه الملاحظة هى المبرر الوحيد الذى يستطيع أن يقف حجة لشاعر فى مديحه للملك ·· وأنه لم يمدح الملك لذات المدح ·· وشهادة للفن والتاريخ ·· أن محمود حسن اسماعيل لم يمدح الملك فى حفلات رقصه ، ولا خلاعته ولا مجونه ·· كما كان يفعل شوقى فى مدحه للملك ··· فى مدائحه الكثيره ··

مثل : حـــف كأسـها الحبب   فهى فضـــــة ذهـــب

وغيرها من القصائد التى يصـف فيه ليـالى الملك وأنهـا تفوق ليالى الرشيد ·· وغيره من ملوك التاريخ ·

وانما أغلب مدائح شاعرنا ·· كانت مقترنة بالمواقف التى كان فيهـا الملك مع الشعب ··

● وقد سألت بعض النقاد والأدباء الذين عاصروا هذه الفترة عن مدى شعور الشعب عندما تولى فاروق ملك البلاد ··

فقالت لى الشاعرة ملك عبد العزيز ··

ان الملك عندما تولى سلطة البلاد ·· كان الشعب يحبه حبا لا نستطيع أن نفسره ·· ربما رجع الى صغر سنه ·· وأنه كان فى أول عهده يقوم بتفقد احوال الشعب ·· وذلك أدى الى افتتان الشعب به ·

---

(١) الملك ص ٣١

ولكنه بعد سنة ١٩٤١ ـ ظهر بوجهه الحقيقى وأصلى الشعب من ويلات ظلمه ‥ مما أشعل الثورة فى قلوب الشباب ‥ وقامت المظاهرات المتعددة ٠

● وقال لى بعض الأدباء ـ وان اكثر الشعراء والأدباء وعلى رأسهم ‥ الدكتور طه حسين ـ قد تورطوا فى مدح الملك والثناء عليه والصحافة قد جعلت منه الهـا يعبد من دون الله ‥ لذا وضعنا هذه الاعتبارات أمامنـــا أدركنا كيف تورط الشاعر فى موقفه الأدبى هذا ‥

ولكن نأخذ له العذر عندما نقرأ قصائده ‥

ركاب عيسى ١١ فبراير ١٩٤٤ ، لما رآك الحيارى ٦ مايو ١٩٤٤

يوم الفقير مايو ١٩٤٣ ، أغنيه الحفاة ١١ مارس ١٩٤٣

سجدت لهيبته الرياح ١٩٣٨ ‥ من أغانى البائسين

● حيث نلمح فى هذه القصائد حسا اجتماعيا نرده الى مرحلة أغانى الكوخ مما يدل على أن حس الشاعر مازال متيقظا ‥ برغم أن مشاعره زيفها مدح الملك الا أننا نستطيع أن نقول ‥

انه رصد مناسبات لمس فيها الشفقه من الحاكم على الشعب فسجل هذه اللحظات بدافع من شعوره نحو هؤلاء المطحونين والتصـــاقه بهم وان كانت ‥ دقة المـوقف ‥ وطبيعة الفن لاتحتمل سـيئتين الأولى : انتظار المناسبة حتى يقال فيها الشعر ٠

الثانية : أن يكون المدح هو الاطار الذى يفرغ فيه الشاعر مشاعره لتصبح كتلة جامدة لا حياة فيها ولا حركة ٠

وبرغم هذا فالقصائد تكشف عن روح الشاعر الوثابة المتعاطفة مع الكوخ وساكنيه ، التى ترفض الرق والظلام ٠ والقيد والسلاسل وتثب بخطى وثابه الى الحرية والنور والانطلاق ٠ ـ يقول فى مدح الملك ‥

دخلت فى ظلمة الأكواخ تقتلها — برحمة لم تــدع فيهن لهفانــا

لما رآك الحيارى فى مخـــادعهم — شكوا اليك الضنى فقرا ونسيانا

نسخت رعشة حماهم بفرحتهـم — فأشربوا منك طب الروح ألوانا(١)

ويمدح الملك مثنيا على موقفه من البائسين ··

ملك ذاقت ليالى العاشــــــقين — من يــــديه رحمة القلب الكبير

توأد الآهة فى الصــــدر الحزين — قبلما يرنــــو اليه المســـتجير

فاذا مــاركبه الهـــادى الأمين — مر فى الوادى بشــاك أو فقير

طفرت نعمــاؤه للبائســــين — طفرة الفرحة منوجه البشير (٢)

ويمدحه عندما نزل على الأعراب البائسين فى مضارب خيامهم وأسعد فقيرهم وابرأ سقيمهم فيقول ·

ما هل نورك بينهم حتى غــدا — نجم الشقاوة عن حماهم مائل

● وكثيرا ما يضفى الشاعر على الملك صفات التدين ·· والطهر وهى وان كانت نظرة ترجع الى ذات الشاعر ·· التى تحن للدين وتتمنى أن ترى فى ممدوحها ·· هذا الشعاع الخالد ··

الا انه يبالغ أحيانا ·· الى درجة الكذب الذى لايتحمله الشعور الصادق

● وماذا نقول ؟ عندما نسمع الشاعر يقول ···

والمنبر القدسى مال وراح يقبس من هداه

ومسابح النساك قالت حين كبر للصلاه

قف » ياأمير المؤمنين فانت للاسلام جاه

---

(١) الملك ص ٦٣

(٢) الملك ص ٦٦

(٣) الملك ص ٧٥

● بل بماذا نجيب ؟ عندما نسمع الشاعر يتحدث عن يد الفاروق قائلا

سلوا كل شاك .. كل باك رنالها

أما ذقت نور الله من هذه اليد ؟ (١)

والاجابه عندما نسأل كل شاك .. كل باك رنا فى حسرة ليد الفأروق وهى مفعمة بالنعم التى اغتصبها من أهلها وملطخة بالعار الذى كان يرتكبه كل يوم ...

الاجابة .. هى ..

لا لم أذق نور الله .. ولكن ذقت نار الشيطان من يد الطاغية وتقلبت على جمر الآثام والظلم والطغيان ..

● وفى ديوان هكذا أغنى يهدى الشاعر الديوان الى الملك ويقول ..

والشعر كرمت فى الآفـاق وثبته فروعت شاطىء الوادى بشائره

ان كان هـذا وحظى فيه أوله ماذا يكون بظل العرش آخره (٢)

والشاعر هنا يفخر بشاعريته ويرد سمو قيمته الأدبية الى فضل الملك وهو يشعر أنه وصل الى القمة فى بداية الطريق فكيف به عندما يواصل الطريق فى ظل العرش .

● ولكن الحقيقة تكذب الشاعر فالعرش زال .. وبقى الفن ونضجت الشاعرية مما يؤكد أن الفن الحقيقى دائم .. يسمو على دواعى الفناء .. وأسباب الزوال .

---

(١) الملك ص ٨٩

(٢) هكذا أغنى ص٣

ثانيا .. « الرثـاء »

والرثاء .. غرض قديم .. وجديد أيضا لأنه متعلق بوجدان الإنسان . والانسان الحساس غير مقفر الوجدان .. ولاجاف الطبع .. والأحزان تفجر فى الانسان ينابيع ثرة من الفن الصادق والرثاء أعده من أصدق الأغراض الشعرية .. لأنه يخلو من أى مقابل .. انه لمحة وفاء .. تشرق فى الروح . وتنهمر مع الدموع وتنساب من الشفاه .. نشيدا مثخنا بالجراح .. موسوما بالصدق .. وشاعرنا .. فى ديوان هكذا أغنى .. له قصائد كثيرة فى الرثاء .. ويلاحظ انها فى زعماء الوطنية وشهداء الحرية .. وطلاب العلم .. هى اذن غير ذاتية ... وفى ديوان صلاة ورفض يرثى الدكتور غنيمى هلال . وكذلك يرثى العقاد فى ديوانه قاب قوسين ..

ولنتجول فى مقابر الحانه الثكلى .. وأناته الحائرة ـ ونكشف عن مكنون قاعه الحزين فهو يرثى .. أحد شهداء الوطنية فى قصيدته انى سائر للخلود ١٩٣٥

يا راقدا تحت ظلال الخلود	من دمك الغالى قبست النشيد
ان لم تكن وحيا لشعرى فمن	يوحى نشيد النيل غيرالشهيد(١)

ويرثى « الجراحى » سنة ١٩٣٥ ليلة الاحتفال بدفنه بقصيدة فيها جدة فى التعبير وطرافة فى الموقف حيث ينهى عن النواح والندب ..

مصر ظمآى وذلك اليوم رى	بصداها فلا تنوحوا عليه
كم سقتنا من سلسل النيل خمرا	لم تفض كأسها سوى شفتيه
ما لنا نرخص الدموع اذا ما	سفكت قطرة على شاطئيه
وهو أحرى بأن نسوق الضحايا	حاشدات تزف لهفى اليه
صرخت مصر للظلوم ولكن	غلف الظلم جهرة أذنيه
فلنثر ثورة الأبى ونلقى	كل يوم ضحية فى يديه
عن طهر الدماء يلهمه الطه	ر ويمحو الأرجاس من جانبيه(٢)

---

(١) هكذا أغنى ص ١١٩ دار المعارف

(٢) هكذا أغنى ص ١٢٦

ويرثى الشاعر ايضا ملك اثيوبيا · ويعالج فى رثائه قضية البلاد ـ الحرية ـ وينوه بهجوم الطليان · والمستعمرين فى اسلوب يتدفق قوة ويفوح جدة وطلاوه ويشبه ملك اثيوبيا بغصن الزيتون فيقول ··

لازهره يندى ولاهو ينفح ذاو على طرف الصبا متصوح
تخذ السلام قصيدة قدسية يشدو بها شادى السلام ويصدح

ويقول منوها بمشكلة مصر وأزمة الحرية وازمة الشاعر نفسه

يافارس الروم العنيد تحية من شاعر باللوم جاءك يصدح
أنغامه فى النيل ضيعها الأسى وهى التى بهوى البلاد تسبح
صرخت على حرية مسلوبة شعراؤها فى كل فج نوح (١)

ويرثى ضحايا « عصابات الزرق » التى استشرى داؤها فى مصر عام ١٩٣٧

بقصيدة نلمح فيها طيف حافظ ابراهيم وهو يرثى ضحايا ميت غمر ابان الحريق المروع ··

·· سائلوا الليل عنهم والنهارا
كيف باتت نساؤهم والعذارى

يقول الشاعر :

سائل الخنجر عنهم والخياما كيف فروا من يد البطش نعاما
كيف اضحى فى الحمى فولاذهم بعد ما ارهب ذرا وحطاما
لامع الحدين ابلى سيفه صدأ البغى فولى مستضاما
جرد الحق فلما شامه صم من فرط التجنى وتعامى

● وفى وادى النسيان يقطر قلب الشاعر اروع انغامه الأسيانه وتورق

---

(١) هكذا أغنى ص ١٢٨

دموعه بالصور الموحية وتنبث فى أحاسيسه ولحات الوفاء : ويغضب لأن مصر لم تعرف للشاعر حقه فى حياته ولا فى مماته وبنوة بشاعرية حافظ المتدفقة الثرارة وبمصر وأزمتها فى الحرية فيقول وهو يعايش أزمة الشاعر الحياتيه والفنية ويحس بالجحود الذى لاقاه من الحياة والأحياء .

جدث بمدرجة الريـاح معفر	و البـوم ضيف ترابه والقبر
ذاوى الرسوم من البلى فكأنـه	أثرا لنمال مشت عليه الأعصر
أو خط رمل أنشأته بنانـة	لسطيح من ماضى الدهور مسطرد

ويناجى القبر فى وداعة ووفاء وغضب وثورة

ياقبر لى تحت الصفائح شاعر	تاريخـه من نحسـه متفجـر
عبر الحياة فما صغت لنشـيده	أذن ولاواسـته عين تبصـر
دنيـا من النسبيان ألقى مهده	فيها وسـوى لحـده المتهجد
ونصيبه بعد الفنـاء مصـفق	يهـذى لـراث فى المنـابر يهتر

ويشيد الشاعر بشاعرية حافظ ودورها فى الكفاح الوطنى وفى دنشيواى ودورها فى الأزمات العالية مثل أزمة اليابان ويعرج على سيرة الامام محمد عبده ومصطفى كامل ، ووفاء حافظ لهما وكيف خلدهما بشعره وأروع ما فى القصيدة بيتان قالهما عن مصطفى كامل وهو يرثى الشاعر . وهما .

مجنون بالأوطـان تحت لسانه
وجنانه نبـع لهـا متفجـر

ان الجنون بمصـر أروع حكمـة
يوحى بها شرع الوفاء ويأمر (١)

ويرثى مصطفى صادق الرافعى بلحن حزين فيخاطب مصر فى مطلع القصيدة وكان هذا الخطاب شوكة فى سمع مصر . ووخزة فى ضميرها

---

(١) انظر نص القصيدة بدايون هكذا أغنى ص ١٣٤ ـ ١٤٧

● فهو يعشقها لكن يلومها ·· يحبها لكن يعنفها ·· ويقول ··

لم يطب للنبوغ فيك مقام — لا عليك الغداة منى سلام

المتارلت تنطفى بين كفيـ — ـك ويزهو بشاطئيك الظلام

والصدى من منافر البوم يحيا — ويموت النشيد والالهام

قد حبوت النعيم ظلك لكن — أين قبرت بشطك الأنغام

وذلك مطلع جديد فى قصائد الرثاء فقد عهدنا المطالع التقليدية التى تسكب الحسرة والندامة والفجيعة على المرحوم وأن الدنيا مادت وأن الآفاق اسودت وأن المشرقين ينتحبان فى مأتم قاصيهما والدانى · وأن حبل القوافى غير ممدود ·

ولكن الشاعر هنا يثير قضية حساسة · قضية النسيان وأزمة الأدباء فى حياتهم وموقف الدولة الظلوم ·· انها شكوى من أجل الحياة فى تذكار الموت · ويعرض لوحة العدم بما فيها من ظلال داكنة ثم يتكلم عن فن الرافعى وهذا لب الموضوع ويصور بريشته المبدعة الجديدة الساحرة بيان الرافعى فيقول ··

فاذا رق خلته قبل الفجر على نارها يلذ المنام

واذا ثار خلته شهب الليل أطارت لهيبها الأجرام

● ويعرض لأزمة الرافعى من النقاد ·· ولأزمه فلسطين والشرق ومواقف الرافعى المختلفة ومعاركه ·

ويتمنى أن يفقد سمعه مثل الرافعى حتى لايسمع اللغو ولا أنات المحرومين

ليت لى سمعك الذى كرم الله — صداه فمات فيه الكلام

هكذا نعشك الطهور تهادى — كالأمانى لاضجة لازحام

فاذهب اليوم للخلود كما كنت

تفاديك هداة وسلام

لم يمت من طواه فى قلبه الشـر

ق وغنى بذكـره الاسـلام (١)

● ويرثى شهيد دار العلوم فى ثورة ١٩٣٥ فيقول :

يا وادى الموتى بشطك راقد	خفقت له الأرواح بالصلوات
مل نحو مضجعه وأصغ لجرحه	واسمع نشيد الدم فى القطرات
مازال يترع ثورة من قلبه	خرساء مفصحة بلا نبرات

ثالثا « الوصف »

الوصف غرض قيم ٠٠ جدا وقديما وصف الشعراء الصحراء والليل ٠٠ والنوق ٠٠ ومتاعب السفر ٠ والحبيبة ٠ والخمر ٠ والقصور وأماكن اللهو ٠ والبساتين ٠٠ والأنهار ٠٠ والبحيرات ٠٠

● واشتهر شعراء كثيرون بالوصف ٠ من هؤلاء الشعراء ٠٠ طرفة ابن العبد فى العصر الجاهلى وعبد الله بن المعتز فى العصر العباسى ٠٠ وشوقى فى العصر الحديث ٠

● فالوصف كما قلت ليس غرضا جديدا ٠٠ ويكاد فى الشعر الحديث لايجد له مكانا ٠٠ ونحس بانقراضه شيئا فشيئا ٠٠ لكننا نجد شاعرنا ٠ وهو يحن للتقليد يعزف على أوتاره الجديدة ٠ لحن الوصف ٠٠ فى ديوان هكذا أغنى ٠٠ وديوان ٠٠ أغانى الكوخ ٠ فيصف الفراشة ٠ ويسميها راهبة الضحى ٠ ويصف الضفدعة ٠ ويصف زهرة القطن ٠ ويصف البومة ٠ وفى ديوان « هكذا أغنى » يصف ٠٠ الشادوف ٠ والثور ٠ والسنبلة المحتضرة ٠ والنورج والغراب ٠ ودودة القز ٠٠

ويلاحظ ان اوصاف الشاعر كلها ٠٠ أو أغلبها ٠ تستمد وحيها من

(١) هكذا أغنى ص ١٦٥ ــ ١٧٣ ٠

الحياة الريفية ومظاهر الطبيعة العذراء . فى قرى مصر النائمة فى حضن الوادى .. الخصيب ..

ونراه يصف الطبيعة الريفية فى قصيدته وطن الفأس ، ويصف نفسه . بأنه نبت نما فى قلب الريف فاثمر وأينع ويصهر نفسه نغمة تذوب فى صوت الشادوف وأنه الساقية وخوار الثور وبهاء السنبل والتماع زهرة الفول ..

● ويصف الدودة وصفا فلسفيا فى حديث على لسانها حيث تقول :

أنـــــا فى ظلمـــــة قبرى	ارتــــوى من كـــــل خمـر
من رضــــاب فى شـــفاه الـ	غيدكم اشـــقى بســـحر
وســــراب فى حيــــاه الـ	صيدكم اغـــرى بكبــر
لى يـــابن الطين مـــلك	و البـــلى لو كنـت تـــدرى
صـــولجان الدهـــر عندى	وزنــــه مثقـــال ذر (١)

● ويصف الغراب فى ١٠٩ مائة بيت وتسعة أبيات وصفا ملحميـــا رائعا . يقول رابطا بينـه وبين الغراب بعلاقة النحس وهى نظرة ضبابية فارقت الشاعر فى نتاجه الأخير ..

سلاما قسيمى فى الحظوظ وصـــاحبى

وقد أرخصت عهدى القلوب الغوادر

عشقتك منـذ النخـل مـد ظـلاله

على تغادينى بـــــــه وتباكر

ومذ كان لى فى الكوخ عهد فقدتـــه

فسل عنه تنبئك الليـالى الغوابر

---

(١) هكذا أغنى ص ٢٦١

(٢) هكذا أغنى ص ٢٣٢ ـ ٢٥٢

● ويصف الثور ·· وصفا اجتماعيا اذا صح هذا التعبير ··

فلا يصف قرونه ولا جسمه الغليظ وانما هى قصة السوط والثـــور والفلاح فالثور هنا هو الفلاح المصرى المثقل بالهموم

ياثور كيف عزتك أســواط الورى
وتقطعت فى جـــانبيك جلودهـــا

مردت على كتفيك محرابـــا اذا
صلت به يغرى خشــاك سـجودها

وكانمـا نشـــقت بجــلدك فوحة
من روحهــا الفانى غجن وريدهــا

فى كل حقــل من جهـــادك آية
يضفو على الريف الشقى خلودها

● ويصف الشادوف ·· وصفا استوحى فيه عذاب نفسه التى تئن تحت ضغط القهر الاجتماعى فيقول :

دع لحنــك الشــادى بلا تعزيف
طرب الخيــال لأنـــه الشادوف

عريان جرده الضـــحى من ستره
فغدا يضـــخ بدمعــــه المذروف

لم يرضـــه ثـوب السنا سدلاله
يختال فى بهــج ولمــح شـغوف

فبـــكى ونكس رأســـــه متذللا

متحســرا كالعاشـــق الملهوف

سجداته فى النبـــــع قبلة والــه

طبعت على سلستاله المرشـــوف

صديان قــدم للورود شــــــرابه

وأعار أدمعـــــه لقلب الــريف (١)

● والحوار الرائع بين السنبلة والنورج يمثل قصة الوجود وفلســفة الخلق .. تقول السنبلة ..

والى أين سيمضى نعش عودى ويســير

أن موتى لودرى الانسان بعث ونشور

فاسألوا المنجل عنى فهــو بالسر خبير

واسألوا النورج ينبئكم بحديه المصير

ويرد النورج

تحت حدى قصة السنبل يرويها الفناء

غرسة صلى لها الصبح وحيــاها المســاء

واحتسى خمر هواها فى الضحى ظل وماء

وانتشى من سحرها طير الربى والشعراء

ملعب دنياه أعراس ورفض وغناء

ملل الكوخ عليه وتناجى البؤساء

---

(١) هكذا أغنى ص ٢٥٣

ثم دار الدهر حينا فمشى فيه العفاء
غرسة صلى لها الصبح وحياها المساء
عانقت حدى وقالت انا للكون فداء
هـــات لى المـــوت فنعشى
لبنى الدنيـــا غـــذاء (١)

« الغـــزل »

● والحب ٠٠ والمرأة من الأغراض القديمة والجديدة ولكن مفهـــوم الغزل ٠٠ وأدواته الفنية والنظرة اليه تختلف من عصر لآخر وشاعرنا كان لهذا الغرض فى نفسه الكثير من الأثر حيث شب معه ٠٠ وهو الشـــاعر الحساس المرهف ٠٠ فرأيناه بديوان اغانى الكوخ ، وهكذا أغنى ، وأين المفر ، ويسيل عذوبة ورقة عطرا وينساب لحنه الوجدانى ٠٠ فى مسارب حواء ٠٠ المغرية التى تنضح عطرا وتضوع أنوثة ٠٠ وفى ديوان هكذا أغنى تتعــد تجارب الشاعر فى موقفه من المرأة ٠

فهو يصور المناظر الخارجية ونشتم رائحة الجنس من كلماته الرطبه الجائعة الشاطىء ٠٠ وكثير منا يرى هذا المنظر ولا تسعفه شاعريته وإن أسعفته
فهو يصور المناظر الخارجية ونشتم رائحة الجنس من كلماته الرطبه الجائعة
للدفء ويصور العواطف الدنيئة لكن شاعرنا ينزع عن كل ذلك الى الشـــعر الصافى كأعماق وأعين الحور الحسان ويقول ٠

حـــورية صـــورها ســـاحر	من روعـــة السـحر وسـلطانه
لو شـــامها قس بمحـــرابه	يـــذوب الروح لقـــربانه
لأحـــرق القلب بخـــورا لها	واشـــعل النـــار بصـلبانه
عريانة قـــدت مسـوح الصـبا	من بهجـة الفجـــر والوانـــه

---

(١) هكذا اغنى ص ٢٢٩

سـارت الى البحر وفى هـولها	ما يضـــرم النـــار بقيعانه
ظمآى لظمآن هفت مثلمـــا	يهفـــو حشـا الطيـر لغدرانه
جسم لـوان الروح التقت لـــه	زمـــامها فـــر لأكفـانه (١)

● وقصائده المتعددة فى المرأة ٠٠ كثيرة ٠٠ ومنها الى سجينة القصر ، دنيا ومآتم ، صوتها فى ضميرى ٠٠ الصاخب المجنون ، أسرعى قبـل أن تموت الأغانى ، الى قلبى العليل ، خاطرة مفاجئة ، حين أطرقت ، الذهول ، أغنية ذابلة ٠٠٠ بحيرة النسيان ، أنت دير لهوى (٢)

وبرغم أنها قصائد وجدانيه الا أن روح الاكتئاب تحوم فوقها ربمـا يرجع السبب الى تجاربه الخاصة التى خاضها مع حواء ٠ وربمـا يرجـع السبب الى الحالة السياسية التى انعكست على مشاعر الشعراء والحـرب العالمية الثانية كانت تدق الأبواب

فمن يدرى ، ربما كانت سجينة القصر هى مصر ٠

وربما كانت المسرعة قبل أن تموت الأغانى هى مصر ٠٠٠ وقد تكون حواء بنت مصر

والحرمان هو ٠٠ روح الشاعر السارية فى كل قصائده الغزلية وحين يسدل المحراب أستاره يحترق الشاعر فى لهيب الحرمان ويبعث حفقاته الملتهبة مثل موجات الهواء فى أوائل يولية ولتسمع اليه فى غرامه الذى يصل الى درجة التصـــوف.

---

(١) هكذا أغنى ص ٨١

(٢) انظر القصائد بديوان « هكذا أغنى على التوالى ص ١٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٤ ، ٤٩ ، ٥٥ ٥٨ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٩٤

اسدلت سترها وقالت رويدا

عابد الحسن وانئشد فى صلاتك

غب قليلا عن العيون وانشد

خفقات الغرام فى خلواتك

غب قليلا وفى دمى لك عهد

انا والحب والمنى لحياتك

قلت : والنار فى دمى كيف تهدا

ان حجبت الضياء من قسماتك

انا لهفان والنعيم بكفيك

ك دعينى أمت على عتباتك

قالت : اهدأ فما عهدتك يوما

تستثير النوى دفين شكاتك

قلت : يالو عتا لظمآن جنت

روحه لهفة على رشفاتك

آه يازهرتى لقد شف روحى

ظمأ محرق الى نفحاتك

فارفعى الستر بيننا ودعينى

اتحسى الضياء من هالاتك

وهنا اسدل الستار ورنت

حفقة لهفتنا على أمنياتك (١)

---

(١) هكذا أغنى ص ٩

● وشعوره بالحرمان يدفعه الى أن ينادى حواء كثيرا أن تسرع ..

أســـرعى قبلمـا تغيب الأغـانى
في دخـــان الهمـوم والحســرات
وتصيرين فى الهـــوى قصة الغـد
.. ر وأســطورة على نغمـــاتى
أسرعى قبل أن تمـوت الأغـانى
فتناجيك بعـــدها مرثياتى (١)

رابعـــا « الفخــر »

● والفخر من أركان الشعر القديم .. ولايخلو شاعر من شعراء العربية القدامى من الفخر اما بنفسه أو ببلده أو بنسبه أو بشعره .. والمتنبى .. كان يفخر بنفسه وبشعره حتى أمام سيف الدولة .. والمتأمل لقصائده التى مدح بها سيف الدولة يلمس أن الشاعر كان يمدح نفسه أكثر مما يمدح ممدوحة وفى ذلك ترفع وكبر ، وابو العلاء المعرى برغم عجزه كان يفخر بنفسه ويخلع على نفسه صفات الفوارس والأبطال ..

● وشاعرنا وقع فى شباك التقليد ولبس مسوح القدامى ورأينـــــاه يفتخر بنفسه أمام ممدوحه محمد محمود باشا وهو يستقبله بالمنصورة ٢٧ مارس ١٩٢٧ .. فيقول ..

أنا شاعر الوادى وعزاف اللظى ... امـــا شـــهدت جنــــانه متألما
أهدى العطور لمن يفى لبــــلاده ... وأسوق للطاغى الخؤون جهنما
لاموا على الشدو وقلت رويدكم ... من ذايلوم العبقرى الملهمــــا
غير يسوق الشعر فضل بلاغــة ... وأنا أفجر فى منابعه الدما (٢)
ويفتخر بشعره .. ويصفه بأنه تسابيح طـوافين .. فيقــول

(١) هكذا أغنى ص ٤٠
(٢) هكذا أغنى ص ١٤٦

فياواهب الأوطان حبك هـــذه

اغانى هواهـا خـالدات التردد

تدفقن للفاروق شـعراً كأنـه

تسابيح طواغين فى قلب معبـد

والشاعر لايكتفى بالفخر بشعره الذى يقوله ـ وانما يقول ما خفى أروع وأعظم . وأنه يحتفظ بكنوز هائلة من الفن : فيقول :

بجنبى بحر هادر من ملاحـم وأين لى الشط لبعيـد لأهتدى

وأين شراعى آه لو كان فى يدى لأ ذهل سمع الدهر ترديد معبدى

ويتسرب الغرور لنفس الشاعر ظنا منه بأن التاج سبيل خلوده فيقول

ان لم أر الأفلاك تصغى لمزهـرى

وأنا اغنى التـاج مـا انا شـاعر

ويفتخر بنفسه مرة أخرى وبفنه ويضفى على ذاته صفة ابطال الأساطير

أنا مرعش الأسرار فى كبد الدجى والليل عراف الظلام محـاذر

شعر هو الدم لو لمست خياله فى الروح أحرقنى الهدوء الساعر(١)

---

(١) ديوان الملك ص ٣٨

الباب الثالث

التيـــار التجـديدى
فى شـــعر
محمود حسن اسماعيل

١ ـ الفصل الأول ٠٠ الشاعر فى ظلال أبولو ٠٠

٢ ـ الفصل الثانى الشعر الحديث وارتياد الشاعر آفاقه

٣ ـ الفصل الثالث الصورة الشـــعرية

٤ ـ الفصل الرابع الرؤية الشـــعرية

(ا) رؤية اجتمــــاعية

(ب) رؤية صــــوفية

(حـ) رؤية سياســية

الفصل الأول

الشاعر فى ظلال أبولو .. وأثرها فى فنه

« ظروف النشأة »

● انطلقت اثر ثورة مصر عـام ١٩١٩ روح جـديدة تؤمن بالحريـة والديمقراطية والمساواة بين الطبقات وارتقى من الطبقة المتوسطة كثير من الرجال درجات عالية فى السلم الاجتماعى . ولم تعد المراكز العالية وقفا على ذوى الجاه والمال .. وسرت هذه الروح الجديدة فى الأدباء والمفكرين فوسعت من آمالهم وقـوت شخصياتهـم وأعلت طموحهم .. علوا كبيرا جعلهم يتمردون على أدباء ما قبل الثورة ويجاهدون ما كان يسمى بالامارات الشعرية أو الامارات الأدبية . وامتلأت قلوبهم بشرا وتفاؤلا وأضاءت فى وجوههم الآمال العريضة

حتى وافى عام ١٩٢٨ . وما بعده الى ١٩٣٥ فساءت الحالة الاقتصادية ولفت البلاد بعباءة الاستبداد السوداء فجمدت آمال الأدباء التواقين للشهرة وسدت نوافذ الطموح فى وجوههم ولكن بقيت روح التمرد متقدة فى دواخلهم وفى هذه الفتره تكونت جماعة أبولو .. من شباب الشعراء الموهوبين وكهول الأدباء الساخطين على التقاليد الأدبية الجارية .

ومن بين هؤلاء كان . كامل كيلانى . ومحمود أبو الوفا . وعلى محمود طه وحسن كامل الصيرفى . وغيرهم مثل محمود حسن اسماعيل وصالح جودت ووجدوا فى الدكتور أبى شادى أديب الساعه الذى يتحلقون من حوله لما وهب من ثقافة رفيعة وخلق قوى ، وارادة صلبه ، فتكونت الجماعة وأنشئت مجلة أبولو فى سبتمبر ١٩٣٢ وفى عام ١٩٣٢ انضم الى هذه الجماعة أدباء وشعراء

من ذوى الموهبة والتمرد من أمثال زكى مبارك ورمزى مفتاح واسماعيل سرى الدهشان .. وصالح جودت ومختار الوكيل .

ووافى عام ١٩٣٤ فاذ بطائفة من شباب الجامعة الموهوبين يحجون اليها ويتصلون بقطبها ومنهم محمد رجب والسحراوى . وحسن محمود حبشى ومصطفى السحرتى « ومحمود حسن اسماعيل » والهمشرى وحبيب عوض الفيومى وغيرهم ..

● وكانت هذه المدرسة بحق مدرسة أدبية جديدة بل من أبرز المدارس الشعرية المعاصرة فى العالم العربى ..

وكان أبو شادى (١٨٩٢ ـ ١٩٥٥) هو رائدها وموجهها الى الخير والجمال والفن والى الشعر والنقد والأدب الجديد .

وكانت أغراضها هى ..

١ ـ السمو بالشعر العربى وتوجيه جهود الشعراء توجيها شريفا .

٢ ـ مناحى النهضات الفنية فى عالم الشعر .

٣ ـ ترقية مستوى الشعراء أدبيا واجتماعيا وماديا والدفاع عن كرامتهم ..

(اتجاهها) ...

● وكان اتجاه هذه المدرسة الغالب عليها هو الاتجاه الرومانسى .. وترجع هذه المدرسة الى الأدبين الغربى والعربى معا وتدعو الى التجربة الشعرية والوحدة العضوية والطلاقة الفنية وتوكيد الحفاوة بالأصالة ـ واحترام كافة المذاهب الأدبية مادامت تتسم بالأصالة والطاقة الفنية القوية (١)

ولقد أثرت هذه المدرسة الشعرية الجديدة فى حركة الأدب المعاصر .. وفى حركة الشعر والنقد تأثيرا بليغا ولايزال تأثيرها مستمرا حتى اليوم (٢)

---

(١) مدرسة أبولو الشعرية .. ص ٣٦ (٢) السابق ص ٣٧

فى كثير من الشعراء مثل ابراهيم عيسى ، وعبد العليم القبانى ، وفاروق جويدة ٠

● وحين تذكر فى تاريخ الأدب جماعة أبولو يعيش الدارس مع أفرادها سوانح حية يجد فيها النور مطلا من سماء الالهام وسميت أبولو نسبة لأبولو اله الشعر والفن فى أساطير اليونان ٠٠ والرومان الأقدمين (١)

● وقد اختلف الكتاب والنقاد حول هذه المدرسة

هل لها مذهب معين وخط واضح سارت فيه بحيث نستطيع أن نطلق عليها أنها مذهب أدبى ٠٠ والدكتور مندور يوضح رأيه فيقول

وعلى الرغم من أن جماعة أبولو لم تدع أنها تكون مدرسة ذات فلسفة شعرية محددة ٠ بل أعلنت على العكس أنها تفسح صدرها وصدر مجلتها لكل شعر جيد ٠٠ فانها فى مجموعها قد تميزت بالطابع الوجدانى الخالص ٠٠ برغم اختلاف كبار أعضائها اختلافا بينا فى المزاج النفسى وهو الخلاف الذى جعل من شعر ناجى قصيدة غرام ومن شعر أبى القاسم ثورة نفسية عارمة ، ومن شعر على محمود طه سيمفونية مرحة مبتهجة بالحياة ومن شعر حسن كامل الصيرفى تأملا انطوائيا متصلا فى الحياة وحقائقها ومن شعر الهمشرى هروبا عاطفيا من صخب الحياة الى « نارنجته الذابلة » أو الى قمة الأعراف « فأغنوا شعرنا العربى المعاصر بثروة ضخمة من شعر الوجدان المتفاوت المتعدد الألوان » (٢)

والسحرتى يوضح رأيه ٠٠ مخالفا الدكتور مندور فى بعض آرائه ٠٠ فيقول ، والذى أراه أنها كانت مدرسة جديدة تدين بالمذهب الفنى وان اختلف المضمون فى المزاج وتفاوتوا فى الثقافة ٠ كانت مدرسة متمردة على شعراء التقليد وعلى شعراء الفكرة ٠٠ متمردة على الزعامات الأدبية وعلى الأسماء

---

(١) نظرات فى أدبنا المعاصر د ٠ زكى المحاسنى
(٢) فن الشعر ص ١٥٠

الجهيرة وكان لهم شعرهم العاطفى والوجدانى الجديد الذى لم تعرفه جماعة الكلاسيكيين الجديدة من أمثال شوقى وحافظ ولا الشعراء العقلانيين من أمثال العقاد والمازنى وغيرهم (١)

● والدكتور أحمد هيكل يعارض فكرة اطلاق اسم مدرسة على هـــذه الجماعة ٠ وذلك لأن المدرسة الأدبية تقوم أساسا على دعائم فلسفيه معينة وتكون لها قيم فنية محددة وذلك ما لا نجده فى هذه الاتجاه الشعرى ٠٠ (٢)

● ويعارض كذلك تسمية ٠٠ هذه المدرسة باسم « جماعة » أبولو
ويطلق على هذا الاتجاه الوجدانى ٠٠ فى الأدب ٠٠
اسم الاتجاه الابتداعى العاطفى ٠٠ ويعلل ذلك ٠

● بأن هذا الاتجاه ٠٠ قد ظهر قبل المجلة أولا ٠٠ ثم لأن المجلة لـم تكن وقفا عليه ثانيا ، ويمكن اعتبار سنة ١٩٣٧ تاريخ ظهور هذا الاتجاه (٣)

● وأفاد الدكتور هيكل أن هذا الاتجاه نشأ ليعوض بحرارته وانطلاقه ما أصاب الحياة الشعرية من تجمد على أيدى البيانين ومن انحسار على أيدى الذهنيين ٠٠ ويوضح سبب تسميته لهذا الاتجاه بالابتداع العاطفى نظرا لكون الشعر السائر فى هذا الاتجاه لايتسم بالتجديد فحسب وانما يتجاوزه الى الابتداع المنطلق المتحرر ثم لكون هذا الشعر يجيش بالعاطفة الحـــارة المتدفقة لا بالبيان المنمق ولا بالذهن المتفلسف ٠

● وكان أهم ما يميز « هذه الجماعة » أو هذا الاتجاه ٠٠ النزعـات العاطفية والتأملية ٠٠ والاجتماعية والانسانيه ٠

---

(١) مدرسة أبولو الشعرية ص ١٠٢
(٢) تطور الأدب الحديث فى مصر ص ٣١٢
(٣) تطور الأدب الحديث فى مصر ص ٣٠١

وقد جددت هذه الجماعة فى بناء القصيدة وفى وحدتها العضوية وفى اضافة معجم شعرى جديد زاخر بالألفاظ الجيدة التى تستحم فى الضياء والظلال والأنوار وفى أسلوبهم التعبيرى الجرىء حينا والطليق احيانا واستخدامهم للتعبير الرمزى (١) ..

● وبعد أن وضحت الظروف التى تمخضت عن ميلاد الجماعة وأهم اتجاهاتها .. وأهم أغراضها .. وأهم آثارها فى الأدب العربى .. وما أدخلته من تجديدات فى ايجاز يتفق مع ظروف البحث ومكانة الموضوع فيه ..

● نتساءل ..

ما موقف شاعرنا محمود اسماعيل من هذه الجماعة

وما التطور الذى سرى فى شعره . نتيجة لانصهاره فيها ؟

● وللدكتور شكرى عياد رأيه فى هذه القضية .. حيث يؤكد أن

محمود حسن اسماعيل شاعر فذ بالمعنى الحرفى لهذه الكلمة طلع مع أقطاب مدرسة أبولو .. ابى شادى . وناجى . وعلى طه .. والهمشرى فكان نمطا منفردا عنهم . أقربهم وهو أبو شادى . بينه وبين صاحب أغانى الكوخ .. من البعد أضعاف ما بينه وبين أبى شادى وأى واحد من زملائه ، ولم تكن لمحمود حسن اسماعيل رقة ناجى ، ولا أناقة طه ، ولا غزل جودت ، ولكنه كان شاعرا فظ الشاعرية ان صح هذا التعبير .

شاعر جائع أبدا ظامىء ابدا ، ثائرا ابدا (٢)

● وأنا أؤكد أن الشاعر تأثر بهذا التيار تأثرا كبيرا .. وذلك من خلال دراستى لنصوص الشاعر وتأملى فيها والموازنة بينها وبين نتاج هذه الجماعة .. أسلوبا .. ولغة . وشكلا ومضمونا ومعجما شعريا ....

---

(١) راجع هذا الموضوع فى « جماعة ابولو وأثرها فى الشعر الحديث » عبد العزيز الدسوقى ص ٥٢٣

(٢) انظر مقال محمود حسن اسماعيل وعالمه الغريب الكاتب يناير ١٩٦٧

● وأيا كانت الأسماء والتواريخ فان هذه الظاهرة .. جماعة ابولو أو الاتجاه الابتداعى العاطفى .. ظهرت فى أفق الشعر العربى بارقة أمل ـ ونقطة انطلاق وثابة لهذا الفن الرائع ..

وكل اتجاه لابد له من أسس وخصائص فنية مشتركة وسنحاول دراسة الخصائص الفنية المشتركة التى يتسم بها هذا الاتجاه » (١)

هذه الخصائص ... تنقسم الى .

أولا .. خصائص تتصل بالموضوعات الشعرية وطبيعة التجارب

ثانيا .. خصائص تتصل بالأسلوب الفنى وطريقة الأداء

ثالثا .. خصائص تتصل بالألفاظ والمعجم الشعرى

رابعا .. خصائص ترجع الى الأوزان والقالب الموسيقى .

ومحمود حسن اسماعيل بصفته رافدا من الروافد الكبيره العميقه لهذا النبع الثرار لابد أن هذه الخصائص أضفت عليه ظلالها مع انفراده بسمات تدل على فنه وطبيعة تجاربه مثل صوره الغريبة ونبرته العـالية وتداعى خواطره واغراقه فى التأمل .. وسأحاول أن أدرس هذه الخصائص فى ظلال النصوص التى أبدعها الشاعر .. فهى دليل يقودنا الى تحديد ما نريـد

أولا .. الخصائص المتصلة بالموضوعات وطبيعة التجارب :

(أ) **من أولى الخصائص** .. المتصلة بهذه الناحية وطبيعة التجارب الشعرية فى شعر محمود حسن اسماعيل .. التى اشترك فيها مع شعراء هذا الاتجاه الشعرى ـ « شعراء أبولو » .

---

(١) انظر هذه الخصائص بالتفصيل فى كتابى : تطور الأدب الحديث فى مصر د . هيكل ، جماعة ابولو واثرها فى الشعر الحديث د . الدسوقى

الاهتمام بموضوع الحب والمرأة : ٠٠ وقد كان هؤلاء الشعراء يتخذون من الحب ملاذا يفرون اليه من عذاب الحياة وعزاء يعوضون به ظلم الدهر ومرقى يسمون عليه فوق العالم الأرض ٠

والمرأة عند محمود حسن اسماعيل ملهمة من النوع الأول كما اعترف بذلك فى مقدمة ديوانه « أغانى الكوخ » وليست جسدا تحرق فى لهيبه المشاعر وتغمس فى عطره ٠ المشوب برائحة الجنس أنامل القلب ٠٠ وتحرق الأحاسيس بسفحه الذليل ٠ وعن جوهر هذا الحب وهذا الاحساس بالحرمان يقــول د ٠ شفيع السيد « وهو حب أضرم الحرمان ناره فلا نكاد نحس فيه لحظة بأن الشاعر قد أطفأ لهيبه أو أروى ظمأه وفى ظل هذا الحرمان وبسببه راح خيال الشاعر يحلق فى آفاق عليا من التصوير ، يسمو فى معظمها الى مقام العبادة ٠٠

وكما يقترن الحب فى رؤية محمود حسن اسماعيل الشعريه بالعبادة يقترن كذلك بالتصوف ، بل يمتزج الأمران معا فى كثير من الأحيان ٠

والمحب عند هذا المستوى انما هو عاشق ولهان ٠ ومحبوبته فى مرآته الباطنة قبس من النور أو قل ٠ ان النور قبس منها

هى النــور أو فى النور منها ألاقة

هى السر يضوى فى غيوب الطلاسم (١)

● واذا تذاكرت الأجيال شعر محمود حسن اسماعيل كما اظن وآمــل فاحسب أن قصيدة مثل الجراب بغزلها العجيب الذى ينقلك من خيال المرأة الى مثال الأنوثة المطلقة ، الى تجسد الوطنية ، الى سر الوجود ، غير المحدود ستكون فى مقدمة مايذكر من قصائده الجيده (٢) يقول فيها

---

(١) هكذا أغنى ص ٢٦٩ دراسة بقلم د ٠ شفيع السيد
(٢) الكاتب يناير سنة ١٩٦٧

أبدا أجن اذا تحدر طيفها ... من عرشه السامى الى محرابى
وأهم أرشف من منابع حسنها ... فيض الهوى المترقرق المنساب
خمرا من الألق السنى تدفقت ... لا من جنى التفاح والأعناب
عافت شفاه الكون واعتزلت فلم ... تجد الحبيب لها سوى ألوانى
فحسوتها لم يمتزج فى جامها ... الا الحنين بنورها الخلاب

فهذه الثورة كان لها « أثر واضح فى الشعور بالثقة عند أبناء الشعب . الذين حملوا عبء النضال ثم استشعروا حلاوة النصر ، أن ذاقوا ويلات الحرب ومن قبلها آثام الاحتلال

الطهر فى لألائها والنور فى ... صهبائها والنار فى أعصابى
تهتاج فى كبدى فتظمئها على ... رى وتضرم لوعتى وعذابى

وحتى الساقطة لايلومها الشاعر ولكن يغفر لها زلاتها بدافع من نظرته السامية ويلقى اللوم على المجتمع الذى لم يوفر لها الحياة الكريمة .... وكانت هذه النظرة متوفرة لدى شعراء هذا الاتجاه .

يقول على لسان واحدة من بائعات .. محملا اثمها الدنيا القاسية الظالمة وللبشر الآثمين المخادعين .

واها على دنياه ماصنعت ... بالحسن فى كنف الصبا الفانى
فتكت بعصمته ولو عدلت ... فتكت بقلب الآثم الجانى
سرق الأثيم قداستى ومضى ... ومضيت أندب حظى الكابى
حيرى أروم القبر لى عوضا ... عن خسة الدنيا وأوصابى
ويقال فى حكم الورى سقطت ... ونعم ولكن من خداعكم
لولا أذى الانسان ما حملت ... اثم الهوى عذراء بينكم

(ب) « موضوع الطبيعة »

وقد اهتم شعراء هـذا الاتجـاه بالطبيعة وفى مقدمتهم شاعرنا وكانت الطبيعة عندهم مهربا يلوذون بصفائه من كدر الحياة ويغسلون فى طهـــره ما يصيبهم من رجس العيش ٠ ويجدون فى رحابته متنفسا لما يعانون من ضيق وتأزم ٠٠ كل هذا بما يخلعونه عليها من خيال مجنح هو الذى يجعل لحديثهم عن الطبيعة قيما ابتداعية ٠

ومحمود حسن اسماعيل قد أصدر ديوانا كـاملا « أغانى الكـوخ » فأغلبه تسابيح فى محراب الطبيعة ٠٠ يقول من قصيدته « الناى الأخضر » راسما صورة حية من المرح والنشوة التى تملأ وجدانه ببعض مظاهر الطبيعة البسيطة وكأنه يستعيض بها عما حرم من نشوة فى دنيا الناس ٠٠ والناى الأخضر هو عود البرسيم :

زمارتى فى الحقول قـد صـدحت	فكـدت من فرحـة أطير بهـا
الجـدى فى مرتعى يراقصـها	والنحل فى ربـوتى يجاوبهـا
والضوء من نشوة بنغمتهـا	قـد مال فى رأدة يـلا عبها
رنا لها من جفـون سوسـنة	فكـاد من سـكرة يخاطبهـا
نفخت فى نايهـا فطربنى	وراح فى عزلتى يداعبهـا
سكران من بهجـة الربيع بـلا	خمر به رقرقت سـواكبها (١)

ومن قصيدة « تبسمى يقول »

لن مـات زهـر الفـول	فى مزرعـات الـواد

(١) أغانى الكوخ ص ٣٨ ــ ٣٩

ولفـــــه أبريـــــن في منجـل الحصـــاد
تبســمى للنيـــل يزخــــر بالأعــواد
وتمـــرع الحقـــول بالسندس الميـــاد (١)

ولم يكتف محمود حسن اسماعيل وزملاؤه شعراء هذا الاتجاه بالحلول في الطبيعة والقاء آلامهم بين احضانها بل راحوا يستنطقونها آلامها ويطلبون اليها ·· أن تشاركهم حزنهم وهمومهم ·

● وفى الريف نشهد الساقية تروى الأرض من خلال عيونها الجارية وترى الفلاح يغنى وهو يسوق الثور الذى يدور فى الساقية ولكن هذا المشهد يفجر فى نفس شاعرنا محمود حسن اسماعيل تجربة كاملة ··

فالساقية عنده ــ قيثارة حزينة تئن أنينا موجعا وتشكو للدهر بؤس هذا الثور الأعمى الذى القت به البلوى فى هذا المدار

وهى تجربة تمتزج فيها صور كثيرة يفجرها الشاعر من خلال تمثله لها يقول :

ناحت فلا الزهر على عـــوده القى عقـــود الطـل من جيـده
ولا مغنى الطـير فى وكـبـــره رق لهـا وازور عن عـــوده
والعاشــق البلبل فى عشـــه أسرف فى نجوى معـــا ميده
لم يسـمع النـــوح لمخنوقـــة تشكو الى الدهـر أسى قيـده
خرســاء لكن صـوتها صـارخ يذيب قلب الصـــخر من وجده
لها طنين النحـــل فى قفـــرة بهمـــاء لم تبـق على شـهده

---

(١) أغانى الكوخ ص ٢٠٣ ــ ٢٠٦.

وهزة العاشق مستصرخا | أنواء حر الشوق فى بعده
ولوعة النائى بسراه الهوى | ونال كيد الدهر من وده
لها عيون دائمات البكا | بمدمع كالسيل فى رمده
تفنى دموع الناس من فيضها | ودمعها بَاق على عهده
دعوبة الشكوى على راسف | فى الذل مفجوع على جده
شدت حبال الذل فى رأسه | وفت صرف الدهر فى كبده
والسائق الأبله لا ينثنى | عن ضربة العاتى وعن كيده
يتلو على آذانه سورة | من قسوة السيد على عبده
كأنه الدهر يزجى الورى | قسرا الى ما غاب عن وجده (١)

● فى هذه القصيدة نلمح كثيرا من التعبيرات الرمزية والصور المتتابعة التى يفجرها الشاعر من خلال التصميم الفنى للقصيدة بل نكاد نحس أن هذه الصور كانت مكبوتة فى العقل الباطن للشاعر وقد عمد الى اثارتها على طريقة « السرياليين » الذى يعتمدون فى أدبهم على تسجيل مكنونات العقل الباطن وهى تستمتع ببناء فنى محكم يمور بالقوة والحياة ..

وقصيدة « زهرة القطن ، كنز الذهب الأبيض تمثل الاسقاط النفسى الذى امتاز به الشاعر محمود حسن أسماعيل فهو يصور مشاعره ونفسيته من خلال تصويره للطبيعة .. حيث نرى اكليل الزهرة المعقود من السوسن التبرى القناع المستعار من ضنى العشق ولوعة الهجر ولون الوادع .

ياعروسا لم تزينها يد | غير كف المبدع الفن الصناع
عقدت اكليلها على سوسن | باهت الأفواف تبرى القناع

(١) أغانى الكوخ ص ٧٦

مستعار من ضنى العشق ومن لوعة الهجر ومن لون الوادع

يسجد الشاعر من فتنته سجدة الفن زها حسنا وراع (١)

ويعيش الشاعر مأساة نفسه المقهورة وسط ضجيج المجتمع الصاخب حينما .. يتكلم عن هذه الزهرة « القطن » وقت الجنى .. ونصيب الفلاح منها .. الشقاء والحرمان وتقوس الظهر . فهو زورق فى اليم محطوم الشراع وبائع للشهد محروم منه وأعمى يمسك ألف مصباح

وأتاها الصيف وهاج السنا يضرم الأنفاس نارا فى البقاع

فأرتدت برفسها من ذهب أبيض توج هامات الضياع

ذاك تاج النيل فاندب عنده أمل الفلاح والجهد المضاع

وارث للمسكين عيشا أسودا ران فى كوخ حقير متداع

نامت النعمة عنه ... وجفت معدما لم يرعه فى مصر راع

(جـ) ... الحنين الى مواطن الذكريات »

كان هذا الموضوع من أبرز التجارب التى خاضها محمود حسن اسماعيل مع شعراء أبولو .. « الابتداع العاطفى » وكان يدب الى مواطن ذكرياته فى لهفة حزينه وتعطش .. كبير وذلك فرارا من الحاضر المؤلم والواقع المتقز ومواطن الذكريات غالبا ما تكون مرابع للطبيعة أو مدارج للحب أو مسارح قد لعب الحب عليها أدواره بين أحضان الطبيعة وديوان « أغانى الكوخ » يعد قصيدة شعر كاملة يمكن أن نسميها « الحنين الى موطن الذكريات » وذلك باعتراف الشاعر نفسه فى مقدمة هذا الديوان كما بينت سابقا فى « ملامح ومؤثرات » فهو يحن الى موطن ذكرياته ومسرح صباه ومرتع حبه ويخاطبها

---

(١) أغانى الكوخ ص ٢٤

أية ياقريتى أصيخى لشـــادٍ — سكب اللحـن فى رنين شـــجى
شاعر هــزه هــواك فغنى — لك أنشـــودة الجمـال البهى
مـد وتـــاره أشـعة بـــدر — غارقـــات فى صـمتك السرمدى

ويتذكر عبير الحقول ومن يشمون هذا العبير من أحبابه وأهـــل قريته فتهيج شجونه وتثب ذكرياته من العقل الباطن الى ساحة الشـــعور فيقول ..

.. وأذاع العبير ينفح فى الحقـ
ــل بنفــح مطيب مســكى

سار فى خاطـر الربى وادع الأنـ
ـفاس يحكى تنهـدات الصـبى

كم شجا عاشـــقا وهــاج ادكارا
فى فـؤاد من الشـجون خلى ١)

وعندما يغرق الشاعر فى نار الغروب تحرقه لوعة الحب ويغرب شعاع الهوى .. ويقف الشاعر على أطلال حبه ورسومه ويبعث بألحانه الشجية عبر مسامع الفضاء والكون فى سيمفونية رائعة أوتارها منسوجة من الحنين وكلماتها ليست من الأبجدية الهجائية الفقيرة ولكنها قطرات من دم الشاعر وكبده ودموعه من دمه يسكبها .. ومن كبده بسكين الأحزان يقتطعهــا ومن دموعه يسقيها ..

عندمـــا يســـبل المغيب — جفنـــه الدامـــع الكئيب
ألمـــح النـــور فى الكثيب — شـــاعرا فى يـــد الضـنى
خـــانه لحنـــه الأخيـــر

---

(١) أغانى الكوخ ص ٦٠

عندما ينطوى الشراع   مخفيا حرقة الوادع
ينصب الليل فى البقاع   خيمة الحب داعيا
كل ذى لوعة يسير

أسرع الطير فى الاياب   وسجت صيحة العباب
ومضى النهر فى عتاب   يسال العشب والحصى
أين يمضى بى المسير

وأنا واقف تريق   نظرتى مسرة الرقيق
أينما شئت لى طريق   واذا رمت خطوة
راعنى اننى اسير

آه لو كان لى جناح   وبامرى خطا الريح
آه لكننى جراح   ضيع الحزن المصير
فغدت تجهل المصير

عندما يشبه الغروب   مذنبا كاد أن يتوب
اجعلينى به ذنوب   واذكرينى كتوبة
علها توقظ الضمير (١)

وفى قصيدة المعبد المرحوم ، يحن الشاعر الى أيامه الخوالى الى قديسة هذا المعبد الأحمر .. معبد اللهو والعبث وكاهنته السمراء ..

سمراء يعرفها ضوء المغيب فكم   تأوهت فدعتها للهوى يده
كانت وكنت جناحى طائر ذهبت   ريح الليالى عن الأوكار تبعده
تشكو الى وأشكو نارها لدجى   أصم يشكو عذاب الأسر معبده

---

(١) أين المفر ص ١٤٣ ــ ١٤٦

تصد مناعة ٠٠ ترتد راغبة

تناقضت وهى تدرى ما ستقصده

نقية تعشق النيران اغصنها

وتشتهى وبها شىء تعانده

ظلت تجانبنى اهفو فيبعدها

سحر اذا عدت تدنيها سوا عده

أخنى هواها على المصباح فانتحرت

نمامة لا تدارى ما تشاهده

مهما توارت بها الآفاق فهى على صدرى جبين غفا مازلت أعبده

وسكرة من لياليها مصفدة على دمى هو لها مازلت أعبده

(د) « الشكوى » ٠٠٠

والشكوى من أهم الموضوعات التى برزت فى شعر محمود حسن اسماعيل تجاوبا وتأثرا بشعراء « أبولو » فهم كثيرا ما يفضون بأحزانهم ويصورون آلامهم التى تكون أحيانا واضحة الأسباب مبررة وأحيانا أخرى غامضة غائمة مجهولة المصدر حتى لنرى الواحد منهم ٠٠ وكأنه يحزن لمجرد الحزن ٠ ويشكو لمجرد الشكوى ٠ أو كأنه يجد فى الحزن متعه أو فى الألم لذه كما يجد فى الشكاية تعبيرا عن متعة الحزن ولذة الألم ٠٠ ولعل ذلك لاعتقادهم ككل الرومانتيكيين أن الألم يطهر النفس والحزن يسمو بالروح ٠ أو لاعتقادهم أن الألم من سمات الحساسين والحزن من صفات الواعين الشاعرين (١) ومحمود حسن اسماعيل تصل عنده الشكوى الى حد

---

(١) تطور الأدب الحديث فى مصر ص ٢٣٠ ، وانظر الرومانتيكيه د ٠ محمد غنيمى هلال ، والشعر المصرى بعد شوقى د ٠ محمد مندور حـ ٣

بعيد وهو تمنى الموت ·· فهو يصور لنا حجرة يسكن فيها ويطلق عليها « مقبرة الحى » وهى كالهاوية لم يخفق الصفو فيها لحظة ولم تر اثـــر النعمة ·

طاحت بى الأقــــدار فى غرفـة	ياليت من دونهـــــا الهاوية
لم يخفق الصـفو بهـا لحظـة	ولم تزرها النعمـــة الراضية
كمهجة الخائب فى ذلهـــــا	ظامـاء من طيف المنى خاليـة
تكـافح الليـل بهـا شـمعة	ذابت من الوجـد كأحشائيه
كأنها والدجـن يلهـــو بهـا	امنيـــة فى يأسـها فانيــه
وينتهى به الوصف والشكوى الى	التأمل فى الدنيا والدهر والمصير
يا شـــاكى الهـم لأيـامه	لقـــد شـكوت البغى للباغيـة
اقصـــر عن الشـكوى اليها فما	دنيـــاى الا حيـــة غـــاويه
اصابها يغـــرى وفى نابهـــا	لمن تمس الوخـزة القاضـية
دهــر له فى بطشـــه لـــذة	كالوحش يفرى مهجـة الناغية

● ويدفعه هذا التأمل فى النهاية الى الثورة والتمرد على الأيام ·

غبن من الأيـــام لا رحمـــة	تحيى · ولا صبر على العـــادية
ولا فنـــاء عاجـل اشـــتهى	فى ورده الراحـــة مما بيه (١)

(هـ) « التأمـل »

والتأمل من الظوهر الأساسية والخصائص الواضحة الملامح فى شـــعر محمود حسن اسماعيل ـ وهذا التأمل يتجه الى حقائق الكون بلمحة الصوفى حينا وبعين المتفلسف حيناً آخر ·

---

(١) جماعة أبولو د ·عبد العزيز الدسوقى ص ٤٤١ ـ ٤٤٢

والواضح أن التأمل عند شاعرنا يغلب عليه الجيشان العاطفى المنسق مع طبيعته .. (١)

وعاطفة محمود حسن اسماعيل هادرة متدفقة تصل الى حد التوحش .

ومؤشر التأمل يتجه من نفس شاعرنا الى حقيقة الكون والناس . والله ـ والخير ، والشر ، والخلود والفناء والموت . والوجود ، والعدم .

وقصيدة النعش من القصائد الواضحة التأمل فى أسرار الحياة والموت

يازورق المـوت مـاذا	دهـاك من ذى الحيـاه
فرحـت عجـلان تجـرى	لضـجعة فى فـلاه
لفـوك فى سـابرى	مكـلل بالزهـور
ما قيمـة الزهـر يزهـو	على طعـام القبـور
طوفت بالأرض حتى مل جانبها	وعيت خسران منها نضو تسيار
كأن عودك يوم البين مهتصرا	ريحانة فنيت فى جوف اعصار
واها على نظرة لم يحظ مرسلها	ألا برجع العمى من دهره الزارى
وأصبحت كاللظى مدت على خشب	مضمخ بنفاخ الطيب والغـار
أيسعـد الطيب ميتـا	رنت اليـه اللحـود
اكفانـانه عن قـريب	بسـيل منهـا الصديد (٢)

● وفى قصيدة « ثورة الضفادع » (٣) تبرز روح الشاعر التأملية حيث يقدم للقصيدة بهذه البطاقة « فى أصغر مظاهر الطبيعة ماينبت غراس الحكمة العليا فى أرواح المتأملين »

---

(١) انظر . مفهوم التأمل وبواعثه ـ وتطوره فى الأدب العربى وموضوعاته وخصائصه . فى رسالة الدكتوراه للمؤلف مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة « النزعة التأملية فى أدب المهجر »

(٢) أغانى الكوخ ص ١١٠

(٢) أغانى الكوخ ص ١٨٣ ـ ١٨٦

والقصيدة تبلغ اربعة وأربعين بيتا :

يابنة الطين لقد مل الدجى
لغطا من فيك مجهول الرنين

ونقيقا ازعجت ضوضاؤه
أذن الكون وسمع النائمين

أعجميا حيرت لكنته
شاعر الفصحى يلحن لايبين

جاوبته فى الدجى صافرة
من بنات البوم صاحت فى الوكون

تتحدى الليل فى رهبته
لو يجلى غامض السر الكمين

اى معنى فى صداها كامن
طيرت حكمته العقل الرزين

لم تغنى ... والدنا فى صحوة ؟
ثم تصحو وبنوها هامدون ؟ !

لم افنى النور من أعينها
صولة النور ؟ وردتها الدجون

اى سر فى البلى هامت به غاب فى طياته لايستبين

ثانيا « خصائص الأسلوب الفنى وطريقة الأداء »

أهم خصائص أسلوب شاعرنا ٠٠ وطريقة ادائه التى التقى فيها مع شيء من التمييز ٠٠ والانفراد ٠٠ بشعراء ٠٠ ابولو ٠٠والطلاقة البيانية والحرية التعبيرية بحيث تستعمل اللغة استعمالا جديدا او شبه جديد فى استخدام الألفاظ ودلالتها والتوسع فى المجازات والابتكار المبدع فى الصورة واخيرا فى تفضيل معجم شعرى خاص ٠٠ يؤثر من الكلمات ذا موسيقى معينة ـ ومن التعابير ما كان ذا ايحاءات خاصة وهذه الجوانب المتصلة بالأسلوب وطريقة الأداء هى أهم ما يتضح فيه عصر الابتداع الذى هو أحد ركنى هذا الاتجاه (١)

● وقد عالجت قبل ذلك ٠٠ أسلوب الشاعر ووضحت اهم خصائصه وميزاته الفنية ٠٠ ويهمنى فى هذا الجزء أن اقوم بعملية تطبيق لما وضحته وذلك بعرض النصوص التى تمثل كل خاصية من خواص هذا الأسلوب حتى تتم الصورة ٠٠ فكل رأى لابد له من الأدلة والحجج التى تؤيده ٠٠٠

وخصائص الأسلوب هى ٠٠

أولا ٠٠ التوسع فى نقل الألفاظ من مجالات استعمالاتها القريبة الى مجالات أخرى بعيدة مبتكرة لاعن طريق المجاز القديم المعتمد على العلاقات التى ذكرها البلاغيون وانما عن طريق جديد يعتمد على تراسل الحواس بحيث يستعمل للشيء المسموع ما أصله للشيء الملموس او المرئى أو المشموم ويستخدم للشيء المشموم مامن شانه أن يستخدم للشيء المرئى أو الملموس أو المسموع وهكذا ٠٠

ومن هنا يتحدث الفنان عن نعومة النغم أو بياض اللحن أو تعطر الأغنيه ٠٠

● ومثل هذه التعبيرات الرمزية لحظنا كثيرا منها فى اسلوب محمود حسن اسماعيل ٠٠ واى قصيدة ٠٠ نرى فيها هذه الخاصية الأسلوبيه ٠ فمثلا قصيدته « سنبلة تغنى » يقول فيها

---

(١) تطور الأدب الحديث فى مصر ص ٢١٩

قبرات الحقل لما	خشيت لفح الهجير
رشفت ظلى خيالا	نغمته فى الصفير
وحبا الطيق فوقى	عاشقا لثم شعورى
كأسه البيضاء تحكى	حلم الطفل العزيز
مدها شوقا ليحسو	هالة الضوء المنير

فرشف الظلال ولثم الشعور والكأس البيضاء التى تحكى ، وحسو الضوء .. كلها تعابير رمزية استعملت فيها الحواس المختلفه وكأن المتلقى لابد ان تكون فى حواسة اجهزة استقبال وارسال كى يستطيع أن يعى هذه التعبيرات الأمر الذى يدعوه الى التيقظ والانتباه والدهشة ..

والمهم فى كل هذا ان لا يفتعل الشعراء مثل هذه التعابير لمجرد الرغبة فى التجديد . فالشعر والأدب عامه اساسه المكين هو صدق التجربة والاخلاص فى تبين أثرها . فى نفس الأديب او الشاعر ثم الاخلاص فى التماس أنجح الوسائل فى نقل هذا الأثر فى نفوس الغير وبهذا يتميز الرمز عن اللغز بل ويتميز أيضا عن الهذيان والكذب (١)

ثانيا : التجسيم :

وهو تحويل المعنويات من مجالها التجريدى الى مجال آخر حسي .. ثم بث الحياة فيها احيانا وجعلها كائنات حية تنبض وتتحرك برغم ما فى عملية التجسيم وحدها من صعوبة أدركها النقاد .

يقول الشاعر من قصيدته « نهر النسيان »

ونسيت المنى وكانت شعاعا	باهت الظل حائرا فى كيانى

---

(١) الشعر المصرى بعد شوقى ص ٢٣

ونسيت الأسى وكان ريـاحا ازجت الجن خطوها فى كيـانى
ونسيت الأيـام حتى تلاشت كهشيم على تـراب الزمـان
ونسيت الدمـوع وهى أغـان اخرستها زوابـع الأحـزان
غر دات السكون مخنوقة اللحـ ـن تشاجت بسحرها أجفـانى

فالمنى « وهى معنى مجرد » جعلها الشاعر شعاعا محسوسا ووصف الشعاع بأنه باهت الظل ·· وحائر فى جنانه ··

والأسى وهو معنى مجرد يصوره الشاعر بالريح والريح لها خطو ازجته الجن فى كيان الشاعر ··

والأيام وهى تجريدية يصورها الشاعر بأنها تلاشت كالهشيم ·

ثالثا » التشخيص »

وهو منح المعنويات والكائنات الطبيعيه صفات الانسان ··

يقول شاعرنا ·· وهو يخلع على الجمادات والمعنويات صفات البشر

● ونسيت الربيع وهو نديم الشعر والطير والهوى والأمانى

ونسيت الخريف وهو صبا مات فسحبته شيبة الأغصان

ونسـيت الغناء وهـو بجسمى هادم يرصد الفنـاء لبـانى

فالشاعر يصور الربيع بالساقى الذى يحمل كئوس السعادة فى حانة الحياة والخريف يصوره الشاعر بالصبا الميت ·· وكذلك الفناء يصوره الشاعر بالهادم الذى يرصد الفناء للبانى والهدم من صفات الانسان ···· وبرع الشاعر براعة منقطعة النظير فى هذه الناحية ··

رابعا « التجـريد »

وهو تحويل المحسوسات من المجال المادى الذى هو طبيعتها الى مجال

معنوى هو من خلق الشاعر وهذه الخاصية عكس الخاصية السابقة واقـــل منها استعمالا . .

يقول شاعرنا فى قصيدته « مقبرة الحى » يصف شمعة غرفته وهى شىء محسوس يصورها بالأمنية الفانية فحجرته

تكافح الليـــل بهــــا شــمعة ذابت من الوجـــد ، كاحشائيه

كانها والدجـــن يلهـــو بهــا أمنيـــة فى ياســـها فانيـــة

ويصور الشيطان وهو محسوس غير مرئى فى صورة تجريدية

قلت من أنت ؟ قـال رؤيا خيال كـــل حى على الوجـود رآنى

خامسـا « التعاطف مع الأشـــياء »

الذى يصل أحيانا الى حد الامتزاج بهــا أو الحلول فيها والتفكير من خـــلالها فهو لايكتف بخلع الحياة على الشىء غير الحى ولا يف عند منـــح الانسانية لما لبس بانسان ولا يقنع باقامة مشـــاركة وجدانية بينه وبين الأشياء وانما يتجاوز ذلك كله الى جعل الشىء يفكر بدلا منه ويحس نيابة عنه .. ويعبر عما يريد هو أن يومىء اليه ..

● وانظر بديوانه « هكذا أغنى قصيدتين

تمثيل .. فالشاعر يبرز من خلال القصيدة رايه فى فلسفة الخلق وقصـــه للوجود وان الحياة تمتد الى ما لانهاية .

● وانظر بديوانه « هكذا اغنى قصيدتين

الغراب ، والثور .

● وبديوانه لابد . تأمل قصـــيدته « قصة الكـــوخ » وفى ديـــوانه نهر الحقيقة . تأمل قصائده التالية هتك البراقع ، مأتم الطبيعة ، الشمس ،

---

(١) انظر بديوان أغانى الكوخ ص ٥٩

● وديوانه « موسيقى من السر » يعد التحاماً بحقائق الوجود . وابغالا فى معانقة جوهر الأشياء يقول من قصيدة « موسيقا من الأرض » ص٧٨

تـوارت زهـــورى

وكانت بساتين . ترضع منها شفاه الليالى

وغابت عطورى

وكانت رياحين خلد لقلب الزوال

ومال الشراع

وداست خطا الريح أشلاءه الدامية

وهب الضياع

فلم يبق فى الروض حتى صدى النغمة الباكية

سادسا « الميل الى استخدام التعابير الرامزه »

التى يغلفها ستر من الضباب الحفيف أو يغشيها جو من الابهـــام اللطيف فيحول بينها وبين الدلالة المحدودة المباشرة فهى لا تعطى مدلـــولا وضعيا او مجازيا دقيقا وانما تثير فى النفس احـــلاما ورؤى وأحاسيس مبهمة .. تنتقل بها الى أودية خيالية بعيدة تبحث عنها ذكريات قديمـه أو تحلق فيها علاقات بين أشياء تبدو غريبة ومن تلك التعابير

وادى الجن ، مأتم الطبيعة ، حجب الغيب ، هتك البراقع ، نهر النسيان، عروس البحر ، صلاة العشب ، عرافة الزهر ، التراب الحائر ، العطر الكاذب . الشاطىء المجهول ، رفات الهدير ، يقتات سمع الفضاء ، تابوت خيبة الضوضاء فمثل هذه التعابير تثير فى النفس الوانا من الأحاسيس المختلفة .. التى تدل على أغوار نفسه .

فمثلا تعبير « مقابر الســحر » عنوان لقصية يوحى الينا بالفرحـــة الموءودة والنفس المطحونة والروح المصفده فى أغلال الأسى ..

وقل ما شئت مادام السحر أصبحت له مقابر . فكيف عبر الشـــاعر فى مقابر السحر . انه لايدرى ماهو ؟ ولماذا وجـد ؟ الا أنه ضل احساســـه

ورأى فى الطبيعة مثل ضلاله (١) ٠

مالى احس كان عمرى فى يد الأحزان يطوى ؟

نفسى تناهبها الشقاء ولم تجد فى الجسم مأوى ٠

قلبى أثلته الجراح فما يطيق بهن شكوى ٠

حبى استحال رواية للدمعيعصرها فتروى ٠٠ (٢)

ثالثا « خصائص ترجع الى – استخدام معجم شعرى خاص »

ومن خصائص أسلوب شاعرنا ٠٠ وشعراء ابولو ٠٠ استخدام معجم شعرى خاص ٠ وقد سبق أن وضحت هذه الخاصية فى الأسلوب والصياغة ٠

● وقلت ان شاعرنا يكثر من استعمال الألفاظ المرتبطه بالطبيعة ٠٠٠ والدين ٠٠ والموروثات القديمة ٠٠ والكأس ومشتقاته والألفاظ التى تتصل بالجو الروحى الشفاف ٠ والنور ٠٠ ومشتقاته والحرية والرق ومشتقاتهما ٠ وما الى ذلك ٠

يقول شاعرنا مخاطباً حبيبته ٠٠

أقبلى كالصـــلاة رقرقهـــا النــ

ســك بمحـــراب عابــد متبتل

اقبلى آيـــة من الله عليـــا

زفها للفنـــون وحى منـــزل

انت لحـــن على فمى عبقـــرى

وانـــا فى حـــدائق الله بلبل

---

(١) المذاهب الأدبية بين النظرية والتطبيق د ٠ محمد السعدى فرهود

(٢) اغانى الكوخ ص ٧٣

انت لى واحـــة افىء اليهـــا
وهجير الأسى بجنبى مشـــعل (١)

● ويرتمى شـــاعرنا فى أحضـــــان الريف بعيدا عن الناس بين رنة العصفور وسارى العطر وترانيم المزمار وثغاء الشاه (٢)

سجنتنى رنـــة العصـــفو ر فى فجـــر الربـــا الضاحى
وســـارى العطـر من زهـر رطيب الـــــود فيـــــاح

فالشاعر استعمل فيما سبق الفاظ الصلاة والنسك والمحراب والتبتل والآيه والله والوحى المنزل واللحن والحدائق والبلبل والواحه ثم العصفور والفجر ، والعطر والزهر الفواح ٠

وهى من الألفاظ ٠٠ الغالبة الاستعمال فى شعره وشعر رواد ابولو ٠٠

رابعا « خصائص الايقاع والموسيقى الشعرية »

والايقاع والوزن عند شعراء « ابولو » وفى مقدمتهم شاعرنا محمود حسن وهو يعد من الشعر بمثابة العظم من الجسد لا يقوم الابه وبدونه يظل مهيض الجناح ٠٠ عاجزا عن الوقوف ٠٠

والايقاع والوزن عند شعراء « ابولو وفى مقدمتهم شاعرنا محمود حسن اسماعيل ٠٠ له خصائص وسمات تميز بها عن شعر البيانيين ٠٠

واهم هذه الخصائص ٠٠

● الاعتماد الكبير على القالب المقطعى الى جانب الاعتماد على القالب الموحد ٠٠ حيث ترى القصائد المنظومة من عدة مقاطع تختلف قوافيها من مقطع الى مقطع وقد تختلف اوزانها كذلك ٠٠

---

(١) هكذا أغنى ص ٢٢٣
(٢) تطور الشعر الحديث فى مصر ص ١٩

وقد عالجت فى الفصل الثالث من الباب الأول ·· قضية « الشكل » عند شاعرنا ·· وبينت أهم الملامح التى تميز بها شعره من هذه النـــاحية سواء المقفى بالقافية الواحدة المطردة أو القصائد المقطعية ··

● وهذا النوع الثانى الذى يسمى بالقصائد المقطعية كان عندهـــم لونان ·· وعند شاعرنا أيضا ··

لون ليس من تنوع فيه الا القافية التى تتغير من مقطع الى مقطـــع كالمزدوج الذى يتألف من ازدواج شطرات كل زوج على قافية واحدة تخـالف بقية القوافى ·· وكالمربع وكالمخمس وكالمسمط ··

وأما اللون الثانى من لونى هذا الشعر المقطعى فهو اللون الذى يتجاوز التنويع فى القافية ويصل الى الوزن نفسه ·

فى هذا اللون نرى شعراء هذا الاتجاه لا يلتزمون وحدة الوزن الشعرى التى تفرض أن تكون القصيدة كلها من بحر واحد (١) ·

وانما نرى شاعرا كمحمود حسن اسماعيل ينتقل فى القصيدة من بحر الى بحر ·· تجاوبا مع حالته النفسية ·· وذلك فى مثل قصيدته « النعش » التى تتألف من بحرين المجتث ··

مستفعلن فاعلاتن ، والبسيط التـام ·· مســـتفعلن فاعلن مستفعلن فلعلن ·· ، وقد أشرت الى هذه الملاحظه قبل ذلك·· ويقول فى القصيدة ··

ياحامل النعش لا تعجـل فان أسى

من حيرة الموت أعيا بطش افكارى

---

(١) تطور الأدب الحديث فى مصر ص٣٠٦

هذا الذى ضاقت الدنيا بمطمعه ... نصيبه .. كان منها عشر أشبار

وتستوى أن تردت في هاويات الحتوف

جماجم البله فيها ومخة الفيلسوف

● ويخالف محمود حسن اسماعيل ـ شعراء .. الابتداع العاطفى فى ميلهم الى الموسيقى الهادئة . وايثارهم البحور الخفيفة السهلة مثل الخفيف والرمل والهزج والى المجزوءات التى تشيع الحركه والخفة فزاه .. يعتمد على البحور ذات الموسيقى الجياشة المتدفقة التى تهدر .. كالرعد .. ولذلك نلمح فى نبراته هديرا وفى صوته رنينا عاليا .. مما يؤدى الى الخطابية كثيرا والجلجلة والدوى .. وتظهر هذه الخصائص الايقاعية فى قصائد مثل صحراء العجائب .. جلاد الظلال ، نهر النسيان ، حصاد القمر ، الشك ..

وتبرز الروح الخطابية ذات الايقاع الهادر فى ديوان نار وأصفاد حيث القصائد التى قيلت فى المناسبات الدينية والقومية والاجتماعية وديوان « التائهون » الذى ضم بين ضفتيه فلسطين الجريحة وأنات الشاعر حول رفاتها المحطم . وتاريخها الذبيح

وحاضرها الشقى ..

وغدها المشنوق المجلود ..

ومأساة عمرها التى .. تتناقلها الأجيال .. فى حسرة وهوان

● النزعات الشعرية

● والتيار الابتداعى العاطفى الذى كان محمود حسن اسماعيل موجة من موجاته .. موجة متمردة ثائرة ظامئة كانت له نزعات متعددة منها ..

(ا) النزعة الوجدانية ..

وهذه النزعة غلبت على المضمون الشعرى والعاطفة ارق خيط فى نسيجها -

وهى تمثل أهم ما عند الشاعر من فن ينقله من روحه لروحه ٠٠ صلوات واغنيات ٠

(ب) نزعة الحزن والتشاؤم ٠

وهى تصدر عن أسى ومرارة حينا وعن يأس واستسلام حينا آخر وتثير الشجن والحزن فى كثير من الأحايين ٠٠ وقد فارقت هذه النزعة الشاعر أخيرا ٠

(جـ) النزعة الفردية الذاتية ٠٠

● والشاعر يعبر فى الأعم الأغلب عن احاسيسه ٠٠ هو ويهتم بهمومة الفردية ولواعجه الذاتية وشئونه الخاصة على وجه العموم (١)

● وقلما التفت الشاعر ، عامة فى فترة ظهور هذا الاتجاه الى احاسيس الجماعة ٠ واهتم بالأمور الوطنية او القومية وحين اهتم الشعراء بتلك الأمور فيما بعد كانت دائما فى المحل الثانى (٢)

واذا نظرنا الى محمود حسن اسماعيل نجده قد خالف ابناء جيله الى حد ما فى هذه النزعات الوجدانية ـ الفردية ٠ التشاؤمية وبدأ بداية اجتماعيه حيث أصدر ديوان « اغانى الكوخ » وكله يتكلم كما قلت سابقا عن الفلاح وكوخه والظلم الواقع عليه ويصف فيه سحر الطبيعة الريفية وكيف أن هذا السحر موءود مشوه صاحبه لايحس به ٠٠

ومع ذلك لم ينس محمود حسن اسماعيل ذاته وانما كانت له قصائده الذاتية مثل قصيدة (أنا (٣) ٠٠ وهى قصيرة جدا موجزه مركزة ـ يقول انا

خفقة من ارغن منحطم غيبت اصداءها ريح العدم

---

(١) الشعر المصرى بعد شوقى الحلقة الثانية ص ٥٠٤
(٢) تطور الأدب الحديث فى مصر ص ٣٥٢
(٣) اغانى الكوخ ص ٢١٠

نقرته نسمة تائهة في كرى ليل مرتطم
فشداها .. ثم أغفى فسرت في الدجى حائرة بين السدم

ولم ينس وجدانه بل له قصائد كثيرة منها « الفستان الأحمر » التي يقول فيها ..

ان تكن نارا فما أشهى خلودى فى سعيرك
أو تكن وردا فيا لهفة روحى لعبيرك
ليت يافستان لما لحت تزهو فى حريرك
كنت ذرا نابض الاحساس يجرى فى أثيرك
يلثم الحسن ويهوى فانيا بين عطورك (١)

وغلبت عليه أيضا مسحة الحزن والتشاؤم والقلق والتمرد فجاءت مشاعره مغلفة بضبابية حزينة أخفت فى طياتها غيمات الأسى التى ملأت قلب الشاعر واحساسه بالدخان .

لا تسألينى بعد يومك كيف أيامى تسير
انى حداء ساخر بقوافل الزمن الكبير
لكن سأصبح آهة ولهى مضيعة المصير
فى صدر مصلوب شقى المترت مظلوم الضمير
فاذا سمعت صبابة غنى بها وترى الأخير
لا تتركينى بعدها أهوى السماء ولا أطير

انى شربت على يديك ...
... مع الهوى جزع الهجير (٢)

---

(١) أغانى الكوخ ص ١٥٨
(٢) أين المفر ص ١٣٤

الفصل الثانى

شعر التفعيلة وارتياد الشاعر آفاقه

اولا ·· [نشأة الشعر الحديث ·· وظروف هذه النشأة] ··

● حينما أتحدث عن الشعر الحديث لا أتحدث عنه حديثا منفصلا عن الشاعر محمود حسن اسماعيل ··

وانما أتحدث عنه بوصفه اتجاها جديدا فى مفهوم الشعر وشكله وهذا الاتجاه ظهرت آثاره فى أشعار محمود حسن اسماعيل الحديثة العهد فى نتاجه الأخـــــير ···

وان كان محمود حسن اسماعيل من الجيل السابق لمدرسة الواقعية فى الشعر « الوجدان الجماعى » وهو الذى أطلق عليه · جيل الرومانسية أو التيار الابتداعى العاطفى أو مدرسة أبولو وكلها مسميات تهدف الى غرض · واحد هـو التجديد والانحصار فى الذات ومعالجة همومها ومشاكلها ··

لكنه ككل شاعر أصيل متجدد دائما يعبر عن روح عصره بفنه السامق وليس الجديد دائما · ولكن ماهو جديد اليوم سـيكون قديمـا غـدا فالحياة تتطور وتنمو ولابد للنبت من أن يخضر ثم ينمو ثم يصفر ثم ينقرض ولكن يبقى أثره نافعا ومفيدا للناس ويأتى بعده نبت جديد ·· وهكذا الحياة وهكذا الأحياء ·· وهكذا الفن ·· ولنتساءل ··

ما المناخ الفكرى ·· والسياسى الذى أدى الى سقوط أمطار الشـعر الحديث وهل وجد أرضا خصبة ·· فنما زرعه ·· وأينع غراسه ؟·

أم نزل على جدب مقفر ؟ فغاضت سيوله الهامره ٠٠٠

● عن ذلك يتحدث الأستاذ غالى شكرى باستفاضة فى كتابه ٠٠٠٠ شعرنا الحديث الى أين ٠٠٠ ؟ فيقول

● نحن نستطيع أن ننسى خمسين عاما من نهضتنا حين نتحدث عن الشعر فلعل ثورة عباس محمود العقاد ٠٠ وعبد الرحمن شكرى وطه حسين فى أوائل هذا القرن هى البادرة الأولى فى حياتنا الشعرية لأن نلقى عنكواهلنا عوائق الوجه السالب فى التراث ونتجه الى حضارتنا فى تكاملها الحى العميق نستخلص منها وسيلة اللقاء المشروع بيننا وبين ذروة الحضارة الانسانية المعاصرة فى أوروبا ـ كان طه حسين يستخدم « كوجيتو ٠ ديكارت ٠ على نحو من الأنماء فى معالجة الشعر الجاهلى ٠ وكان شكرى والعقاد يتذرعان بهازلت ، وكو لريدج ، وورد زورث ٠ فى معالجة الكلاسيكية الجديدة من البارودى الى شوقى

ولقد اهتزت أيامها فكرة التراث اهتزازا شديدا بفضل الفاعلية الحارة للمناهج الأوروبية ٠٠ فى نقاد جيل الثورة ٠٠

أجل ٠٠ فقد كان الشق الآخر من القضية « الواقع المعاصر يهتز هو الآخر تحت وطأة ارهاصات الثورة المصرية ٠ وقد تحالف اهتزاز التراث بمعنـــاه السلبى الاجترارى مع اهتزاز الواقع الحضارى فى خلق موجة جديدة اينعت ثمارها فى الشعر والنقد معا ـ وما « أبولو » الا احدى هذه الثمار فى صقل الشعر ٠ كما كانت دراسات العقاد ٠ حـــول الشعر المصرى ٠ وكتــابات طه حسين حول مراحل تطور الشعر العربى بمثابة المراجعة الجديدة لمختلف أشكال التراث من أقدم شاعر جاهلى الى أحدث شاعر معاصر ٠

كانت هــذه المراجعة ٠٠ بمثابة أولى مراحــل التصفية لآثار العقــد الموروثة من مركبات النقص ازاء التراث من جانب والحضارة الغربية من جانب آخر ٠ الا أن هذه الموجة لم تستمر اكثر من عشرين عاما ٠٠ أجهضت نبيها

الثورات العربية المتتالية وترعرعت السلفة الفنية بالعودة المحمومه الى التراث منذ نهاية الثلاثينات عند بداية الحرب الثانية الى أوائل الخمسينات مع ثورة تموز يوليو ١٩٥٢ واقبلت الموجة الجديدة الثانية من وراء البحار · مع هذه الرياح القادمة من أوروبا ودخل أبناء الأربعينات والخمسينات من الجيل الأكاديمى فى جولة قاسية مع جيل الرواد باسم «الهمس فى الشعر» عند مندور تارة وباسم «الاشتراكية فى الأدب» عند لويس عوض تارة أخرى الى أن تمت الغلبة النظرية لجيلنا فى المعركة الحاسمة ·· بين طه حسين والعقاد من جانب ونقاد الأدب الواقعى من جانب آخر هذا فى مصر أما فى بقية أرجاء الوطن العربى فقد اتخذت شكلا آخر هو التطبيق العملى حيث جاءتنا من العراق على وجه التحديد البشائر الأولى ·· لنجاح معركة التجديد ·· على يدى · نازك الملائكة وبدر شاكر السياب ·· (١)

وحول بشائر الموجة الجديدة للشـــعر الحديث يدور اختلاف كثير ولم يحدد بالضبط تاريخ ميلاد هذا الشعر وانما كانت له ارهاصات ومقدمات ظهرت قبل مولده بسنوات كثيره ·· ونحن نعلم أن اليوت نظم الشعر الحـــر وهو رائد الشعر الحديث فى العالم وأن مايكوفسكى شاعر روسيا طبـــق أيديولوجيته فى شعر حر ·· وأن الشعر الحر ظهر فى فرنسا فى أوائل الربع الثانى من القرن العشرين · (٢) · وظهر صدى هذه الدعوة فى فرنسا حوالى عام ١٩٣٥ (٣) ·

● وقد ادعى لويس عوض أنه أول من نظم الشعر الحر فى بعض قصائده ومحمد فريد أبو حديد فى ترجمته لمسرحية « روميو وجوليت » يرى أنه أول من ابتكره » (٤)

---

(١) شعرنا الحديث الى أين ؟ غالى شكرى ص ٢٠ ٢١
(٢) نظرية الفن المتجدد ص ١٣٥ عز الدين الأمين
(٣) فصول فى الأدب والنقد د · عبد المنعم خفاجى
(٤) فصول فى الأدب والنقد ص ١٣٤

وتؤكد نازك الملائكة أن قصيدتها « الكوليرا » التى نظمتها فى خريف عام ١٩٤٧ ·· وضمنتها ديوانها ·· شظايا ورماد « الصادر عام ١٩٤٩ هى أول بواكير الشعر الحر » (١)

الا أن بدر شاكر السياب يذكر فى عدد تشرين من مجلة الثقافة الدمشقية أن البداية كانت من عنده · وكانت فى سنة ١٩٤٦ لا فى سنة ١٩٤٧ ·· كما ذكرت الشاعرة نازك ثم يذكر الأستاذ ·· انعام الجندى ·· فى العدد « ١٨٤» من مجلة الأسبوع العربى البيروتية فى معرض نقده لكتابها أن السياب أرجع التاريخ فى غير مرة الى العام ١٩٤٤ · (٢)

● والأستاذ نجيب محفوظ ·· يدلى برأى غريب ويصر على رأيه وذلك بتأكيده لما يقول ·· فهو يجيب الأستاذ فؤاد دواره ويخبره عن قراءاته الأولى ثم ·· يصرح بأنه كان ينظم الشعر ·· الشعر الحر ·· ويقول ··

● ومع قراءاتى للمنفلوطى كنت أؤلف « نظرات » و « عبرات » وأذكر أننى فى هذه الفترة كتبت الشعر ·· كنت أكتبه فى بادىء الأمر موزونا ·· وحينما وجدت الأبيات المكسورة كثيرة أطلقت الشعر وحررته من الوزن فكنت رائد المدرسة الحديثة فى الشعر بلا منازع لأن هذا يرجع الى سنتى ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ (٣)

● ومن النقاد من ارجع ـ بذور هذا الشعر الى العصر العباسى وهو الدكتور عبد المنعم خفاجى فى كتابه « البناء الفنى للقصيدة العربية » يقول · حاولت أن أجد أصلا قديماً للشعر الحر عند شاعر عباسى يسمى « رزين العروض » [المتوفى نحو عام ٢٣٠ هـ] فى قصيدة شعرية خارجة عن الوزن الشعرى ·· العمودى · وجهها من مدينة العسكر الى الحسن

---

(١) المرجع نفسه
(٢) الفن المتجدد ص ٣٠
(٣) عشرة ادباء يتحدثون ص ٢٧٧

ابن سهل ورواها ياقوت فى كتابه « معجم الأدباء » وكانت هذه محل ازدراء النقاد فى عصر رزين » ولم تتكرر مثل هذه التجربة الشعرية فى الشعر العربى على اختلاف العصور (١)

● وبرغم كل هذه الصراعات حول لحظة البداية فاننى أعتقد أن البداية الحقيقية لمن يستمر ويؤكد وجوده بمواصلة الابداع · وانطلاقا من هذه القاعدة فكل محاولات جبران ، والريحانى ونجيب محفوظ ، وتوفيق الحكيم وخليل شيبوب وعبد الرحمن شكرى واحمد باكثير ، ولويس عوض تعد ارهاصات · تسبق الحدث · فهى تشارك فى تكوينه · حتى لو تخلفت عن مواكبته ··

● ويعد « محمود حسن اسماعيل » من رواد هذا الاتجاه الحقيقيين المبدعين · فقد كتب عام ١٩٣٣ قصيدة مأتم الطبيعة (٢) ونشرتها مجلة « ابولو » عدد فبراير سنه ١٩٣٣ وقدمتها بعنوان قصيدة من الشعر الحر » وأعادت نشرها مجلة الهلال عدد اكتوبر سنه ١٩٧٠ ··

● والسياب ونازك الملائكة لهما دورهما الريادى فى هذا الاتجاه ، ابداعا وتنظيرا وتطورا ·

● وحين رأى نور الحياة المولود الجديد ·· اختلفت أسرة الفن حول اسمه ولم يضيئوا له الشموع ··· لتبقى شمعة فى النهاية بعد أن تذبل الأخريات · ويا ليتهم فعلوا ذلك · فالشمعة هنا هى التاريخ « والتاريخ هو الحكم العادل فى هذه القضية ولكن لم تنصب الشموع ·· بل اختلف الآباء والأشياع حول وليدهم وحول اسمه ·· وطالب صلاح عبد الصبور وهو من شعرائه المجيدين فى مجلة المجلة المصرية عدد ديسمبر سنه ١٩٦١ ·

---

(١) فصول فى الأدب والنقد ص ١٣٧

(٢) انظر القصيدة بديوان « نهر الحقيقة » ص ٨٠ ــ ٨٤

بوضع اسم له ..

وسماه الدكتور محمد النويهى . الشعر المطلق

وسماه الدكتور محمد مندور . الشعر الجديد

وسماه السحرتى فى كتابه « شعر اليوم » باسم الشعر الحر ..

وسماه .. « عز الدين الأمين » فى كتابه نظرية الفن المتجدد « شعر التفعيلة »

وقال صلاح عبد الصبور . ان التفعيلة المفردة هى الوعاء الشعرى له .

وقالت نازك الملائكة .. فى كتابها « قضايا الشعر المعاصر فى مقام دفاعها عنه .. ان الأساس النغمى للشعر العمودى هو أساس الشعر الحر

و د . احسان عباس يطلق عليه اسما غريبا حيث يسميه « المغصن »

وقياسا على المسميات القديمة لأشكال الشعر القديم وأنواعه يقول

« وقد خطر لى قياسا على وفرة المصطلح الدال على الأشكال الشعرية عند العرب (مثل الموشح والزجل والمسمط والمعلقة والملعبة والكان وكان والقوما و ... الخ أن أسمى هذا اللون الجديد من الشعر باسم « المغصن » مستوحيا هذه التسمية من عالم الطبيعة لامن الفن الزخرفى ، لأن هذا الشعر يحوى فى ذاته تفاوتا فى الطول طبيعيا كما هى الحال فى أغصان الشجرة ، خصوصا وأن للشجرة دورا هاما فى الرموز والطقوس والمواقف الانسانية والمشابه الفنية ، ثم لأن هذه التسمية تشير من وجه خفى الى كتاب « الغصن الذهبى » الذى كتبه « جيمس فريزر » وما أثار من تنبه الى الرموز والأساطير ، وما كان له من أثر عميق فى هذا الشعر نفسه » (١)

● واعتقد ان التسمية المناسبة للشعر الجديد هى شعر التفعيلة . ولاتقتصر

---

(١) اتجاهات الشعر العربى المعاصر ص ٢٨ . د . احسان عباس

على الشعر المتحرر من الوزن أو القافيه أو منهما معا بل تضم الى رحابها كل شعر عصرى يحمل روح العصر وهمومه ومشاكله ·· ومعاناته فى الخلق والابداع · فليست القافية قيدا وليس عدمها عيبا ·· مادمنا أحسسنا بحرارة الانفعال وصدق التجربة ·· وأيقظ مشاعرنا رنين الأصوات الجديدة بنبضها الحى ونبتت فى نفوسنا الدهشة والانتباه ··

● فاهمال القافية أو الوزن لايجعل من القصيدة شعرا حديثا لمجرد تحررها الشكلى ·· كذلك فان غياب الموضوعات السياسية أو الاجتماعية وظهور القضايا الفلسفيه الكبرى فى الشعر لايمنحه معنى الحداثة ··

« ذلك أن الشعر الحديث هو رفض للتصنيف الميكانيكى للفن الى شكل ومضمون هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فانه يستوعب فى بنائه المعقد مجموعة هائلة من العناصر الدرامية التى تستمد تعقيدها وتركيبها من طبيعة الحضارة الحديثة نفسها · (١)

« آفاق الشعر الحديث ـ وارتياد الشاعر لها »

● والشعر الحديث له أسسه الفنيه وآفاقه المتعددة الجوانب التى يحلق فيها الشعراء ويرتادون مجاهلها ·· فالشاعر مغامر · يبحث عن الحقيقة والشعر مغامرة متجددة دائما ·· والشعر والشعراء دائما على سفر ·· سفر مع · الفن ·· والهموم · والانسان ·· ومتى ينتهى السفر · لاندرى ·· كل ما ندريه أنه ·· سفر لانهائى ·· فى طريق الحياة · المر · ، وأهم آفاق الشعر الحديث ·· وظواهره هى

أولا ·· اللغة ووظيفتها الجديدة فى العمل الفنى

ثانيا ·· النزعة الدرامية

---

(١) شعرنا الحديث الى أين ص ١٨

ثالثا .. الموقف من المدينة

رابعا .. الحــــزن ..

خامسا .. المواجهة الذاتية

سادسا .. الغربة

سابعا .. الفروسية

ثامنا .. التمرد والرفض

تاسعا .. الصوفية الملتزمة

● وسأتناول دراسة كل ظاهرة من هذه الظواهر والآفاق فى ظــــلال النصوص الشعرية للشاعر التى تتفق وهذه الظواهر . وبذلك يتسنى لنا أن نحكم على شاعرنا أنه جمع بين التراث والمعاصرة وأنه متطور متجدد ... كالحياة نفسها ..

أولا .. اللغة ووظيفتها الجديدة ..

الشاعر المعاصر لم يعد يحس بالكلمة على أنها مجرد لفظ صوتى له .. دلالة أو معنى .. وانما صارت الكلمات تجسيما حيا للوجود ومن ثم اتحدت اللغة والوجود فى منظور الشاعر أو صار هذا الاتحاد فيها ضرورة لابديل لها .. وقد نتج عن هذا الموقف أعنى الاحساس بضوورة الاتحاد بين اللغة والوجود . أن تميزت لغة الشعر المعاصر ـ فى مجمله . كما تميزت لغة كل شاعر على حده بل كادت تتميز لغة كل قصيدة بميزة التفرد .

● راجع فى هذا الموضوع الكتب الآتية
(١) الشعر المعاصر . ظواهره وقضاياه الفنيه د . عز الدين اسماعيل
(٢) قضايا الشعر المعاصر ـ نازك الملائكة
(٣) فى بناء القصيدة الحديثة د . على عشرى زايد
(٤) اتجاهات الشعر المعاصر د . احسان عباس

ذلك أن ضرورة الالتحام بين اللغة والتجربة وهى الضرورة يسعى اليها ويقررها ٠ الشاعر المعاصر ٠٠ من شأنها أن تجعل لكل جزئية من جزئيات الوجود ٠٠ أجل ٠٠ كل تجربة جزئية لهذا الوجود لها لغتها الخاصة (١) ٠

● ومحمود حسن اسماعيل أهم ما يميز شاعريته لغته الخاصة ٠ فهو وان كان من الجيل السابق لجيل التيار الواقعى لكنه ظل منفردا بأسلوبه الخاص ٠٠٠ ولغته التى تلتحم التحاما أصيلا بالتجربة ٠٠

وفى قصيدة « موسيقى من الأيام » يكشف الشاعر النقاب عن وجه الحياة الجديدة وكأنه ظل يمسك عصا المعرى ويجوب آفاق النفس والوجود ٠٠ الى أن عثر على ضالته ٠٠ ورفع الستار ٠٠ والقصيدة أعتقد أن الشاعر قالها ٠٠ بوحى من احساسه الخاص بزوال القهر وانقشاع غيم الكبت الفكرى والسياسى والاجتماعى بعد أن تحطم ظل القيد وفك اسار المخنوقين ٠ واحتضنت عرش القمة أفكار المضطهدين ٠

يقول الشاعر ٠٠

وتهاوت الظلمات وانقشعت بدرب السائرين

ومضى الصباح ٠٠

٠٠ فذاب ظل القيد من خطو السنين

وتغير الانسان ٠٠

٠٠ لم تعد الرؤى تسقيه خمر الزائفين

وتغيرت روح الحياة

٠٠ فلن يلوح بها سنا للواقفين

وتغيرت قيم لحياة ٠٠

---

(١) الشعر العربى المعاصر د ٠ عز الدين اسماعيل

.. فلن يطل شعاعه للخاطفين

وتغير التــــاريخ نعمـــة غاره

لم تبق الا للحــداة المخلصـــين

فـــاعذر زمـــانك يازمــــان

فانه أعمى تلمس ضوءة خلف الستار

رفـــــع الســـــتار (١)

فى هذه المقطوعة تتضح اللغة الخاصة التى تميز بها محمود حسن اسماعيل وكذلك تتضح روح الثورة والتغيير التى تعمقت فى احساس الشاعر فالظلمات التى طالما عانى منها الشاعر تهاوت وظهر أمامه النور الذى طالما ظل ينشده . والسر الذى عذبه دائما هو منه على قيد ذراع وذاب ظل القيد الذى أدمى مشاعره . وأعولت منه أيامه . وضجت سلاسله . وأخرس جلاد الطغاة قياثره وشل حديد المستبد أنامله .... وتغير الانسان وتغيرت روح الحياة .. حتى القيم تغيرت .. حتى التاريخ تغير ..

هذى المضامين الطازجة وهذا الاحساس الحاد استطاع الشاعر أن يضعه فى القالب التقليدى . وان كتب على نظام الشعر الجديد ووقفة الشاعر أمام المسجد الأقصى بعد حريقه الآثم وقفة جديدة والصلاة فى القصيدة لا تحمل دلالة العبادة فقط .. ولكنها تحمل أشعة محمومة من الغضب والثأر ... والاصرار ..

وجئت أصـــلى

وفجرت ذاتى لهيبا جديدا

يمزق أغلال رقى وذلى

وما كنت عبدا

ولا ذقت قيـــدا

---

(١) الشعر .. ربيع ١٩٧٢ ص ١٢

ولكن صوتا خفيا من الله يملى

اذا حدت عنه تردى صباحى بليلى

فلما تباعدت عنه ٠٠ دهانى بأشلاء حبلى

واغرى بى النار ٠٠

حتى رماها برجهى ٠٠ وقد جئت يوما أصلى

لأحيا جديد الحياة ٠٠ جديد الصلاة ٠٠ جديد التجلى (١)

ثانيا « النزعــة الدراميــة »

● وتطور الشعر من الغنائية الصرف الى الغنائية الفكرية وصـارت أروع القصائد الحديثة العالمية هى أولا وقبل كـل شىء قصـائد ذات طابع درامى ٠٠ من الطراز الأول وصار من المسلم به الآن لدى الأكثرين أن الفكر ليس عنصرا غريبا تأباه طبيعة الشعر وترفضه لما يتميز من خاصية موضوعية غالبا ٠٠ وانما صار التلاحم بين الشعور والتفكير هو المسلمة الأولى لكل عمل فنى سواء كان شعرا أم سواه فاذا كان الشـــعور ترجمانا مباشرا عن الذات فان الفكر هو الاطار الموضوعى الذى يضم هذا الشعور (٢) ٠

والتفكير الدرامى له ثلاث خاصيات ٠٠ الحركة والموضوعية والتجسيد فالتفكير الدرامى ـ لايأتلف ومنهج التجريد لأن الدراما أى الحركة لاتتمثـل فى المعنى أو المغزى ـ وانما هى تتمثل فيما قد يؤدى فيما بعد الى معنى ومغزى أعنى فى الوقائع المحسوسة التى تصنع نسيج الحياة ٠ ومن ثم كان التفكير الشعرى تفكيرا بالأشياء ومن خلال الأشياء أى تفكيرا مجسما لاتفكيرا تجريديا ٠ (٣)

● ومحمود حسن اسماعيل وان لم يكن أبدع مسرحيات شعـــرية

---

(١) ديوان صلاة ورفض

(٢) الشعر العربى المعاصر ٢٨٠ ـ ٢٨١

(٣) الشعر العربى المعاصر ص ٢٨٨

تمثل ·· المأساة أو الملهاة ·· عنصرى الدراما فانه قد ترك التهويم والتنغيم والتجريد ·· الى تجسيم تجربته الشعرية وتحديدها ··

● واذا قلنا ان الشعر العربى قد تطور فى التجربة الأخيرة تطورا حاسما فينبغى أن نتذكر أن الشاعر قد تطور ··

ولقد تطور من حيث تكوينه الثقافى وتطور من حيث ادراكه لعمله ووعيه ·· بأهمية هذا العامل ·· وقيمته بالنسبة للحياة ولم تعد القصيدة التى يكتبها مجرد أداة لازجاء وقت الفراغ أو تصوير للمشاعر والأحساسيس بل أصبحت القصيدة وحدة فى بنية متكاملة تمثل حياته ومغامراته الانسانية فى سبيل استكشاف الحقيقة أو مجموعة الحقائق الجوهرية ··

والشاعر يصور مأساة الانسان المعاصر فى توثبه لقهر الظلم والاستبداد فى قصيدته السلام الذى أعرف ··· حيث يخاطب العالم ··

من الشرق جئت ··
ولست نبيا ··
ولا مرسلا فى يمينى كتاب ··
ولكننى من ضمير الوجود انسللت ··
ومن كل جور
وبغى على حقه قد غضبت
ومن كل قهر
لانسانه الحر ثرت
(ومن كل نبر) لصوت أسير
تلاشى حواليه صوت الضمير
ومن كل أرض
عليها يد الشر سلطها مستبد
وأرض عليها من القهر حر وعبد

وأرض ٠٠ عليها القداسات تسقى المهانه
وتعوى بخطو النبوات فيها رياح الخيانه
وأرض بها اللون يصبغ وجه المبادىء (١)

الشاعر هنا يغوص فى أعماق جرح الانسانية ومأساتها فهو ليس مرسلا ولا نبيا ٠٠ ولكنه دفقة دم من الجرح الكبير واعصار حقد من ضمير الوجود المقهور ٠٠

ويبين لنا فى لمحة فنية خاطفة ٠ صورة من التناقض الانسانى والتحالف الاستعمارى ٠٠ حين يصور الامبريالية وهى تمضى على جثث النور والحب والزهر تحت الظلام تئد السلام ثم بعد أن تقتله ٠٠ تبحث عنه فى الضباب فوق النجوم ــ فى كهوف القمر ويلاحظ التطور الفنى للشاعر هنا ٠٠ فالنجوم والقمر والسديم والظل كانت من أدوات الشاعر الأساسية فى التعبير ٠

● وهنا يذكرها الشاعر فى مجال السخرية ــ مع حبه لها ــ هنا دنيا الواقع ــ الأرض التى تعوى عليها ذئاب البشر بصوت الوئام ٠٠ والرق فى يديها والشعوب تئن تحت قدميها ٠٠٠

لا شك ٠٠ أن الشاعر ــ نهشت المأساة ذاته ٠٠
ففر الى الوجدان الجماعى وأنصهر فيه ٠٠ يحمل همومة ومشاكله ٠٠
وان تحطمت قيثارته وذبحت أوتاره ٠٠ فلن ينفصل عن هذا الوجدان الخصب

● وقصيدة « هتك البراقع » تعد عملا دراميا متناميا ٠ يتحاور فيه صوتان ٠ صوت الواقع المدان ٠ وصوت الواقع النبوءة والحكم وهـــذه المحاكمة الشعرية تكشف النقاب عن سوءات العصر ، وتهتك الأقنعه التى تخدع الكثيرين ٠ والصورة المعبرة ، والرمز ، والأسطورة ، وتعدد الأصوات

---

(١) صلاة ورفض ص ٢٥

مما يميز هذا العمل الفنى ويجعله عملا دراميا متكاملا ـ مكونا من أحد عشر مشهدا ـ يمكن أن تجسم فى عمل مسرحى له دلالته الفنية المميزة ٠

ومن أروع هذه المشاهد ٠ المشهد الثالث بما فيه من رمز ٠ وتصوير أسطورى ، وخيال صوفى وثورة على الرتابة والجمود ، واندماج فى كائنات الوجود التى تهبه الاستمرار ٠

يقـــول

وقالت : وهذا الذى فى السماء
له هامة من شعاع ذميم
تعالى بأمشاج رزق لقيط
من العار ، تخجل منه سدوم
يطل بجفنين يسترجعان
من الأمس أشلاء طير رميم
ويبنى بما خلفته الريـــاح
شباب الجديد بنعش القديم
فقلت : اتركيه لأوهامه
ستصعقه يقظات النجوم !! (١)

ثالثا « الشاعر والمدينة »

● ومع الأيام تتبلور موضوعات جديدة للشعر تتكشف للشاعر نتيجة لانهماكه العميق فى روح الحضارة كما هو ماثل فى اطار العصر ٠٠ ومحاولته تفهم أبعاد هذا الوجه الحضارى وقيمه ومثله ثـــم نتيجة التجربة لأصالة التجربة وبكارة الرؤية الشعرية على السواء والمتصفح لدواوين شعرنا المعاصر يلاحظ أن كثيرا من الشعراء قد واجهوا ٠٠ فى قصيدة أو أكثر موضوع المدينة ٠ منذ الديوان الأول « مدينة بلا قالب » لأحمد عبد المعطى حجازى ٠ الى ديوان « قلبى وغازلة الثوب الأزرق » لمحمد ابراهيم أبو سنة ٠ (٢)

---

(١) نهر الحقيقة ٤٢ ـ ٥٩
(٢) الشعر العربى المعاصر

وقد حدث فى الفترة الرومنتكية أن شعراءنا • تحت وقع الاحساس كذلك بهذا التناقض وعدم التكيف مع حياة المدينة وتقبلها ‏•• بكل مواضعاتها وهروبا من الجو السياسى الخانق حدث أنهم صرفوا وجداناتهم للريف وتغنوا فى أشعارهم بالقرية وبحياة الكوخ البسيطة • وكلنا يذكر «أغانى الكوخ» لمحمود حسن اسماعيل وقصائد الهمشرى التى تتغنى بحياة الريف •

أما الشعراء المعاصرون فانهم لم يفروا من المدينة كما صنع الرومنتيكيون ولم يدفعهم عدم تقبلهم لوجه الحياة فى المدينة الى التغنى بالقرية مثلهم وانماهم شاءوا أن يعبروا عن تجربة الحياة التى هم منخرطون وهى تجربة الحياة فى المدينة ذاتها ‏••

وقد عانى الشعراء من تجربة الحياة فى المدينة ‏••

وأول مظهر من مظاهر الشاعر فى المدينة يتمثل فى شعوره بالوحدة فيها وربما ارتبط هذا الشعور بالوحدة العاطفية للشاعر حيث يحتد هذا الشعور حين يفقد الشاعر من يحب – يقول احمد عبد المعطى حجازى

طرقت نوادى الاصحاب لم أعثر على صاحب

وعدت تدعنى الأبواب والبواب والحاجب

يدحرجنى امتداد طريق

طريق مقفر شاحب

لآخر مقفر شاحب

تقوم على يديه قصور

وكان الحائط العملاق يسحقنى

ويخنقنى ‏••

وفى عينى سؤال طاف يستجدى

خيال صديق

تراب صديق ‏••

ويصرخ انني وحـدى
وما مصباح مثلك ساهر وحدى
وبعت صديقتى بوداع (١)

٠٠ ومحمود حسن اسماعيل يقف موقفا آخر ٠ موقف الباحث فى أغوار نفوس الناس « أهل المدينة » بعد أن عانى من الوجوه المستعارة التى تزيف حقيقة الانسان ٠٠ويرحل فى صـحراء العجائب وللعنوان دلالة أعجب من القصيدة فالصحراء توحى بالجدب فهذه الوجـوه لاتفيد الحياة شيئا ولذلك من الواجب بترها هنا تكمن معاناة الشاعر الحقيقية ٠٠ وقد جاءت فى ثوب تقليدى وليس المهم الشكل ـ فهذه قضية تافهة ولكن المهم المضمون ٠٠٠ فهو المحك الأول والأخير ٠٠٠٠

والقصيدة جاءت فى ديوان « قاب قوسين » والشاعر فى هذا الديوان يحاول أن يكون شاعر الأنماط الانسانية ٠ يستخرج محاورها الداخلية بالحدس الملهم بطريقة شعرية تذكرنا ٠٠ بطريقة « دستويفسكى » فى الرواية ٠٠٠ أطول قصائد هذه المجموعة قصيدة صحراء العجائب ٠

والشاعر فى هذه القصيدة وأختها الضباب الأخضر ٠٠ قارىء للوجوه يرى من خلالهـا النفوس والأعمـال ، فهـو واقف أمـــام المحسوس يتأمله ويستبطن معناه ٠٠

ومن هنا يجد القارىء فى هاتين القصيدتين قيمة التعبير الفنى المجسم وان كان مضمونها أخلاقيا ٠٠ فربما ترجم الشاعر خلجة من خلجات الوجه ٠

فهذا منافق « من أهل المدينة »
يجارى وجوه الناس فى كل نظرة ويسرب فى قيعانها كالثعالب وهـذا مخادع ٠٠ يخدع الناس بمظهره الناعم ويخفى سمه القاتل ٠٠

---

(١) مدينة بلا قلب ٠ أحمد عبد المعطى حجازى

تهدج ، واستحيى، وهوم ، واختفى

بجفنين سعاعين تحت السارب

ولكنه فى معظم الأحيان لايصور الوجه نفسه بل أيحاءه · فهذا الوجه الذى يتظاهر بالتقوى ··

بليد التقى أبصرته فى اسارها

يدور على ايمانه كاللوالب

تهاويت فى أنواره فاذا بها

كهوف معاص يانعات القوائب

تفح خشوعا للفضاء وطيها

صحارى ضلال مهلكات المسارب

وهذه سحنة واش

به سحنة الواشى لها سبع أعين

لها سبع آذان ، وسبع حقائب

يطل كرهط من بنى الجن ظامىء

يحدج فى نبع من الماء ناضب

وتزحف كالثعبان أشواق سمعه

لتشغل ما تهواه من كل صاحب

وهكذا يمتزج التصوير اللحمى ·· بالتصوير الرومنسى الرمزى ···
كما يكون محمود حسن اسماعيل فى أحسن حالاته (٢)

---

(١) قاب قوسين ص ٨٧ ــ ٩٦
(٢) الكاتب يناير ١٩٦٧

هذه الأنماط الانسانية تقودنا بطريق غير مباشر الى جراح غائرة فى كيان الشاعر وصدمات من الصخور ارتطم بها واقعه فى المدينة · هذه الجراح تتمثل فى مشاعر الوحدة والضياع والغربة وهى أثر من معاناه الشاعر من الحياة فى المدينة بعد أن عايش تجربة الحياة فى القرية فى فترتى الطفولة والصبا اليافع وقد كان طبيعيا أن تتعقد فى نفسه المقارنة بين التجربتين وأن يجد أثرا لهذه المقارنة التى انعقدت تلقائيا وبشكل خفى لم يكشف لنا عنه صراحه ·

● وموقف الشاعر المعاصر من المدينة يدل على الاتجاهات الآتية

أولا : رد فعل رومانتيكى خالص يتفاوت قوة وضعفا بحسب أسباب موصوله بنشأة الشاعر ونفسيته وعن هذا الاتجاه يتولد خلق مدن موهومة ، أو تضخيم للريف على حساب المدينة ·

ثانيا : تشكل المدينة بحسب الانتماء العقائدى ، أو الوضع النفسى الفردى ، فالمدينة « وعاء » لا يتغير ، وانما الذى يتغير هو البنية التركيبية فى مؤسساتها السياسية أو انتمائها ، من خلال العلاقة بينها وبين الشاعر ، أى من خلال أزمة تحول يعانيها الشاعر نفسه ·

ثالثا : اعتبار المدينة واقعا مسطحا ينعكس على وجهه تمزق الشاعر أو التوتر الوجودى بينه وبين المدينة « أى مجتمع المدينة على نحو دقيق »

رابعا : اعتبار المدينة (الغربية رمزا للحضارة الحديثة ، والثورة عليها على نحو هجائى · احصائى (كما يفعل البيانى) ·

أو تحليل العلاقات والمستويات الحضارية الراهنة من خلالها كما عند « أدونيس » (١)

---

(١) اتجاهات الشعر المعاصر ص ١٣٥ _ ١٣٦ د · احسان عباس

أو البحث عن منابع البراءة وهتك البراقع وتحليل سلوكيات المجتمع فى المدينة كما تفصح عن ذلك قصائد « محمود حسن أسماعيل »

رابعــــا « ظاهـــرة الحزن »

ظاهرة الحزن فى الشعر المعــاصر ٠٠ ظاهــرة فريدة تغلغلت فى نفوس الشعراء المعاصرين ٠ وقد أصبح معلوما أن الشاعر الحزين ليس من يبكى وأن الشعر الحزين ليس صرخات ولا تأوهات ولا نحيبا ٠٠

فالشاعر المعاصر قد اتسع مجال رؤيته واكتسب نوعا من الشــمول فلم تعد الحياة الأدبية أمامه ألوانا مختلفة يستقل بعضها عن بعض وانمــا تنماذج فيها الألوان لكى تصنع الصورة العامة ٠٠

ومن ثم لم يعد الشاعر المعاصر ٠٠ يرى الجانب الناصع وحـــــده أو الجانب القاتم وحده ٠٠ وأنما هو يرى الجانبين فاذا هو رأى الجانب الساطع مازجت هذا الجانب قتامة واذا هو رأى الجانب القاتم سيشرق منه الطوع والضـــوء ٠٠

هو فى قمة بهجته يقول كما يقول الانسان البسيط « الله اجعله خيرا » وهو فى قمة تعاسته يدرك أن ضوء الصبح يتسلخ من ظلام الليل ٠٠ وأن صوت النعى كما قال ابو العلاء قديما ٠٠ سببه صوت البشير ٠٠ (١)

ومحمود حسن اسماعيل تغلب على أشعاره مسحة الحزن ٠٠ القــاتم المتوثب للحظة البهجة ٠٠ السائر للسفوح الخضر ٠٠ للصــباح ٠٠ وليس الحزن المتقوقع فى كهوف السأم ٠٠

وقصيدته التى امتزج بها الحقيقة وسماها « التزام » تعطينا صورة جديدة عن محمود حسن اسماعيل » وهى أنه امتزج بالحقيقة التى طالما بحث عنها ٠٠ فى الطريق والسر والنور والرق هو الآن يعانقها ٠٠ ويصهر حسه

---

(١) الشعر العربى المعاصر ص ٣٥٤

فى يوتقتها • فهو اذا بكى واذا ابتسم • واذا ضحك لايضحك وحده ولكن طيف الحقيقة معه يلازمه ويشاركه فى احساسه ـ ان ذاته تحمل شاعرين لا شاعرا •• واحدا

•• فاذا بكيت فدمعتان

واذا ضحكت فبسمتان

واذا انتشيت فطائران محلقان

بالدمع قد يبتسمان

بالصفوق يتناوحان (١)

ويقع الشاعر فى صراع رهيب فهو يخاف من الفرح الكبير رهبة من الحزن الذى يعقبه •• ويخاف أن ينساب الشروق فى الكاس فيحترم الغروب ويصور ذلك فى صورة حوار داخلى بينه وبين نفسه وهو تصوير للواقع فى رومانسية جديدة ••

وقالت اجبنى

اتتك الكروم واقدحها

عاطشات الرحيق

ومالت عنا قيدها فى خطاك

فحيرتهـــا

وشربت الطريق

لماذا ؟

وانت على قطرة من الشوق

تنهل نار الحريق

تميل •• فتنأى ••

وتنأى •• فتشقى

---

(١) نهر الحقيقة ص ٢٠

وتشتاق طيف البروق
فقلت أخاف احتدام الغروب ..
اذا ذاب فى الكأس كل الشروق
فالحياة تقبل على الشاعر وهو يرهبها خوفا من الموت ..

فهو يخاف ازدهار أيامه .. لخوفه من جفاف ساعة الموت فجميع المغريات أمامه ـ الكروم والاقداح والعناقيد وهو على قطرة من الشوق ومع ذلك ينهل نار الحريق ويخاف قوة الغروب اذا غرق فى ضياء الشروق !!!

.. خامسا « المواجهة الذاتية »

موقف المواجهة الذاتية يدل على تنبه الوعى لدى الشاعر بأن له رسالة فى الحياة يؤديها وأن عمله أى نتاجه الشعرى .. جزء فعال فى بنية هذه الحياة وليس مجرد زينة تضاف اليها ..

ومن ثم كانت رحلات الشعراء فى أغوار الذات بغية التعرف عليها .. وكشف طاقاتها الحيوية ..

ولكن هذه الرحلات لم تأخذ لدى الشاعر طابع التوقع بل على العكس . وجدناه يلقى بنفسه فى غمار الوجود مستكشفا له .. وان كانت الحقيقة أنه كان يستكشف ذاته .. من خلال هذا الوجود وكان اصطدام الذات بالوجود كشفا لهذا الوجود .

وكان الاصطدام امتحانا للذات وكشفا عن مدى قدرتها على مواجهة الواقع وتكييفه واتخاذ موقف منه » (١)

ومحمود حسن اسماعيل وقف من ذاته موقف المحاسب الشديد الدقيق العميق .. يتضح ذلك فى ديوانه . قاب قوسين فهو فى رحلته الذاتية لايحابد

---

(١) الشعر العربى المعاصر ص ٤٠٥

ذاته التائهة وانما يوقظها برمح الواقع ·· ويستحثها دائما ·· فهو يخاطبها وهى على مشارف النور

قاب قوسين من النور فسـيرى ... واهتلى كـل لثام فى الضـمير
وانهبى غيب المـدى واحترقى ... فى اللظى الباقى على نار ونـور
مزقى كل قنـاع وانفـذى ... من حواشيه الى الضوء الأسير
ازحفى وانطلقى سـاحتة ... وقفـة الشوك واعياء الصخور
لاتهابى أى ليـل بعـد ما ... شيبت نارك أوهـام العصور
أورق النور وشـبت نـاره ... تضرم التغييرفى أعنى الجذور(١)

وقصيدته ·· « أنا والنفس والطريق (٢) تجربة شعورية كبيرة تحكى لنا كيف يتسامى الانسان فيصر على بلوغ أهدافه العليا البعيدة مجتـازا أشواك الحياة ــ ماضيا الى غايته ·· لا يثنيه عنها شىء من مغريـات أو أوهام أو مشقات ··

والشاعر يعرض التجربة فى صور متتابعة يحسك بعضها ببعض فى بناء متكامل · له أول يفضى الى آخر ·

انه يمضى الى النـور ــ نور الغاية السـديدة ويخشى على نفسه أن تتقاعس أو تنحرف عن الجادة فى التواءات ومتاهات ·

يبدأ قائلا لها ··

اتبعنى فى دروبى واحذرى أى هـروب
فانـا اظمـا وأسـقيك من السـر الرهيب
وأنا اشقى ، واشـجيك بمزمـارى الغريب
وانا أسرى فاهـديك الى الشـط الرحيب

---

(١) قاب قوسين ص ٦
(٢) انظر نص القصيدة بديوان قاب قوسين ص ٩ ــ ١٨

فاذا أنست اليه واطمأنت الى ما يعدها به · جعل يستحثها ويــدني منها شعاع الأمل ··

فانفذي فالسر ان شئت على قيد ذراع
واصرعي الموج ولو أقبلت من غير شراع
واركبي الاعصار والاصرار في وجه القلاع
انما الخائف عند الزحف محتوم الضياع

ويحذرها من النكوص قائلا ··

ان دعاك العطر فامضي — واتركيه لشذاه
كم سكرنا من أماسيه — واشجانا ضياه
وزرعنا فيه أحلاما — طواها من طواه

الى أن يقول ·· عن هذا العطر
وسهرنا مرة في الفجر ·· لم نشرب طلاه
فتوارى عن ليالينا وخانتنا رؤاه

وبعد ذلك يمنيها بعطر آخر ··
فاشربي من عطرنا الآتي ولو طال لياه
واتبعيني ·· وربنا بالطيب لايفنى مداه

والشاعر يحذر نفسه وذاته من الخلود الى الراحة فأحلامها ذليلة كما يحذرها أن تلتفت الى الأمس وما كان فيه من حكايات شقيات وزمان أحدب الخطوة من عض السلاسل فقد ولى الذل والظلم وفك القيد واندحر الفارس « المسجور في البغي حسامه »

فجأ الله خطاه بضحى عات صدامه
وانتهى لا شيء الا ··· ما روى عنه ظلامه

فازحفى دربك حر ٠٠ أذهل الدنيا ابتسامه

● والشاعر عندما يصل الى النور ٠٠ والمكاسب والمغانم ٠٠ وما كان يتمناه يخاطب ذاته ونفسه ٠٠ الحرة الواثية ٠٠

فا نهلى ما شئت وامشى حرة فوق الفضاء

● ولكنه يحذرها وينبهها الى الخطر الداهم ـ فعليها أن تستعد له ٠

فاذا أحسست وهما للدجى دب ورائى

انسخى روحك اعصارا يدوى بالفضاء

وانفذى بالنور فى أخفى سراديب الخفاء

واسحقيه قبل أن يسترق الليل حدائى

فتسير على الدرب ٠٠

٠٠ بلا أى غناء

فاصحبينى أنت سر النور يجرى فى دمائى (١)

انها رحلة ممتعة فى مواجهة الذات وتحذيرها من النكوص وانها لشهاده عظيمة لشاعرية محمود حسن اسماعيل حين يعبر عن أدق المشاعر ويعالج أحدث القضايا فى الشعر المعاصر بقالب تقليدى ٠٠

وهذا يؤكد لنا أن الشكل مشكلة تافهة فى الشعر والمعيار هو المضمون فالشاعر الحقيقى ٠٠ ذو الصوت المتميز لاتقف أمامه قيود التعبير ٠٠٠ ولا عوائق اللغة ٠٠

---

(١) قاب قوسين ص ١٨

سادسا ٠٠ ٠٠

« الغـــربة »

ان الغربة تتعانق مع الثورة فى الشعر المعاصر ٠ فالشاعر غريب لأن اطار الحياة العام ٠٠ فى الوطن العربى مايزال يضم جوانب مختلفة معتمة وهو مضطر لأن يتحرك داخل هذا الاطار ٠ وهو ثائر لأنه يريد أن يعـــم النور الصورة كلها ٠ وأن يتأكد الوجود العربى والاسلامى وتتبلور شخصيته ان شعور بالغربة نابع من ثوريته ٠٠ وثوريته هى وليده شعوره بالغربة ٠

ونلاحظ هذه الظاهرة عند محمود حسن اسماعيل فان عالمه الشـــعرى غريب ٠٠ وهو ثائرا أبدا ظامىء أبدا لايكاد يصل الى نقطة حتى يقفز الى غيرها ٠٠٠

وقصيدته « عرفت السر ٠٠ تذكرنا بأسطورة « سيزيف » ذلك البطل اليونانى الذى حكمت عليه الأقدار بأن يظل يدحرج الصخرة الى أعلى بكل قواه ـ ولكنها لاتبلغ قمة الجبل ابدا بل تنحدر دائما الى السفح ٠٠ ليعاود محاولته العقيمة لقد أحيا المفكر الوجودى ٠٠ « البير كامى » هذه الأسطورة فأصبحت جزءا من التصور الوجودى للحياة الانسانية والمصير الانسانى ٠ وتلتفها شعراؤنا الشبان منذ بضع سنوات فأصبحت معنى متداولا بينهم كالوقوف على الأطلال عند الشعراء القدماء » (١)

وهذه المقطوعة تذكرنا بهذه الأسطورة وهى تمثل احساس الشاعر بالغربة أصدق تمثيل ٠٠

ولما دهـانى السـر دارت ونوحت
سواق على قلبى ينابيعها الغيب
وهـب الضـرير المشـــتكى وتلفتت
له نظرة يكبو الضـــياء ولا تكبو

---

(١) الكاتب يناير ١٩٦٧

ورف جناح « كان فى القيد صارخا

وحلق لاســتر هناك ولا حجب

ونور ليل كان أعمى بــلا عصــا

بهــاوية نهمش الأفاعى لهــا درب

وأو مات حتى كدت أعرف فارتمت

يمينى • واذنبى لاأزال هنا حبو (١)»

والمشهد الثانى من القصيدة الرائعة •• هتك البراقع »
يمثل غربة الشاعر فى مجتمعه الملئ بوجوه التخلف والرجعيه والجحود

وقالت وقـد أبصـرت صـائحا

فصيح اللســان • كسـيح الضمير

وكيف بهــذا تســير الحياة

ويزحف اصــرارها للنشــور

لقد نفخ الصــور فى كـل شئ

فمــا باله فى صــداه يـدور

وما باله واقفــا فى خطــاه
وقوف العصــا فى يمين الضرير

ومــا باله ؟ قلت لا تســألى
فهذا الذى منه مات المسـير (٢)»

---

(١) نهر الحقيقة ص ٤٤
(٢) المرجع السابق

سابعا « الفروســـية »

الفروسية فى جوهرها موقف أخلاقى وليس السلاح الذى تحمله الا وسيلة لتحقيق هذا الموقف الأخلاقى . كان سلاح الفارس القديم دائما فى خدمة عقيدته التى آمن بها ولم تكن عقيدة الفارس عقيدة ثورية يلتزم بهـــا الفارس وحده . بل كانت مجموعة من المبادىء .. التى تشكل .. فى جملتها مفهوم الفروسية فى مجتمع الفروسية فاذا كان سلاح الفارس فى خدمة عقيدته فانه فى الوقت نفسه وبالأصالة ... يخدم مجتمعه .

وهذه الصورة القديمة للفارس والفروسية لاتختلف فى جوهرهـــا عن الصورة الراهنة التى تضم الشاعر والمجتمع والعقيدة .

فالشاعر المعاصر .. يدرك فى وضـــوح أن مجتمعه يحارب معركة مصيرية وانه يملك سلاحا من أخطر أسلحة المعركة .. هو الشعر هـــو الكلمة .. وبالشعر على وجه التحديد . ولم يكن غريبا أن تتآزر الكلمــة الشاعرة والسيف ، وكلاهما يستمد حرارته من موقف الفارس الموحد .. من عقيدته التى آمن بها .. وبكل مبادئها .

● وكما كافح الشاعر المعاصر .. من أجل الحصول على الكلمة فقـد كافح كذلك بالكلمة .. (١) ..

ولا ننسى معركة ١٩٥٦ .. حيث قامت الكلمة فيها بدور حاسم ..

ومحمود حسن اسماعيل كان لنشيده « يد الله » أثر فعال فى اذكاء روح النضال والحماس فى نفوس الشعب .. المناضل

أنا النيل مقبرة للغزاة
أنا الشعب نارى تبيد الطغاة

---

(١) الشعر العربى المعاصر ص ٤٠٩

أنا الموت فى كــل شــير اذا عـدوك يا مصـر لاحت خطاه

يد الله فى يدنا أجمعين

فصبوا الهلاك على المعتدين

وشقوا اليهـم جحيم الفنـــاء أسودا كواسـر تحمى العرين

انا النيل مقبرة للغزاة

انا الشعب نارى تبيد الطغاة

يد الله فى يد مصر القسم

على كل عاد تشب العدم

تـدك الطغاة وتحمى الحيـاة وترفع للشمس نـور العـلم (١)

ويؤكد الشاعر فروسيته ·· فيصدر ديوانا بأكمله ·· بعنوان · لابـد والعنوان · يوحى بالعزيمة والاصرار · رغم أنه يعبر عن الوجدان الجماعى · فان معظم قصائده خلت من النبرة الخطابية · وهذا توفيق نادر ·· فقلما يعرف الشاعر ·· وخاصة شاعر الفصحى · كيف يغنى للجماعة ·· دون أن يستحيل غنــاؤه الى خطابه ·· لكن محمود حسن اسماعيل ·· اسـتطاع أن يحقق ذلك فى قصائده ·· لابد و « البيعة » و « بغداد »

وما أحسب الا أن ذلك ثمرة للصلة الحميمة التى عقدها الشاعر بين نفسه ونفوس الناس · (٢)

يقول فى قصيدته « لابد » مؤكدا ·· عزمه واصراره ··

« لابد أن نسير ! ! »

وان توارت غرسـة عن قطـرة الشـعاع ·

---

(١) نار وأصفاد ص ١٧٧

(٢) الكاتب يناير ١٩٦٧

لص الضـــياء شـــدها فى لحظـــة الرضـــاع
وضـــمها لليـــله المهتـــوك فى الضـــياع
لتشـــرب الذبول والأفـــول والضـــياع
وحسرة الهـــوان فى طـــاغوته المضـــاع
لابد أن نردهـــا تـــورق فى البقـــاع

ونلهب المســير
فى دربنا الكبير
لتشرق الزهور فى مخاضر الحقول
ويلعق الظلام من بيادر الأفول
ويهدى الضياء فى مرافىء الوصول
وتسمع الضفاف ظل كرمها يقول
مد الربيع كأسه لزحفنا الطويل
بالنور والعطور
لابد أن نسير (١)

« ثـــامنا »

« موقف التمرد والرفض »

ان التمرد على الواقع يتضمن أو يفترض رفضه أولا ـ لكن التوقف عند مجرد الرفض . لا يمثل الا الوجه السلبى للتمرد .. والتمرد الحقيقى هو من يعرف بديل ما يرفض . والواقع أن الانسان لايستطيع أن يرفض رفضـــا حقيقيا الا اذا كان يعرف بديلا حقيقيا فالأجير الذى يرفض الاضطهاد انمـــا يطلب من مضطهده فى الوقت نفسه الاعتراف بحقه فى أن يكون محترما ..

---

(١) لابد ص ١٦

والسجين الذى يرفض زنزانته انما يعى أن حقا فى الحرية يطلب من سجانه الاعتراف به ··

● وللرفض والتمرد وجوه مختلفة ·· تتمثل فى

(ا) رفض الظلم واقرار العدالة الاجتماعية ··

(ب) رفض الهزيمة ·

(ج) رفض البالى من القرية واحلال الجديد الناصع محله

● وسأتناول هذه الوجوه الثلاثة بالترضيح فى ظل ما تأملته من نصوص عند الشاعر ·· وما وصلت اليه من استنتاجات ادبيه

(ا) « رفض الظلم واقرار العدالة الاجتماعية »

ديوان الشاعر محمود حسن اسماعيل ·· « صلاة ورفض » يمثل هذه الظاهرة « ظاهرة الرفض » وهـذا الوجه من وجوه رفضه ·· يمثل تطورا جديدا فى حياة الشاعر الفنية حيث يصحو على أجراس الخطر التى تـدق على أبواب المجتمع وتلعن مرارة الهزيمة فلا ينكس رأسه · ولا يستسلم · وانما نراه يرفض الهزيمة ويرفض الاستغلال العالمى « والامبريالية » الطاغية ونراه يؤكد أمله فى الصلاة ببيت المقدس · ونراه يتمثل فى فنية رائعة صوت المعركة وهو يتكلم فى ثلاث مشاهد ·· كل مشهد يؤدى وظيفته فى البنـاء المعمارى للقصيدة ··

والديوان كله ·· قصيدة وطنية رائعة رافضة · يصلى للوطن ويرفض كل سلبية فيه وكل ريح عاتية ·· تهب عليه ·

ورفض الظلم واقرار العدالة الاجتماعية ·· قضية محمود حسن اسماعيل الكبرى التى يناضل من أجلها من أول حياته الفنيه ففى ديوان لابد ــ يرسم صورة رافضة بعقله الواعى وريشته الساحرة ·· صورة العوائق الاجتماعية التى تقف دون الحقوق والمكاسب التى حققها · ويصمم على أن يسحقها · لايرفضها فقط ·· حتى يأخذ الكوخ حقه ·· فهو العائد له من تابوته البعيد

وإن أطلت حية من مزحف ضرير
من كهفها فى ظلمة خانقة الضمير
لابد أن نسمعها فى رهجة المسير
بعاصف مدمدم بالنور والسعير
يردها هشيمة ·· مرجومة الحفير

فى كيدها تمور
بالويل والثبور ·· !
لابد أن نسير
وإن أطلت آهة على الضحى الجديد
لجفن كوخ ناغم بفجره الوليد
وحقه العائد من تابوته البعيد
لابد أن نردها ·· تميمة تعود
لحقله · بالعطر والنماء والحصيد
ونرجع الزهور
لمهدها النضير (١)

والشاعر هنا يستخدم النور والسعير فى المقاومة والنور هنا يرمز الى لكلمة الايجابيه والمقاومة بها لايقل أثرها عن المقاومة بالنار وهو يصور الحق بالآهة التى يذرفها الفلاح لأن صاحبه لايستطيع ·· أخذه ، حرام عنه وحلال لغيره ··

● ويصور انطلاقتنا بالضحى الدجيد · ثم يصور الحق العائد بأنه سيصحب ـ معه العطر والنماء والحصيد · وكلها صور موحية ترفض لفقر ، والظلم ، والاستغلال ·

---

(١) لابد ص ١٤

(ب) « رفض الهزيمة »

ومحمود حسن اسماعيل يرفض الهزيمة بكل اشكالها ٠٠ ليست الهزيمة العسكرية ٠٠ ولكن اى هزيمة ، الهزيمة فى الحياة فهو يرفضها نعش خيال، ويرفض خطو العمر الذى يعرف الهزيمة وترفضها روحه ، وصمته ، وزمنه ، ويرفضها شبحا ٠ ووترا يرفض ٠ عزف لحنها ـ المرير وخلده يرفض معرفتها

وهو يرفض نور الشمس اذا لم يصبح شرارا وقت الحاجة
تحمله أحلامه وتسير فى طريق الحق ٠ وتجرعه غضب العزة وتلقنه
جقد الثار ٠ وتجسده فوق سماها بغتة هول فى اعصار
ارفض أن أتوهم نعش خيال عبرت فيه
أرفض حتى صوت القدر اذا ما انحدرت من أيديه
ارفض خطو العمر ٠٠ اذا لم تصبح عدما لايدريه
ترفض روحى كل رؤاها
يرفض زمنى أن يحياها ٠٠
يرفض صمتى همس صداها
يرفض غضب الناى سراها
يرفض وهمى أن يتخيل طيف أسى منها يخزيه
يرفض أن يلقاها شبحا ٠٠ ريح اللعنة لاتطويه
يرفض وترى أن يعزفها
يرفض خلدى أن يعرفها
واءذا قدر دامى الاخطوة ٠٠
قر على ٠٠ ودس أساه
وغفا قدر كان مصيرى
سد زوال لولا قاه
ودنت منى أفعى التيه
هتفت وأمسى لا أحكيه (١)

صلاة ورفض ص ٧٢

(ج) رفض البالى من القديم واحلال الجديد الناصع محله

... وهو دائما جديد ثائر على القديم .. يغير ملابسه ويغير سرجه وجلده .. حتى يفوز بالسباق . ويواكب تطور الحياة ..

انه يدعو الى التغيير ويخاطب روحه أن تغيره ليبصر شيئا غير نفسه

ويصبح يومه غير أمسه وتتغير كأسه

غيرينى ...

فأنا أشتاق أن أبصر شيئا غير نفسى

غير أن يصبح يومى فى دجاه ..

... فى ضحاه مثــل امسى

غير أن أبصر كأس فى سراها .

.. كل يوم هى كأس

غيرينى . واسمعى فى صدى التغير .

من همس لهمس

خافت الضجة لم أسمعه من قبل .

. على أعماق حسى (١)

.. وهو فى قصيدته « سفنى أقلعت » ينفض عن نفسه أغلال أمسه الذاهب ويحمل رحلة الأيام . فى وجدانه وينشر شراعه العميق ـ الروحى ليسير فى طريق الحياة الجديد ..

سفنى أقلعت . وما كنت فيهـــــا

انما كـان ســــبحها فى عــروقى

---

(١) نهر الحقيقة ص ٨٥

(٢) صلاة ورفض ص ١٦٢

تمخـــر المــوج وهو قلبى وتجتا ٠

ح زئيــر الريــاح وهــو طريقى

وتشق العباب ٠ هاتكة الحجب ٠٠

٠٠ لرعدى ٠ وعصفتى ٠ وبروقى

سئمت من وقوفها فى الكرى الدا ٠

جى فخاضت بالروح غيب الشروق

تنفض الأمس من شراع عليهــا مل تهويمة الضياء العتيــــق

وتنــادى الغــد البعيد ولو كــان بآزالــه ذبيـــح السـموق

وقصيدته « من التابوت تبرز فيها نزعة الشاعر التى تدعو الى التحرر من القيود والأغلال البالية ٠٠ أغلال الحزن والجراح ٠٠

من الجرح الذى مازال نهش يديه

اعصار يبعثرنى ٠٠ ويجمعنى

وينسخنى بذاتى طيف ذات منه ٠٠

يخرسنى ٠٠ ويسمعنى ٠٠ !

ويجعلنى ٠٠ كمعصية ٠٠ مغلفة بعفو الله

٠٠ يشفع لى ٠٠ ويردعنى ٠٠ !

ويحملنى كتابوت ٠٠ عتى الرفض

يقبرنى ٠٠ ونحو ضحاه ٠٠ يدفعنى

أقول ٠٠ انا ٠٠ ! فيرفضنى ٠٠٠

وحين يطل وجه الأمس فى ٠٠

٠٠ رؤاه تفزعنى ٠٠ !!

٠٠ زئير الأمس فى خلدى ٠٠

يعاتبنى ٠٠ ويفزعنى

وجرح اليوم فى كبدى ٠٠ صداه المر يلسعنى ٠٠ !

فهات الناى مخمورا

بصوت الرفض والاصرار واللهب

لعل نسيجه العاتى ٠٠ من التابوت ٠٠ ينزعنى (١)

انه خروج من التابوت الجليدى ٠٠ وثورة نارية على جبال الثلج ورفض قاطع لكل ثابت يعلنه وجدان الشاعر المتحرك ٠٠

« موقف الصوفيه الملتزمه »

هذا الموقف الذى تعبر عنه بعض الأعمال الشعرية المعاصرة هو فى حقيقته تعبير عن الوجه الجمالى ٠ لموقف التمرد الثورى وتأكيد لدور الشعر والفن بعامة فى التغيير الثورى القائم ، وفى فعل التمرد الخلاق انه الموقف الذى يتراوح فيه الشاعر بين الفن والالتزام ٠ فالفن بطبيعته يرفض الواقع بمقدار ما ينغمس فيه ٠ وحين تتخلى الصوفية عن وجهها السلبى ٠ لكى تنغمس فى الواقع الذى ترفضه وتبتعد عنه ٠ فانها تصبح بذلك فنا ٠ تصبح شعرا انها تجعل من نشوتها وسيلة لتغيير الواقع ٠٠ بالكلمة الشاعره ٠

٠٠ فموقف الصوفية ٠٠ اذن محاولة لوضع الشعر فى موضعه الحقيقى بالنسبة لقضايا المجتمع ٠ حيث يتعانق الفن والعقيدة ٠ ويلتحمان فى بنية موحده وصوفى عصرنا لذلك ينزل السوق ٠ الى الناس يتجول معهم ويتحدث اليهم ويبحث فيهم عن الانسان ٠ انه يريد ان يحمى الجوهر الانسانى فى الانسان ٠ فيرفع المضطهد من وهدته ٠ ويحرر العبد من عبوديته وهو يساهم فى صنع لبنات للمجتمع السليم حيث الكرامة مكفولة للانسان الفرد بقدر ماهى مكفولة للجماعة ٠٠

---

(١) صلاة ورفض ص ٥٥

ومن خلال الرؤية الشعرية ـ والحلم الواعى يدى متصوف عصرنا الواقع الكائن والواقع الممكن ٠٠ وهو بذلك يخترق حجاب الزمن الآتى الى الزمن المستقبل ٠ فيؤدى بالنسبة لعصره دوره القديم ٠ دور النبوءة (١) ٠

وفى ديوان « قاب قوسين » نلمح بداية هذا التحول الايجابى بما يحمل من قصائد نفسية ميتافيزيقية ٠٠٠ ففى هذه القصائد النفسية الميتافيزيقية نرى الشاعر قد تجاوز مرحلة الغنائية الرومانسية واستشرف مرحلة جديدة يمكن أن تسمى ـ الميتافيزيقية الايجابية وذلك أن الشاعر عالج فى هـــذه القصائد قضايا النفس الانسانية ٠٠ صراعها بين الأرض والسماء ٠٠٠ وترددها بين الطين والنور ٠ وتطلعها الى الحق ٠

والتصاقها بالاثم ٠٠ واعتزازها بالحرية والاختيار وتعللها بالقيود والجبر

والشاعر فى ذلك كله ٠٠ لا يلجأ الى الميتافيزيقا ليلقى أعباء ويطوح مسئولياته ـ أو ليريح نفسه ٠٠ ويلوذ بالسلبية ٠٠ وانما هـــو متخذ من التجارب الميتافيزيقية ٠٠ مجالا لابراز صراع يعمق الاحساس ـ بقضايا الانسان ويسلم آخر الأمر الى غاية ايجابية رائعة ٠٠ هى وجوب العمل من أجل خير الانسان ٠ وحريته ومن أجل تشييد عالمه الأفضل وقـــد أعلن الشاعر هذا التحول ٠ الى تلك المرحلة الايجابية التى تتخذ الصراع النفسى مجـــالا لتعميق الاحساس وتحقيق المضـــمون التفائل فقال يخاطب نفسه ٠

لست نفسى غائظ لحن على كل ربابه

كالفجر الأقدس تنقى الكون مقطوع الاثاب

فجرته رائحة تمتد من أفق جديد

وسقته خمرة النسيان للماضى البعيد (٢)

---

(١) الشعر العربى المعاصر د ٠ عز الدين اسماعيل

(٢) قاب قوسين ص ٢١

وقال لنفسه فى موطن آخر .. وجعل هذا القول .. تصديرا للديـــوان ليحمل أول صفحاته شعار هذا التحول . الكبير .

زادك النور وفى دربك ينبوع الشعاع
فانفذى فالسر ان شئت على قيد ذراع
واصرعى اللج ولو أقبلت من غير شراع
واركبى الاعصار والاصرار فى وجه القلاع
انما الخائف عند الزحف محتوم الضياع ...

وحين يحس الشاعر أن نفســـه تريد فى بعض نزواتها أن تلتصــق بذكريات . الماضى الذليل يتبرأ منها .. بل ينفصل عنها ويقول ..

عانقى الماضى .. كما شئت وذوبى فى يديه
واجرعى الظلمة من كفيه وانسابى اليه ..
ارجعى أنت فانى للسفوح الخضر سائر
لصباح ليس فيه نظرة من جفن صاغر (١)

ثم يرسم هذا العالم الفاضل الذى يسعى اليه . مع أمتنا الثائرة المتجددة فيقول .. عن السفوح الخضر .. عن الصباح الجديد

وما الصباح الا عالمنا . الجديد ـ مجتمعنا الحديث . عالم الحرية وقيم المجتمع الجديد ... ويضع معالما كثيرة على طريق هذا المجتمع ـ يوضحها فى أكثر من خمسين بيتا .. فهذا المجتمع ..

* ليس فيه أكل من لقمة بنت سفاح
ولدت مرجومة الأنساب من غير كفاح . .
* ليس فيه جائر يمتص أيام الضعيف
رشفة راقهية الجور على نعش الرغيف
* ليس فيه قابع فى ذاته يعبد ذاته

---

(١) قاب قوسين ص ٢٤

لا يحب النور الا ان سقى النور حياته

* ليس فيه من ضباب الكره والأحقاد ذره

كل مافيه صبابات وحب ومسره

كل مافيه ـ أنا ـ أنت ٠٠ لكل الناس نمضى

قبسا من بعضه النور الى راحات بعض (١)

وهكذا نرى الشاعر يعبر من خلال صراعه مع نفسه فى جو يأخذ شكلا ميتافيزيقيا صوفيا ـ من شأنه أن يكون سلبيا ٠ غيبيا نراه يعبر من خلال ذلك عن مضمونات اجتماعية ٠ جديدة ويقدمها فى صور شعرية رائعة تعمق الاحساس بها وتحيلها من مجرد قيم تجريدية عقلية ٠٠ الى طاقات شعورية تملأ القلب وتحرك الساعد (٢) ٠

وذلك ما يسمى فى الشعر المعاصر ـ بالصوفية الايجابية أو الصوفيه الملتزمة ٠ فقد عالج الشاعر فكرة العمل وعده طريق اللقمة الشريفة فجعل اللقمة من غير العمل ـ « بنت سفاح » كما جعلها مرجومة الاباء ٠

كذلك عالج ظاهرة الاستغلال ـ فصور عمل المستغلين ابشع تصوير وذلك حيث جعل المستغل « يمتص ايام الضعيف » بل جعله يتجرعها ٠٠رشفة راقصة الجور ٠٠ على نعش الرغيف ٠

وهكذا مضى مع قيم المجتمع الاشتراكى يعمق الاحساس بها وينفرد من القيم المتعفنة فى مجتمع الاستغلال والظلم الى أن وصل الى ذروة مايكون عليه الاحساس الانسانى ٠٠ فى المجتمع القائم على التضامن والمحبة ٠ والايثار فقال :

قبـــل أن أشـرب أســـقى   كـــــــل ظمـــــآن أرام

---

(١) قاب قوسين ص ٣٢

(٢) مجلة الشعر عدد يونيو ١٩٦٥

وعلى جنبى ألقى ٠٠ كل مايطوى أساه

وفى ديوان « نهر الحقيقة » تتضح هذه الايجابية وضوحا ناصعا حيث نجد الشاعر يكاد أن ينسى الضبابية والكثافة ـ والرمزية ـ المغرقة فى الغموض ٠

ويلجأ الى ـ البساطة فى التعبير ٠٠ فنراه عاشقا سابحا فى نهر الحقيقة يغنى للموج ٠٠ لأنه رأى المرفأ ٠ وهو مبهور من الأمواج الساحرة ـ وغارق فى الضياء المقدس ٠٠ ونلمح هذه البهجة فى قصائد « نهر الحقيقة » ٠ وتغيير الله ، الحب ، الحياة ، الأرض ، النهر ، المطريق ، الشمس ، الأمل ، النفس الابتسام ، البقاء ، الصلاة ، مع النور الأعظم ٠

والديوان يصدره الشاعر بأبيات تكشف عن روح الفنان المتطوره ، الروح العربية الثورية الايجابية ٠٠

وجودى حقيقه
وشدوى حقيقه
وما اشتقت دربا على ساعديه تموت الحقيقة ٠٠
أغنى السراب لتنشق منه
ضفاف من النور تجلى طريقه
واسرج للوهم خيلا من الروح تخطف من راحتيه بوقه
وتفتى شقوقه
وتأتى به راكعا ٠ للحقيقه ٠ (١)

* وديوان : موسيقى من السر ٠ ، وصوت من الله ٠

يمثلان هذه النزعة الصوفية الايجابية « ومن يدرس الشعر الحديث

---

(١) نهر الحقيقة ص ٩

لاتحظىء عيناه فيه اتجاهه الى التصوف ، بقوة ، حتى ليغدو الاتجـــاه الصوفى أبرز من سائر الاتجاهات فى هذا الشعر ، ولعل ذلك راجع الى طول عملية التقدم والتراجع فى الحياة السياسية ، واليأس الغالب والسأم من متابعة الكفاح ، كما أن هناك قسطا من التصوف يربط بين الاتجـــاهات الثورية المتقدمة ، ثم ان هذا الميدان خير ميدان تتفتح فيه ذاتية الشاعر وفرديته · فهو ينفصل عن المجتمع ظاهريا ليعيش آلامه ـ التى هى نفســها آلام المجتمع ـ بوجد مأساوى ، ثم ان فى هذا اللون من التصوف محـــاولة للتعويض عن العلاقات الروحية والصلات الحميمة التى فقدها الشاعر ، وتلطيفا من حد المادية الصلب الخشن » (١)

(١) اتجاهات الشعر المعاصر ص ٢٠٨ د · احسان عباس

الفصل الثالث

« الصــورة الشــعرية »

● لعل من أهم خصائص محمود حسن اسماعيل الفنية ٠٠ صورته الشعريه التى انفرد بغرابتها وابتكارها ٠٠ والتحليق بها فى آفاق بعيــــدة وعوالم أبعد حتى ليشرد الذهن أحيانا ويغيب مع الشاعر عن وعيه ٠ ويضطر لعملية الاستنباط الذاتى حتى يستطيع أن يتابع الشاعر ويحلل صوره ٠

٠٠ وقد عالجت فى هذا الباب أولا ٠٠ فن الشاعر فى ظلال مدرسة أبولو باعتباره زهرة من زهراتها ٠٠ ولكنها زهرة متمردة فى كثير من الأحيــــان واستطاع محمود حسن اسماعيل أن يثبت فنه ويؤكد شخصيته وأصالته برغم أنه كان فى بداية حياته الفنية ٠ بما ألقى على الكلمات من روحه الجديدة الثائرة الطامحة ٠٠

٠٠ ثم عالجته فن الشاعر فى ظلال التيار الجديد ٠٠ واثبت محمود حسن اسماعيل انه يتطور مع الحياة ٠٠ ويسير مـــع طبيعتها ٠٠ ولكنه يتمسك بأصالته ٠٠ وتحليقه المتعب الغريب فى آفاق الحقائق والأسرار ٠٠٠

٠٠ وفى علاجى للصورة الشعرية لا أستطيع أن أعالجها منفصلة عن اتجاهه ومضامينه ٠٠

فالصورة هى الغلاف الذى يحمى المضامين ـ ويطرز الأشكال بأروع الجواهر النفسيه والشعورية ٠٠٠ والانفعالية والتعبيرية ٠٠٠

•• ويهمنى أن أوضح أولا •• مدلول الصورة الشعرية ثم عناصرها وما الذى يجب أن تكون عليه الصورة •• ثم مميزات الصورة عند الشاعر ولا أقصد ايجابيات الصوره بل ايجابيات وسلبيات الصورة ثم تطور التشكيل الاجمالى للصورة وهل يخدم هذا التشكيل الجمالى للصـورة بناء القصيدة أم يقف عقبة فى وجه القارىء ؟

اولا ـ « مدلول الصورة »

الصورة ركن كبير وعنصر جليل من عناصر الأدب الذى هـو التعبير بأسلوب جميل عن عاطفة الأديب سواء كان عنصر الفكر هو العنصر البارز أو عنصر العاطفة •• هو الأوضح ••

والصورة •• شاملة للعبارة أى للأسـلوب والخيال •• الذى يلون العاطفة ويصورها ••• (١) والأدب بعامة والشعر بخاصة لايلائمه الا التصوير البيانى •• أى التعبير عن طريق الصورة •• فبدلا من أن يقول النـاثر مثلا لقد أنهك العرب الفرس • يقول الأعشى ان العرب قد تركوا الفرس « وقد حسوا من أنفاسهم جرعا » •

ولقد يقول ناثر مثلا • انه قد عاش حياة مملة • بينما يقول الكـاتب الفرنسى الشاعر الروحى شاتوبريان •• « لقد تثاءبت الحياة فلنذهب الى حيث تريد » (٢) ودراسة الأساليب البيانيه قد وفاها العلماء العرب حقها •

فألفوا فى علوم البلاغة الكتب الكثيرة •• واخترعوا علم البيان والمعانى والبديع •• وافاضوا فى دراسة التشبيه والاستعارة والكناية والايجـاز والاطناب والبديع •• وكيف تخدم هذه الظواهر البلاغية الفن والأدب ••

والرائد فى هذه الفنون عبد القاهر الجرجانى وكذلك أبو هلال ولكن الشىء

---

(١) الأدب العربى الجديد ومدارسه ص ٤٦
(٢) الأدب وفنونه د • محمد مندور ص ٤٠

الذى جد على أسلوب الشعر البيانى فى عصرنا الحاضر أخذا عن الغرب ·· من ناحية الأساس النظرى والتحليل التطبيقى هو الرمز « كوسيلة للتعبير الشعرى ··

وباستطاعتنا أن نرجع الرمز فى التعبير الشعرى ·· الى الأصل العام لنظرية المجاز اللغوى ·· كما عرفها اسلافنا ·· أخذا عن تحليلات أرسطوا فى الفصل الثالث من كتابه « الخطابة » (١)

ثانيا « عناصر الصورة »

تتكون عناصر الصورة من الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات ويضاف الى ذلك ·· مؤثرات أخرى ·· يكمل بها الأداء الفنى وهذه المؤثرات هى ·· الايقاع الموسيقى للكلمات والعبارات والصور والظلال التى يشعها التعبير ·· ثم طريقة تناول الموضوع أى الأسلوب الذى تعرض به التجربة الأدبية ·

والصورة المثيرة للالتفات هى القادرة قدرة كاملة على التعبير عن تجارب الأديب ومشاعره والتى تتجمع فيها روعة الخيال والموسيقى ووحدة العمل الأدبى ·· وشخصية الأديب وتخيره للألفاظ تخيـــرا فنيـــا دقيقا » (٢) والألفاظ وهى من عناصر الصورة يقف الأديب أمامها طويلا يؤثر لفظة على أخرى · ويفضل كلمة على كلمة · وكثير من النقاد يقولون · اننا نفكر بالألفاظ أى ان الألفــاظ هى مظهــر ادراكنا الفكرى وعمل الأديب تهيئة الجــو الفنى للألفـاظ لتشع على قارئها وسامعها الصور والظلال ·· والايقاع ··

● وأعم عنصر من عناصر الصورة الشعرية ·· مواءمة الصيـــاغة لموضوع القصيدة ·· ، ·· وهناك عناصر أخرى للصياغة هى · الخيال · والموسيقى ·· والوحدة والتوازن · والتناسب وشخصية الشاعر عبـــر المرئية المتسابة ·· بين بعض هذه العناصر ··

---

(١) الأدب وفنونه د · محمد مندور ص ٤٧

(٢) النقد الحديث ومدارسه ص ٤٧ د · خفاجى

● فأما الخيال ٠٠ فتبدو صوره فى التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وما اليها ٠٠ وهذه الصور الخيالية تخلق الاتزان اللطيف فى تنايا العمل الشعرى ٠٠ وتضفى عليه وشاحا من الجمال والرونق اذا استخدمت استخداما طبيعيا ٠٠ لا أثر للتكلف فيه ٠ واذا ابتعدت عن الاغراق فى التخيل ٠٠٠٠ والتيه فيما وراء الطبيعة ٠

● والعنصر الثانى ٠٠ هو الموسيقى ٠٠ وهى لاتقل أهمية عن الخيال ان لم تبزه بزا ٠٠ ولا قيامة لعمل شعرى بدونها وقد يقوم العمل الشعرى عليها وحدها (١) ٠٠ وذلك مثل قصيدة رياض المعلوف فى ديوانه خيالات ٠ وهى مقطوعة جديرة بالغناء ٠ وليس بها صور خيالية وعنوانها ٠ الدنيا لنا وفيها يقول ٠٠

هـــذه الدنيــــا لنـــا	لحبيبى لــــى أنـــا
فتمتـــــع يـــاحبيبى	فـــالمنى تـــلو المنى
أى شىء نبتغيـــــــه	لـــم تنــله يدنــا
طـــالما أنت بقهــــربى	كـــل شــىء هــا هنــا
نقســـم القبـــلات هـدى	قســـمة مـــا بيننـــا
واصـــلين الثــغر بالثغـ	ـــر الى يـــوم الفنـــا
هكـــذا نحن ســـنمضى	وســـيبقى ذكرنـــا

● **والعنصر الثالث** ٠٠ الألفاظ ٠٠

وهو عنصر على جانب كبير من الأهمية ٠ وقد تقوم به القصيدة دون حاجة الى صور خيالية ٠ أو موسيقى جياشة ٠٠ فان الألفاظ وصوتها ودلالتها ٠٠ وجوها وتآلفها ٠٠ كافية لابداع القصيد البديع ، والألفاظ

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ٠٠ ص ٥٠
مصطفى عبد اللطيف السحرتى

الوحية لها أثرها فى القلب أو الذهن وقد عدها الناقد هو لنجورث أبلغ تأثيراً من الكلمات الواصفة ولها رجع بعيد . (١)

● والعنصر الرابع : شخصية الشاعر ..

وهو عنصر وإنَ خفياً فهو بالغ الأهمية . هـو بمثابة الروح الخفى فى الكائن الحى . وهذا العنصر الروحى لو صحت التسمية يطبع الأسلوب بطابعه ويكشف عن صورة صاحبه .

فالشخصية تخلع بعض سماتها القلبية أو العقلية أو الخلقية على الأسلوب .. ليس فيها فحسب بل ان نوازع النفس وغرائزها وانفعالاتها تندمج فى مادة الشعر ..

فالشاعر الشهوى يضرب دائما على أوتار الحب والعاطفة والوجـدان ويبتغى لشعره أجمل الألحان .. كما نجد ذلك فى شعر نزار قبانى وصالح جودت وفؤاد سليمان وابراهيم العريض .

● والشاعر الانفعالى .. يبتغى لشعره أسلوبا عصبيا قلقا زائـد الحساسية .. كما نجد ذلك فى شعر ناجى والياس خليل ومحمود حسن اسماعيل

● والشاعر ذو النزعة الانطوائية يختار أسلوبا هادئا خافت النغم فى كثير من الأحيان ويتخذ موضوعات شعره من نفسه او من الطبيعة كما نجد ذلك مثلا فى شعر الصيرفى أو صلاح لبكى

● والشاعر ذو النزعة المنبسطة . يختار أسلوبا عالى النغم قـوى الألفاظ ويتجه الى الموضوعات الخارجية . كما نجد ذلك واضحا فى شـعر حافظ ابراهيم .. وبدوى الجبل . والياس قنصـل (٢) . وعزيز أباظـه ومحمد التهامى . وغيرهم .

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث .. ص ٥٩
(٢) المصدر السابق ص ٦٩

● وبعد أن تعرفنا على عناصر الصورة الشعرية • وهى الألفاظ والخيال والموسيقى وشخصية الشاعر •• لابد أن ننوه بحقيقة هامة وهى أن الصورة الشعرية لاينفرد بها واحد من العناصر دون الآخر انفرادا تاما وانما هذه العناصر تقوم بوظيفتها فى البناء الشكلى للقصيدة مثل الكائن الحى •• كل عضو له وظيفته ـ ولكن ليس بمعزل عن الوظيفة للجسم وهى الحياة •

● والصورة فى القصيدة الحديثة والنقد الحديث تختلف عن الصورة الجزئية فى الشعر القديم ومعايير النقد القديم ، « فلم تعد المشابهة بين أطراف الصورة وعناصرها ـ وبخاصة المشابهة الحسية ـ هى العلاقة الأساسية بين هذه الأطراف والعناصر فى القصيدة العربية الحديثة • وفى الشعر الحديث بوجه عام ، فالصورة فى هذا الشعر » ابداع خاص للروح ، وهى لايمكن أن تتولد من التشابه ، وانما من التقريب بين حقيقتين متباعدتين كثيرا ، أو قليلا • وكلما كانت الصلات بين الحقيقتين اللتين يقرب بينهما الشاعر بعيدة ودقيقة كانت الصورة أقوى ، وأقدر على التأثير ، واغنى بالحقيقة الشعرية ، ومن ثم فاننا نجد أطراف الصورة فى القصيدة ، الحديثة على قدر واضح من التباعد ، والشاعر هو الذى يقارب بينها ، لأنه يكتشف العلاقات بينها بروحه وخياله وليس بحواسه ، ومن ثم فانه يهتدى بوحى من الروح والخيال ـ الى هذه العلاقات والأكثر خفاء وعمقا ، »

● ولنتساءل •• ماموقف شاعرنا من هذه المعالم العامة للصورة الشعرية • هل سار معها •• أم تميز بصورة منفردة ؟

ذلك ما يجب أن نوضحه •• ونركز عليه •

•• من تتبع أشعار محمود حسن اسماعيل فى دواوينه نرى أنه يعتمد فى التعبير الى حد كبير ـ على الصورة المركبة ـ التى تستطرد فى بعض الأحيان •• ويغلفها التهويم ••

وبرغم أن التركيب والاستطراد والتهويم يسبب غموض الصور فى بعض شعر محمود حسن اسماعيل • فمن الحق أن يقال ••

ان هذه الخصائص كثيرا ما تمنح الصورة فى شعره حيويه وحركة ••
ثم يمدها بفطرية ـ كفطرية الغابه المهيبة أو غزارة كغزارة النبع الجياش •
أو غموضا لذيذا كغموض المعبد •

ومن الحق أيضا أن يقال •• ان كثيرا من الصور فى شعر محمود حسن اسماعيل تأتى متآزره محققة وظيفتها • فى البناء الشعرى (١)

ومن تلك الصور فى ديوان « قاب قوسين » ما عبر به الشاعر عن فلسطين حين قال عن مآذنها ••

ولاحت مآذنها فى الظلام — وقد أذهلتها عوادى الغير
سواعد مشلولة فى الفضاء — تجمد فيها دعاء البشر
تمد الى الله راحاتها — وتزأر فى صمتها المستمر (٢)

فى هذه الصور المتتابعة النامية التى رسمها الشاعر لمآذن فلسطين نلمح أهم خصائص الصورة عند الشاعر •• ظهور شخصيته المنفعله الثائرة كذلك نلمح خصائص أسلوبه • الضياء • الدعاء • الله • زئير الصمت ونلمح خيالة الخصب الذى تميز به •• والذى يقول عنه مصطفى السحرتى فى كتابه الشعر المعاصر •• على ضوء النقد الحديث « وقد حذا بعض شعراء الشباب حذو مطران ـ فرأينا محمود حسن اسماعيل يغالى فى خلع السمات البشرية •• على الجماد والنبات (٣) ••

ومهما غالى الشاعر فأنا لا أتهمه بالمغالاة ـ لأنه يعرف متى يغالى ـ وطاقته الجبارة هى التى تدفعه الى ذلك ـ ولا توجد عند غيره وفى هذه المقطوعة نلحظ الجو الذى رسمه ـ حيث الظلام والمآذن كأنها الفجر •• فهى تلوح بالبريق •• مذهوله من عوادى الغير •• وهى سواعد مشلولة فى

---

(١) مجلة الشعر يونيو ١٩٦٥ •
(٢) قاب قوسين ص ٧٢
(٣) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٤٧

الفضاء وملآى بدعاء الألوف من اللاجئين والمضطهدين ولكن هذا الدعـــاء متجمد ‥ وفى لفظ « تجمد » ايحاء مشع ‥ بما يحمل من معان كثيرة حيث الجمود ‥ والجليد ‥ وتوقف القضيه وتوهانها فى ردهات الساحــات السياسية ‥

وهـذه المآذن يصـــورها الشــاعر بأنها تمــد الى الله راحاتها صامتة ‥ ولكن صــــمتها نــار تحت الرماد يلتهب ‥ فهى مخنوقة ولكن أعمــاقها تزأر . وقد يبدو الزئير والصمت متنافرين ‥ ولكن بالتأمل نلمح أن الصمت هنا ‥ سكون قبل العاصفة ‥ ولا تعجبنى ‥ كلمة المستمر التى وصـف بها الصمت ‥ لأن الصمت الى حين فقط وليس للأبد وقد لاحظت فى تصوير الشاعر موسيقى تناسب الموقف ‥ فالأبيات من بحر المتقارب ‥ فعولن . وهذا الوزن غالبا ما يأتى فى الانفعالات الشديدة ‥ والمشاعر الحزينة الملتهبة

● ومن صور محمود حسن اسماعيل الشعرية التى يظهر فيها استطراده المغلف بالتهويم الذى يسبب الغموض . قصيدته « نهر النسيان » حيث يطلب الشاعر فى بداية القصيدة أن تسقى من خمرة النسيان وأن ينســاه الساقيان لأنه نسى الشباب والسحر والاحلام والفن والرؤى والاغانى ‥ ويستطرد الشاعر فى مشاعره وصوره المركبة وتداعى الحواس . وتنقلنا بينها مما يرهقنا فى كثير من الأحيان فنراه بنسى الشباب ، والمنى ، والأسى والأيام ، والأنغام ، والدموع ، والجمال والعبير ، والنــدى والانســام ،ــ والنجوم والربيع والخريف ، الظلام ، والأكــواخ ، والقصور ، والنعيم ، والسلام والحرب ، والهدوء ، والكلام والسكون ، والحياة والفناء ، والنسيان والذكر وفى النهاية يصير الشاعر وهما فى خاطر النسيان ‥

ولم يتركنا الشاعر نهيم معه فى هذا الاستطراد وتنسى كل شىء ولكن رسم لكل شىء نسيه . صورة من الماضى استمدها من عقله الباطن بحيث نحتاج فى كل بيت . أن نمسك بملتقط الشعور ونلتقط الصور صورة صورة . وهى مكثفة ومركبة علي بعضها حتى ان بعض النقاد « مصطفى السحرتى »

بقول ·· وهو يعبر عن معاناه الشاعر فى الوصول الى أعماق الشاعر الذى يستطرد ويهوم ويغلف مشاعره ·· « وقد يحتاج لناقد فى بعض الأحيـــان للوصول الى بواطن الأعمال · الأدبية الرمزية وغيرها الى أن يعيش فى غفوة ويسبح فى ثبجها فى عفوية · معطلا عقله الواعى لائذا بالحدس طافيا مع العقل الباطن · ليلقط ما يكمن فيها من درر وليتعرف معانى الكاتب أو الشـاعر الملغز ·· وما أشبهه عندى بالباحث عن النور فى ظلام الليل وفى الظـــلام نور كما ثبت ذلك علميا ··

وقد اتبعنا طريقة تنويم العقل الواعى · فى سبيل تعرف طائفة من أعمال بعض كتابنا وشعرائنا ·· وفى بعض قصائد · الشاعر الرائد محمود حسن اسماعيل · بديوانه أين المفر · فى مثل قصيدته ·· نهر النسيان · (١) التى يقول فيها ··

اسقيانى من خمـــرة النسيان	وانسيانى فقـد نسيت زمـــانى
ونسيت الزمـان والسـحر والأ	لام والفن والروءى والأغـــانى
ونسيت المنى وكـانت شعاعا	باهت الظـل حائرا فى جنـانى
ونسـيت الأيـام حتى تلاشـت	كهشـيم على تـراب الزمـــان

الى أن يقول :

واذا بى فى قفـــرة ألقت الصم	ـت عليهـا صـوامع الرهبـان
خاصم الدهر ليلها فهى دهـــر	ما رأتـه سـريرة الأكـــوان
ولوى الجن خطـوه عن ثراهـا	فهى حتف لكـل انس وجـــان
لاظـــلام ولاضـــياء ولكن	غيهب حـــائر على الكثبان
لاســـكون ولاضـجيج ولكن	همهمـــات يلغطن فى وجـدانى
جبت فيها حيران أقترف نفسى	فى خضم مغيب الشـــــطان

---

(١) النقد الأدبى من خلال تجاربى ص ٣٩ مصطفى السحرتى

واذا اشــــيب يغمغـم كالمجــ	ــنون بين الســهول والقيعــان
شعوذته الســماء فهـــو خيــال	يتزيـــا بصـــورة الانســان
آدمى الرواء أذهـــلة الوهـــ	ــم وغشـــته هبلة الحيوان (١)

والأشيب المجنون هنا كما قال الشاعر بعد وصف رائع له هو النسيان ويلاحظ فى هذه القصيدة تهويم الشاعر وكثافة صوره وان كانت الكثافه هنا ساعدت على بناء الصـورة بناء حيا ناميـا فالذى حير الشاعر ذلك الأشيب المجنون الذى له هبلة الحيوان يقول عن نفسه ٠٠

انا بحر الهدوء من مل دنياه رمى عبئها على شطآنى

منذ مادت كـل الخلائق حولى	لفبتنى الســـماء بالنســيان

ـ ٢ ـ

● ويملك محمود حسن اسماعيل قدرة غريبة نادرة على التصـوير وتساعده طـاقة جبارة الى حد التوحش ٠ عميقه الى مالاقرار وضـــــاربه فى ادغال النفس البشرية بصفه عامة ولذا تراه يفجر الكلمه العربيه ويسلط عليها شعاعا محموما وطاقة فوق ما كانت تحتملة من طاقات ولعل هـــذا وراء عملية التكثيف فى تجربته الشعريه ٠٠

ووراء الايقاع المتجاوب على دفق الشحنه النفسيه المزلزله ووراءها هذه المبالغة فى الصور التى تجعلها دائما على ما كان ينبغى لها أن تتحمل ذلك لان وراءها الطاقه التى لايتحملها اللفظ ومن هنا تهوم وتشعشع وتحـــدث حولها مجالا كهربيا يصعق القارئ الهزيل فى بعض الأحيان ووراءها كذلك الاحساس الحاد بمشكلات العصر وحين تجتمع هذه العناصر فى الشعر فان الشاعر يمتلك ما يسمى بلحظة المفاجأة القريبة من الهام النبوة بـــل ومن الجنـــون ٠

وفى ضوء هذا يقدم الشاعر دائما ما يبهر وما يدهش ويزلزل العـالم

---

(١) أين المفر ص ١٦٥

فى ذهن المتلقى مما يضطره الى ان يحاول امساك شىء ليتأكد من أن العالم لم يضع من حوله ولكن الشاعر يتركه وانما يتعقبة بعالمة الخاص وبطريقة ترتيبه الجديد للأشياء وباحداث نوع من العلاقات والايقاعات التى لم تظهر من قبل (١) .

● ونجد هذه الظاهرة الفريده فى تركيب الصور بما تحمل من علاقات وايقاعات لم تظهر من قبل فى الشعر العربى فى أغلب نتاج الشاعر من أول ديوان أغانى الكوخ الى نهر الحقيقة ..

فهذه الصورة التى يرسمها الشاعر للفستان الأحمر

صورة فريدة حيث يزيب نفسه فيه سواء كان نارا أو وردا ويصف الخلد بأنه شهى رغم أنه خلـود فى النـار ويذكر لهفة الروح لعبيره ان كان وردا وبحث الشاعر ما وراء هفهفة طرف الفستان حيث اللوعة الكامنة التى ولهت روح الشاعر فاذا بها تطير ظمآى لترتوى من فيض نوره وهى تطوق بأعماقها أسراب الأمانى وتود أن تتهادى موجه فوق غدير المحبوبه أو خيالا سابحـا فى ضميرها وفى بحيرة فستانها ويصور وجـده حينما يتمنى أن يكـون ذرة نابضة بالاحساس يلثم الحسن ويهوى مؤثرا الموت والفناء فى غابات العطور على الحياة فى صحراء الأشواق

انها لوحة شعورية غارقة فى التأمل ترسم أعماق الشاعر وتلون أحاسيسة

أن تكن نـــارا فمـــا أشـــ	ـهى خلــــودى فى ســـعيرك
أو تكـــــن وردا فيالهـــ	ـفة روحــــــى لعبيـــــرك
طــــرفك الهفهـــاف يبدى	لوعـــــة خلف ســـــورك
ولهت روحــــى فطــارت	ترتـــوى من فيض نــــورك
تتمنى لـــو تهـــادت	موجـــة فـــوق غديـــرك
أو خيـــالا من هواهـــــا	ســـابحا طـى ضـــميرك
ليتـــه يافســـتان لمـــا	لحت تزهــــو فى حريـــرك

---

(١) الفكر المعاصر أغسطس ١٩٦٧ م

كنت ذرا نـــابض الاد ساس يجرى فى أثيـــرك
يلثـــم الحســـن ويهـــوى ثانيـــا بين عطورك (١)

« وقد بلغ الاغراب فى الصورة ، وتكثيف عناصرها فى بعض الأحيـان درجة كبيرة ، بحيث يستعصى شرحها وفقا لمنطق اللغة العادية ، أو يصبح هذا الشرح ضربا من العبث ، لكن يمكن تذوقها وادراك دلالاتها بمنطق المذهب الرمزى فقط الذى يعد الغموض الكثيف وسـيلة فنية مقصـودة تسهم فى أداء الدلالة الشعرية بالايحاء وخلق الجـو ، وقصيدة « بحيرة النسيان » تمثل التكثيف المعنوى · والخيالى ، والنفسى ·

● فانها تتكون من أربعة ابيات فقط ·· يقول ··

رفرفت فى دمى ! ورفت على الروح
·· وذابت بحيرة النســيان

عندها قـــد نسيت ذاتى وحسى
وزمـــانى وعبـــاءه ومكـــانى

ونسيت النســـيان حتى كأنى
هجسة فى خـــواطر الأكفـــان

فاحضنى يابحيرتى زورق الرو ·
·· ح وغيبى عن ضجة الأكـوان

● فليس من اليسير ، ولا من المقبول · تركيب عناصر هذه الصورة على نحو ماهو مألوف فى دلالات اللغة العادية · لكن طبيعة هذا التشكيل للصورة بغيمه وضبابيته يشـع فى ذاتـه معنى النســيان ، وكأنما يريـــد « محمود حسن اسماعيل » أن يجسد هذا المعنى بخلق صـورة تتأبى على التذكر فتكون مثالا حيا للنسيان (٢)

---

(١) أغانى الكوخ ص ٥٨
(٢) انظر ديوان : أين المفر · دراسة عن الديوان د · شفيع السيد ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤

— ٣ —

وقد كانت الصورة مكثفة الى درجة تصل الى ضياع الاحساس والمعنى والرؤية الشعرية فى بداية حياته الفنيه وخاصة فى ديوانه هكذا أغنى « أين المفر » ثم قلت كثافة الصورة وأتضحت واستطاع الشاعر ان يقترب من القارىء والسامع فى ديوان « قأب قوسين » « وصلاة ورفض » « نهر الحقيقة » وفى الديوان الأخير تطالعنا الصور البسيطه التى تزقزق كالعصفور على أغصان الشعور ٠٠ حيث أغفل الشاعر التهويم تماماً فهو يتكلم عن الأمل فى صور مشرقة متتابعة نامية بعد أن غرق قديما فى نهر النسيان وهو يكشف اللثام عن زيف البشر ويهتك البراقع بعد ان كان يئن تحت تلال الشك وهو يبتسم بعد ان كانت الكآبه دينه ومعتقده وهو يتكلم عن الأرض والشمس والبقاء بعد كان يتكلم عن النعش والليل والفناء ٠٠

انه شباب فنى ٠٠ شباب القلب والروح

يقابل به الشاعر الحياه وكأن بدايته تعانقت مع نهايته ليعلنا معا أن الحياة نبع واحد ٠ وطريق واحد وان اتسعت بين خطاها الفجوات ٠٠

— ٤ —

ويعيب الدكتور مندور على محمود حسن اسماعيل طريقة تناوله للصورة وبنائها الفنى عنده فيقول الأستاذ محمود حسن اسماعيل يذكرنى دائما بالمتنبى ففى شعره رنين قوى فى بسطة أوزانه وضخامة الفاظه بل فى بعض صوره الشعرية المجتلبه على نفس النحو الذى كان يصطنعة المتنبى أحيانا متتلمذا لأبى تمام ولكنى أبادر فأقرر أن شعر المتنبى غير شعر محمود حسن اسماعيل فى معدنه النفسى وفى رؤيته الشعريه ٠

شعر المتنبى كشعر محمود حسن اسماعيل من النوع الخطابى ولكن شاعر الحمدانيين كان شاعرا كبيرا وأما صاحب هكذا أغنى فشاعر يعيبه آمران خطيران ٠

أولهما : أن المتنبى نفسس قويه عاتيه متماسكة ٠

عاطفة المتنبى مغلفة مركزة عميقة ولهذا تلوح كاذبه ٠

عاطفة المتنبى نار داخلية لاتراها وان ألهبت اللفظ أو أوقدت الصورة ..

وأما احساس محمود اسماعيل فمفضوح ويأبى شاعرنا الا أن يزيده افتضاحا بقصاصات النثر التى يعلقها فوق قصائده وفى هذا ابتذال للنفس عنه نفره ..

عاطفة محمود حسن اسماعيل مطرطشة حتى لتلوح سرابا عاطفيا (١)

ثانيهما : اضطراب الرؤيه الشعريه عند محمود حسن اسماعيل بل اننى لأخشى الا يكون له حقل شعرى على الاطلاق وهذا أمر يتضح لمن يراجع صوره فى أى قصيده من قصائده فانه لابد واجد بينها من التنافر ما يقنع بانه لايرى الأشياء رؤيه - شعرية صحيحه تراه يجمع بين صور لايمكن ان تكون وحده للموصوف ولو أنه حرص على الرؤيه الشعريه الصادقه لرأيت التجانس الذى يعوزه . وأنا بعد أرجح أنه يلتمس الصوره من ذاكرته لا مما يراه ببصره أو يدركه بحسه (٢)

- ٥ -

ويعيب الدكتور شكرى عياد على شاعرنا التعقيد البيانى الذى لايعمق الاحساس فى بعض طرقه فى معالجة ما يرمى اليه من أفكار وبخاصة الأفكار الاجتماعية التى لابد ان يخدم التشكيل الجمالى فيها الأفكار ويؤازرها حتى تلهب الشاعر وتغور فى الأحاسيس .. ففى قصائد فقراء ، بين الله والانسان وقبرة الاحسان .. ، نلمح مضمونا اجتماعيا رومانسيا ليس فيه الا البكاء والاستبكاء لبؤس الفقراء ولكنها تصور ذلك بطريقة من التعقيد البيانى لاتعمق الاحساس بل تجنى عليه . لأنك بعد التعب فى تركيب هذه الصور بخيالك .. لاتحظى من ورائها بطائل .. وربما لمح الشاعر الصور الجميلة فالح عليها .. حتى تركها تنزف دما .. وحسبك هذان البيتان فى ابتداء القصيدة الأولى « فقراء »

---

(١) فى الميزان الجديد ص ٩٨
(٢) السابق ص ٩٨

فقراء ؟ لا والله نحن الذين ..

.. شذا الالة .. يضوع فوق ترابهم

يسقيهم .. لهب الحياة جداولا

خضرا تغرد كاسها .. لربابهم

فلو اكتفى من الصورة بالبيت الأول لأغنى ولكنه يمضى يركب صورة فوق صورة فى معان غائمه يحاول أن يخلع عليها تأثيرا بالكلمات العنيفة الوقع كالوأد والنوح والنهش حتى يفجأك ببيت واحد رائع

أحباب جوع الطير جاع زمانهم

وتساقطوا ثمرا على أحبابهم

فتحس أن القصيدة كلها كانت تفتش عن هذا البيت (١) .

● وموقف د . مندور من « فن » الشاعر . يحتاج الى مراجعة متأنية ترصد أسباب الخلاف ودواعى الهجوم .

● وفيما يتعلق بالصورة . وأن فسادها يرجع الى اضطراب الرؤية الشعرية عند الشاعر فالأمر يحتاج الى مساءلة .

ماذا يقصد د . مندور بالرؤية الشعرية ؟ انه لم يوضح ذلك توضيحا فنيا شافيا ، اللهم اذا كان يبغى أن يجبر الشاعر على اقتناع فكرة معينة ، أو يرمى الى حضارة برؤية مسبقه .

● وعلى هذا الأساس تصبح النتيجة وهى . فساد الصورة منقوضه لأن المقدمة غير صحيحة . فلكل شاعر رؤيته الخاصة وعالمه المميز .

---

(١) الكاتب ص ١٤٣

● والاحتجاج الذى أدلى به وهو « التنافر بين أطراف الصورة الشعرية حيث يجمع بين صور لايمكن أن تكون وحدة للموصوف »

هذا الاتهام · لايدين الشاعر بقدر ما يوحى بادراك الشـــاعر لروح العصر · وباحساسة بتطور الصور · والعلاقات الخفيــة بين أطرافها · وأن عامل المشابهة المحسوس لم يعد الفيصل فى قبول الصورة أو رفضها وانما الصورة المؤثرة التى ندرك كيف تنتظم الأضــداد ، وتقرب بين المتنافرات وتحدث انسجاما كونيا مهما بدا فى الوجود الخارجى من تناقض · وتنافر

● ويمكن أن نقبل ما عابه د · شكرى عياد على الشاعر · لأنه يريد للشعر أن يصل الى كل الطبقات وبخاصة اذا كان شعرا اجتماعيا ، وليس معنى هذا أن الصور لاتخلف أثرا فنيا ·

فلو حللنا صوره فى القصائد التى ذكرها الناقد لاكتشفنا عوالم كثيرة من المبــادىء والقيم ، والأحاســيس الثورية التى تنقض زعـم النــاقد أن احاسيس الشاعر رومانسية لاتملك غير البكاء والاستبكاء »

ـ ٦ ـ

● ومن أهم خصائص الصورة عند محمود حسن اسماعيل · قـدرته على الاندماج فى الموجودات الخارجية الى درجة الاتحاد والحلول ··

● وانها لشهادة عظيمة لشاعرية محمود حسن اسماعيل أنه استطاع أن يقهر قالب القصيدة ·· ويسخرها للتعبير عن عالمه الخاص فى قصــائد مثل · عبيد الرياح و « جلال الظلال » و « النسيان » فهو يفر من ذاته الى صــــور الحياة حوله فيرســمها بريشــة متأنية · ولا يلبث أن يستغرق فى تفاصيلها ·· حتى لكأنه فى عالم مسحور أو كأنه كما تمنى مرة وهو ينظر الى فستان أحمر ذرة نابضة بالاحساس تجرى فى ثناياها ·

ويستغل ما فى قالب القصيدة التغنى والمحتوى المــوروث · من حصار للمشاعر الذاتيه ليجعله أداة للتعبير عن اندماج ذاته فى الموجودات الخارجية

على أن اندماج ذات الشاعر فى الموجودات الخارجية · يتخذ أكثر من حالة

(ا) أولى هذه الحالات ·· هى التوارى تواريا تاما خلف الموضوع الشعرى · ومحمود حسن اسماعيل هنا شاعر ملحمى الصور · وهـــذه خاصية من خصائص الصور عنده تميز بها · بحيث نتمنى لو فرغ جهده لهذا الفن الذى يمتلك على الأقل أداته اللغوية · وقد لا يعز عليه امتلاك سائر أدواته ·

الحـــالة الثانية ··

هى التعبير عن وجدان الشاعر الخاص من خلال موضوعه وهو هنـــا شاعر غنائى رومانسى يصطنع أحيانا أدوات الرمزيين · وتلك أيضاخاصية جديدة من خصائص الصورة عند محمود حسن اسماعيل « الرمز »

« والحـالة الثالثة »

هى أن يقف الشاعر أمام موضوعه وقفة التأمل الذهنى ويستدعى صورة الخيالية التى يراها لائقة به وهى أضعف حالات الشاعر ·· وهذه خاصية جديدة ولكنها تعاب على الشاعر ·· وهى استدعاء الصور من الذاكرة ··· وعدم انصهار الفكرة مع الصورة والخيال · وهو العيب الذى عابه الدكتور مندور على الشاعر · واتهمه بأنه يغرف الصور من الذاكرة ·

ومحمود حسن اسماعيل ·· شاعر متدفق · يحتاج الى أن يفرغ كل ما عنده حتى يعثر على جوهـرة الشعر · فهو كالسـيل الآتى احتمل زبدا رابيا أو كقبرة شلى يصب قلبه الملآن فى أنغام ثرة من الفن الذى لم يسبق بتفكير تكاد لاتخطىء حالة واحدة من الحالات الثـلاث فى أى قصـيدة لمحمود حسن اسماعيل ·· ففى قصيدة « عبيد الرياح » مثلا وهى قصيدة قصيرة نجـــد نموذجا من الأسلوب الملحمى ·· فى وصفه لجبابرة النيل أولئك المراكبية المساكين ·· الذين يجرون المراكب بالحبال ·· حين تفتر الريح ·

على صدرهم من غضون الكفاح

أفاعى حبال تلف الجنوب

تجـــاذبهم خطوهم للـــــوراء فهم من عنـــــاد بقايا حروب
سواعدهـــم موثقـــات الزنـــود ولكنهـــا عـــدة للهبـــوب
تشـــق الفضــــــاء بأجوازها فتنتشـــق أجوازه أو تـــذوب

ويقابلك الشاعر الغنائى فى قوله ..

يجـــرون أيامهـم خلفـــهم وذكرى شــقاواتهم والكروب
عبيد الريـــاح كلانــا رقيق فغنوا . وسلوا . عبيد الخطوب

وتنتثر الصور الذهنية التمامية .. انتثارا متفاوتا فى ثنايا القصيدة

يسيرون ســير الهوان المريب ويمشون مشى الزمــان الكئيب
سقاهم سليمان من ســـره فكادوا يمسون سمع الغيــوب
يكاد يعزى ويمشى النخيـــل وراءهــم وتلوذ السهوب (١)

– ٧ –

وهناك خاصية أخرى من خصائص الصورة عند محمود حسن اسماعيل وهى الصــورة المعبرة عن البيئة تعبيرا أصيلا . فهو برغـم ثقافته العربية المحافظة .. لم يجرف الى الماضى لينقل عن الحياة العربية الأولى أو ليغمس ريشته فى البادية .. وما قارب البادية من بيئات وانما اتخذ ثقافته المحافظة وسيلة لرياضة ملكته .. وتقويم قلمه وروعة لغته ثم فتح قلبه وكل وعيه . لعالمه الواقعى الحى وراح ينقل عن هذا العالم بريشة ملهمة أصيلة .. وقد بلغ اقبال الشاعر على عالمه المصرى الصعيدى الذى يلخص الماضى كله درجة توشك أن تصل الى الاتحاد والحلول .. فهو اذا ناجى حبيبته قال :

بالله كاهنه الحب أعيدى أرغنى
ابريل دير العاشقين من قديم الزمن
سمعته يتلو المزاير فهل يسمعنى ؟

---

(١) أين المفر ص ١٩

وهو اذا مجد صوت المعاول .. وهى تفتت الصخر تحت أقدام السد .. قال ..

كهان منف على أجراسه انتبهوا   من الزوال وذابوا قبل سكتته

ومد خوفو من الناموس نظرته   وعاد للأبد الغاق بدهشته

وخيل رمسيس من خلف البلى صهلت   وحن برجاسها شوقا لساحته (١)

واذا تحدث عن النهر الخالد وصفه بأنه ..

خشوع وتسبيح وطهر كأنه   بكف الليالى أو بكفى مصحف

وصمت على الشطآن أسمع خلفه   صدى الأبد المكتوم للروح يعزف

ودنيا أغان فى الضفاف نشدتها   فعدت وأوتارى من الوجد تنزف

ففى الصور الماضية التى رسمها الشاعر يظهر أثر البيئة واضحا فى استخدام الأسلوب وذكر المسميات . وتحس هذه المواءمة بين الايقاع الشعرى وبين الغرض الذى رسم فيه صورة الشعر .. ونكاد نشعر بكل صخرة تتحطم عندما تهوى فوقها المعاول .. عندما ننتهى من كل بيت ، حيث القافيه « المقضومة » ان صح هذا التعبير والشاعر يلج بنا فى محراب المجد ويبعث مواكب الموت من العدم لتتطلع الى المعجزة الخالدة ..

فمنف وكهانها .. يستيقظون .. وينتبهون فى فزع على صوت المعاول ويمد خوفو نظرته .. فيبهر ويدهش ويعرف أن الذى بنى الهرم الأكبر لم تعقم بعده مصر . بل يعود لأبده الغاق بدهشته واطمئنانه أيضا لأن مصر مازالت الأرض البكر التى تعد بالسخاء والعطاء . ويرسم الشاعر صورة أخرى للمجد ويربط ما بين الماضى والحاضر .. فيسمعنا صهيل خيل رمسيس من خلف أسوار العدم ويصور البرجاس وهو يلهبه الحنين شوقا لساحة المجد العربى الحاضر . كذلك تظهر شخصيته وهى تلقى ظلالها . وايحاءاتها على صوره فمحمود حسن اسماعيل « ترسب فى أغوار ذاته الشخصية

---

(١) قاب قوسين ص ٦٣

(٢) السابق ص ١٧٧

الدينية ـ ولذلك نراه يصور النهر كالمصحف وهو تصوير لايبدعه الا من يدرك روعة هذا الكتاب المعجز ...

ـ ٨ ـ

● ومن خواص الصورة التى تميز بها محمود حسن اسماعيل . استخدامه لبعض عناصر الصور الجنائزية التى عرفها الصعيد منذ عهد الفراعين . أو التى اشتملت شعائرها اليوم على كثير من رواسب الماضى والأمس البعيد . فاللحن يضيع كما يمر الصدى . بالكفن لهامد والنخيل يبدو كتابوت دفنت فيه الخطايا . والشادوف يجاهد طول اليوم حتى يسر بـ « نعش » الشمس هيكله .. وهكذا ..

ـ ٩ ـ

وقد تخلص محمود حسن اسماعيل فى دواوينه الأخيرة وخاصة ديوان نهر الحقيقة من بعض عيوب لصورة عنده مثل .. التعميم والتجريد .. ولجأ فى علاج تجاربه الى البدء من موقف محدد .. وحادثة جزئية . ثم يأخذ فى تنمية هذا الموقف ويطور تلك الحادثة .. بلمس التفاصيل الموحية .. وتوسيع الأبعاد الدالة . وكذلك رأيناه يبعد أيضا عن التكثيف « المعقد » فى صوره ويجنبها الاضطراد غير المتآزر .. ويبعدها عن التركيب المعقد ورأيناه بعد ذلك يزيد من استخدام العناصر الدرامية فى شعره ويحرك أسلوبه بالقص والحوار ..

وهذه الخصائص التى اهتدى اليها الشاعر أخيرا .. وهى التخصيص وعدم التكثيف .. والبعد عن الاستطراد .. والتركيب المعقد واستخدام العناصر الدرامية فى شعره وتحريك الأسلوب بالقص والحوار نلمحها جميعها فى اكثر من قصيدة فى ديوان نهر الحقيقة .

ولكن العمل الذى هزنى شخصيا .. وجعلنى انتقل فى مشاهده مبهورا تسرى فى مشاعرى لذة الفن وحلاوة التعبير ومعايشة الواقع ..

قصيدته « هتك البراقع » واظنها تكرارا مقنعا لقصيدته صحراء العجائب ولكن الفرق هو أن التخصيص .. كان اداة الشاعر فى « هتك

البراقع وكأنه فنان تشكيلى يرسم بدقة وامعان ادق المشاعر ·· ولكن التعميم والمباشرة وعدم وضوح الرؤية كان الغلاف الذى غلف ·· قصيدته صحراء العجائب « وهتك البراقع » شريط من الفن والواقع يتكون من أحد عشر مشهدا

- وكأنها رحلة فنية تذكرنا برحلة ابى العلاء المعرى فى رسالة الغفران.
- ولكن رحلة شاعرنا فى أسرار الحياة ورحلة فيلسوف المعرة فى الدار الآخرة ·

- ورحلة شاعرنا فى كشف الأسرار السلبية والوجوه الخادعة · للانطلاق الى ايجابيات الحياة ·· ورحلة فيلسوف المعرة رحلة سخرية من المجتمع بطريقة رمزية ·· المجتمع الذى قهره وفرض عليه الشك والحرمان ··· فعاش رهين المحبسين ·

- فى المشهد الأول – يرسم صورة للمنافق ·· الذى يتراءى أمام الناس · ويستخدم الشاعر الحوار والبساطة فى التعبير والبعد عن الاستطراد والتخصيص فهذا المنافق يحمل أوزار الأمس ويدب بخطاه فى هدير الضباء ولكنه يلعق الأوهام – وتوبته توبة شيطانية فلنتركه فى وهمه وضلاله والصوره لها وجهها الايجابى – وهو أن هذا الوجه منبوذ فى المجتمع والأحياء جميعا ··

وفى المشهد الثانى ايضا تتمثل الخصائص نفسها عندما يصور لنا شخصية من المجتمع ارتدادية ·· رجعية ·· جامدة ·· ثابتة – ويصف صاحبها ·· بأنه فصيح اللسان كسيح الضمير ويصوره بالعصا الواقفة فى فى يمين الضرير · وأخيرا يقول عنه ·· « فهذا الذى منه مات المسير » صورة مركزة معبرة موحية تدعونا الى تجديد ذاتنا دائما من غير وعظ ولاخطابية ·· ولاتقريرية ·

ويعطينا صورة فريدة فى المشهد الثالث · صورة الواهم المكابر ·· المرائى ·· الذى يعيش فى احلام اليقظة · ويصفه بأن له شعاعا نميما ·· ويتعالى ·· بأمشاج رزق لقيط »

ويبنى بمــا خلفته الريــاح شباب الجديد بنعش القــديم

واخيرا يصدر حكمه عليه ·· حكم الحياة ·· حكم التيار الماضى للأمام دائما ·· حكم الواقع ·· الذى لا ريب فيه ·

فقلت اتركيـــه لأوهـــامه ستصعقه يقظـات النجوم

● ويمضى فى المشاهد معبرا عن فلسفته الخاصة وعن مجتمعه وعن الناس كل ذلك فى صور متتابعة ومشــــاهد حيــة نامية ·· بحيث ينطبق عليها قول الشاعر القديم « الشعر رسم ناطق والرسم شعر صامت » وفى المشهد الثامن · نلمح أطياف عمر الخيام تحوم فى نسيجه وتتحرك خلف ستائره الفن المختبىء وراء حناجر الممثلين وهى تمثل لقطة فلسفية خطيرة حيث يدعو الشاعر الى أن الحياة هى الحياة · وأننا لابد أن نقتطف اللذة الحاضرة · وأما البعث فــلا يوجد شىء يسمى بعثا · وكأن الشاعر يتشبث بالحيــــاة ويصور روحه بالريحانة الساقطة فى الطريق · وكل روح ستصبح مثل ذلك وينتهى الأمر ·· صورة درامية موحية وليست عبثيه وان كنا نخالف الشاعر فى عقيدته ·· الا أن تكون حالة طارئة من حالات الانفعال الشديد

وقالت ·· وكان الأسى عابرا

على وجهها الشاعرى الحزين

وريحانة سقطت فى الطريق

فداست عليها خطا السائرين

وما ذلك الأمر ·· قلت اصمتى

غدا مثلها فى الثرى تصبحين

يشيب الجمال ··· يشيب الشباب

تشيب الحيــاة

تشيب الســـنون

خذى ما تشائين من كل شىء

حذار الذى عنه ما تسالين (١)

هذه الصورة الفلسفية تذكرنا بأبيات الخيام ..

لا تشغل البـال بماضى الزمان   ولاتبآت العيش قبـل الأوان

واغنم من الحاضر لذاته .. فليس فى طبع الليالى الأمان

ويبعد الشاعر عن التهويم . ويسخر من وهمه وأحلامه حيث يغمز نفسه بسكينة الواقع المرير لتنتبه من الغفوة .. وان كانت هـذه الصورة التى رسمها تصور تمرد الشاعر . وتعلن عدم اعترافه الجهير بنعيم الجنة وبأن هذا كله وهم وهذا مالا أثره عليه فنفسه التى صورها حالمة بفردوس الحب وأنهار السحر والحور العين وتسأله .. عن سر هذا . ومدى صـحته .. فيجيبها بالنفى ويقول لها

(لن تعرفى من السر الا الذى تبصرين) .

أما عمر الحالمين فياضيعته ..

قالت حلمت بفردوس حب

وأنهار سحر بلا شاربين

وحور ترفرف مثل الطيور

فتسكر أسرابها الناظرين

فماذاك ؟ قلت احلمى كيف شئت

وياضيعة العمر للحالين

زهورى حوالى ان لم أذقها

أيسقى شذاها ربى النائمين

أفيقى من الوهم لن تعرفى

من السر الا الذى تبصرين (١)

---

(١) نهر الحقيقة ص ٥٣.

فلسفة مادية ٠٠ وبعد عن الروح واغراق فى التأمل الحسى والأحــــلام المرفوضة ٠٠ وهــــذا أخطر تحــول نشهده فى فن الشـــاعر وتصـــــويره للأشياء وموقفه من الحياة ومن فيها والقيم الدينية المتوارثة وتحتاج هــذه القصيدة الى دراسة مطولة ٠ وتحليل عميق وأتمنى أن يوفقنى الله الى ذلك فى فرصة مواتية أخرى ٠٠ ان شاء الله

مما تقدم نستطيع أن نحدد أهم ملامح الصورة الشعرية وخصائصــها عند محمود حسن اسماعيل وهى ٠٠

أولا : الصورة الشعرية عنده مركبة يغلفها التهويم والاستطراد وان كــان هذا عيبا فى كثير من الأحيان ولكنه عند محمود حسن اسماعيل كثيرا ما يمنح الصورة حيوية وحركة ويمدها بغزارة كالنبع الجياش ٠٠

ثانيا : الخيال الخصب الذى يوش الصورة بما يبهر ويدهش ويمتاز هــذا الخيال بخلع السمات البشرية على الجماد والنبات

ثالثا : الصورة يستمدها الشاعر من ذاكرته وليس هذا كثيرا ويعد عيبا من عيوب الشاعر ولذا يبدو عليها الصنعة والتكلف ٠٠

رابعا : لدى الشاعر قدرة على الاندماج بصـــورته الشعرية فى الموجودات الخارجية ٠٠ الى درجة الاتحاد والحلول ٠٠

خامسا : تأخذ الصوره عنده فى كثير من الأحيان الطابع الملحمى وذلك يرجع الى قدرته على الانفعال ٠٠ وشفافية فطرته ووجدانه الحاد ٠٠

سادسا : تتميز الصورة عند الشاعر باستخدام الرمز فى التعبير وان كــان يعيبه أن الرمز يصل بغموضه أحيانا الى درجة اللغز ٠٠

سابعا : تعبر الصورة عند الشاعر عن البيئة تعبيرا أصيلا وليست صوره تقليدية ولكنها مستوحاة من واقع الشاعر وظروف حياته ٠٠

ثامنا : الصورة الشعرية عند الشاعر تخلصت من عيوبها الأولى مثل التعميم والتجريد والتهويم ٠٠ ولجأت الى التخصيص والتجسيم ٠٠

الفصل الرابع

« الرؤيـــا الشعرية »

من البديهى أن لكل شاعر أصيل فكرته عن الواقــع والأشــياء مادام هو قد جاء الى هذا الواقع ·· ونما فيه وتفاعل معه بطريقة وان اتفقت فى الجوهر مع ميله الا أن لها ما يهبها خصوصيتها ·· هذه الفكرة الخاصــــه أو النظرة الخاصة للشاعر تصلنا نحن المتلقين ·· ونتعرف عليها عبـــــر طريقة تعبيره عنها · عبر الوحدات التى تكون فى مجموعها شكل شعره · (١)

هذه النظرة الخاصة هى ما يسمى فى النقد الحديث بالرؤيا الشعرية · ونستطيع أن نحددها بانها الكيفية التى ينظر بهـــا الشاعر للعـــالم ·· والكيفية التى يعبر بها عن هذه النظرة · وهو ما يصطلح النقـــد الواقعى المعاصر على تسميته بالأسلوب · أى أن الأسلوب حسب الفهم العلمى للفن هو الرؤيا والتعبير معا ·

وهذا الأسلوب الخاص هو الذى يعطى الشاعر أو الفنان شخصـــيته ومرديته ويجعلنا دائما كمتلقين فى حاجة اليه · فقد يشترك مع معاصريه من الشعراء فى التعبير عن تجربة معينة تلح عليهم جميعا ·· أو الاهتداء بنفس الخط الفلسفى الذى يصنع الخلفية الفكرية لشعرهم · أو فى التزام نفس الموقف الاجتماعى تجاه الفئات التى تشاركهم العيش فى المجتمع ··· لكن على الشاعر كى يحقق أصالته أن يعطينا من خلال ذلك كله « وجهه هو » فالطابع الخاص هو التبرير الفنى لوجود الشاعر ··

---

(١) مقدمة ديوان · الأرض والعيال ·· ص ٢٢٧

● « ومحمود حسن اسماعيل » تميز بلغته الخاصة وبطعمه الخـــاص ونظرته الخاصة حتى لو أتينا بقصيدة له ضمن عشرات القصائد لاستطعنا أن نميز قصيدته عن غيرها من القصائد ·· وتلك أهم سمات الأصالة · وانها لشهادة لأصالة شاعرية محمود حسن اسماعيل أننا لانستطيع أن نجزم انه تأثر بغيره فى منحى أو أسلوب النفى بغيره فى هذا المنحى · أو الأسلوب النقاء » غير متعمد وتكون هذه الميزة نقيضة من نقائضه الكثيرة لأنه من أصدق شعراء جيله تعبيرا عن الاتجاهات العالمية فى الشعر بالرغم من تبرئه من هذه الاتجاهات كما انه من أشد الشعراء المعاصرين تصرفا فى اللغـــة الشعرية الموروثة بالرغم من محافظته على طابعها العام ·· (١)

● والرؤية الشعرية ينبغى أن تكون واضحة ومحدده أمامنا منذ البداية حتى نستطيع النفاذ الى الفكرة أو الشعور الماثل فيها ·· غير أن الرؤية الشعرية لاتقف عند حدود الرؤية البصرية ، انما هى قـد تتجاوز عن بعض عناصرها التى لاتؤدى دورا حيويا فى تلك الرؤية الشعرية » (٢) والشاعر الحديث راح يحقق فى أعماقة تفاعلا روحيا بعيد المدى ـ يخصب به مجالات الرؤية الحديثة للشعر · بل ان كلمة الرؤية اذا شئنا الدقة فى التعبير والتأريخ لا تنطبق ابعادهاالا على هذا الشعر الحديث فالرؤية تقيم عالما جديدا بحق · ولكن من أنقاض العالم القديم نفسة · ولغة هذه الرؤيا ليست من مجففات المعاجم المطبة بل تستمد أصولهـا من طبيعة الرؤيا وتوعية الحلم · (٣)

ومحمود حسن اسماعيل يصب رؤيته الجديدة فى لغة جديدة كل الجدة فهو ·· يملك بالنسبة للمتلقى هذه الرؤيا المفاجئة وهذا العنف البلاغى ذلك لأنه يعرف كيف يستبطن نفسة · ويعرف كيف يجهز على الوجود الخارجى للمرئيات بما يشبه الكابوس السريالى · وبعالم متضخم بالرموز الدينية من كـــافة الموروثات الروحية فى المنطقة وبخاصة الاسلام وبارتكاز شديد على التراث

---

(١) الكاتب يناير ١٩٦٧

(٢) الشعر العربى المعاصر ص ١٥

(٣) شعرنا الحديث الى اين ص ١٣

وأخيرا بنظرة متوترة للعالم .. وليس معنى هذا أنه مهتم بالفن أكثر من اهتمامه بالحياة . ولكن معناه الى جانب ذلك أنه مهموم ذلك أنه مهموم بحرية الانسان وتخليصه من كافة الأبعاد الخاصة بالرق . وان كان يصل فى هذا المدى الى نوع من التجريد لاتتحمله هذه القضية الحيوية ..

وبرغم هذا فالدكتور مندور فى كتابه « الميزان الجديد » يتهمه باضطراب الرؤية الشعرية عنده .. بل يقول .. « اننى لأخشى أن لايكون له حقل شعرى على الاطلاق ..

ويدلل على ذلك بطريقة تصوير شاعرنا للأشياء فيقول ..

وهذا أمر يتضح لمن يراجع صوره فى أية قصيدة من قصائدة . فانه لابد واجد بينها من التنافر ما يقطع بأنه لايرى الأشياء رؤية شعرية صحيحة تراه يجمع بين صور لايمكن أن تكون وحدة للموصوف ولو أنه حرص على الرؤية الشعرية الصادقة .. لرأيت التجانس الذى يعوزه . (١)

ويكرر اتهامه فى كتابه . الشعر المصرى بعد شوقى الحلقة الثالثة .. ويؤكده قائلا .. وباستطاعتى أن أضيف اليوم . أن اضطراب هذه الرؤية الشعرية عند محمود حسن اسماعيل . ليس اضطرابا فنيا فحسب بـــل اضطرابا نفسيا أيضا لأن مجموع شـــعره وعصارة حياته تنم عن نفس مرتعشة (٢)

ويوافقه مصطفى السحرتى على ذلك فى كتابه الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث قائلا .. واغلب نقدات مندور صائبة وبخاصة عدم وضوح تجربة محمود حسظ اسماعيل الشعرية أو قصور رؤيته (٣)

ولا اوافق الدكتور مندور على كل ما قاله بل ألمح فيه روح التحامل على الشاعر

---

(١) فى الميزان الجديد ص ٩٨
(٢) الشعر المصرى بعد شوقى ص ١٠٠
(٣) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٢١٣

على نحو يذكرنى بنقد العقاد لشوقى مع الفارق فى اتجاه الناقد والشاعر الحاليين عن اتجاه الناقد والشاعر السابقين ٠ ولو امتد العمر بالدكتور مندور لرأى تجارب محمود حسن اسماعيل ورؤيته الشعريه تظهر فى ديوان مثل قاب قوسين ، وصلاة ورفض ونهر الحقيقة على نحو يدعو الى التأمل والاعجاب ٠

ونظرة منصفة الى شاعرنا نلمح أن دواوينه تأخذ الاتجاه الموضوعى مما يدل على نضوج رؤيته ٠ فمثلا ديوان أغانى الكوخ يحمل موضوعا ذا طابع موحد فكله ذوبان فى الريف وطبيعته وبكاء على وجهه الناضر الذى غطته الكآبة ٠

* وديوانه نار وأصفاد ٠ يحمل موضوعا واحدا وهو الحرية ٠٠ التى ينشدها الانسان العربى منذ ان انبثق النور من مكة وتنقل فى عصور التاريخ الى العصر الحديث والمسافة بين الضفتين تحوى عصورا من الظلم والاستبداد ٠

* وديوان « لابد » يحكى اصرار الانسان على الوصول الى مرافىء الأمن وشواطىء العدالة ٠

* « وأين المفر » يشعرنا بأن الشاعر يعانى من الأغلال ويختنق من الأصفاد ويشعر بعبثية الوجود ٠٠ وقد لخص هذه النظرة فى بيتين ٠٠٠ صور بهما الديوان ليطلنا صراحة أن الديوان ٠٠ يحمل هذه الروح ٠٠ وذلك الاتجاه ٠٠

القينى بين شباك العذاب   وقلت لى غن

وكل مايشجى حنين الرباب   ضيعته منى

* « والتائهون » يحمل وهج الصدق ٠٠ ويضع الحقيقة أمام مواكب الحيارى ٠ ضحايا الاستبداد والانتهازية العالمية ٠٠

وكذلك باقى دواوينه ٠ كل ديوان يحمل طابعا خاصا وطعما خاصا الا بعض دواوين قليلة مثل ديوان « الملك » ٠ وديوان ٠ هكذا اغنى

وشاعر ٠٠ يمتلك هذه الموهبة الفذة والعبقرية المحلقة السامقه لايستحق أن نتهمه بأنه ليس له حقل شعرى على الاطلاق وأن نصفه بأن عبقريته مهدرة وانها اصبحت عليه لاله ٠٠

٠٠ واذا ما ذهبنا نحدد ٠ ملامح الرؤيا الشعرية عند شاعرنا لرأينا انها ٠٠ تتحد على النحو التالى ٠٠

(ا) رؤيا اجتماعية

(ب) رؤيا سياسية

(جـ) رؤيا صوفية

وسأحاول معالجة كل رؤيا على حـدة على ضوء تأمل النصوص الشعرية ـ ودراستها ٠٠ فهى المصباح الذى نحمله ونحن نخوض مجاهل انشاعر العميقة ٠٠ ونرتاد دروبه المجهولة ٠٠

« أولا » « الرؤيه الاجتماعية »

٠٠ تمت الرؤيه الاجتماعيه فى وجدان محمود حسن اسماعيل نموا مبكرا واكاد اجزم بأنها تربت معه ٠٠ ورسبت فى أعماقه منذ طفولته واختلطت بنور عينيه وهو يشهد مأساة الفلاح المصرى ، وامتزجت بسمعه وهو يسمع انين المظلومين وسرت فى قلبه وروحه وهو يتلوى من الألم للشقاء الذى يئن تحته آلاف الفلاحين وكان لنشأته الريفية فى احضان القرية اثر كبير فى انبثاق هذه الرؤيا وتجسيدها فى ديوان اغانى الكوخ وهو يحدثنا فى مقدمة هذا الديوان عن ملامح تلك البيئه وعن الظروف التى أوحت له بهذه الرؤيا كأنه يخاطب نفسه ٠٠

* اضرب بقدمك فى ليلة من ليالى التسوار بين تلك الأكواخ المتداعية فى قرى مصر وحدثنا عما تلاقيه من أهوال الظلام ٠٠ وعثرات المسالك

فى عصر كاد يفترش فيه المدنى الشعاع ويتوسد مساقط النور !! وخض بها تلك القنى التى تساور الفلاح فى غيطه • واجلس بجانبه فى الظهيرة تحت ظل الخيمة التى نصبها من ردائه على عصاه وفأسه وقاسمه الطعام والشراب • فحدثنا كيف أكل ؟ وكيف شرب ؟ وهل تردد عشرين فى احتساء الماء المقطر من كوب بلورى شفيف أم انبطح على بطنه فعب الماء من مشربه العكر وقام الى فأسه فواصل عمله لايستريح ولا يعرف طعم الهدوء • (١)

ويتحسر الشاعر ويرمى الأدباء المعاصرين له بالعقوق وعدم الصدق الفنى فيقول اللهم ان هذا هو العقوق بعينه لبيئة نبتنا فيها ورحنا نتغنى بغيرها • (٢)

هذه المشاهد التى ذكرها الشـــاعر هى التى كونت ملحمته الخالـدة « أغانى الكوخ » وكونت رؤيته الاجتماعية المبكرة فى الوقت الذى انغلق فيه شعراء عصره على أنفسهم يبكون أحلامهم الزائلة وقلوبهم المصدومة وعواطفهم المكبـوتة الأمر الذى دعـــاه الى مهاجمتهم واتهم الشـعر والشـــعراء بشخصية النزعة والنظم فى كل مالا صلة له بالبيئة على الاطلاق ••

وهكذا لم يقصر الشاعر فى تأكيد افتراقه عن معاصريه من شـــعراء الشباب والشيوخ ومع ذلك فقد كان نبت بيئته وكانت له جذوره فى الحياة المعاصرة بل وفى الأدب المعاصر نفسة • كان يحاول أن يحكى حياة قريتـه النائمة فى حضن الوادى فى صعيد مصر « النخيلة بأسيوط » يغنى لزهرة الفول والسيسبان ••

وكان محمود حسن اسماعيل أعظم اصالة حين غنى عذابات الفلاح وجراحاته وحين ذوب نفسة فى سر الوجود • وكان ديوانه الأول اصح تعبيرا فى وقته عن الدعوة التى الح عليها مفكر مثل هيكل وحاول تجسيدها فى أدبه الروائى

---

(١) اغانى الكوخ ص ٢٣٢
(٢) أغانى الكوخ ص ٢٣٢

* ويلتقط الشاعر بحسه الاجتماعى سر شقاء الكوخ وعذاب الفلاح وهذا السر يكمن فى اهدار حقه وعدم اعطائه أجر عرقه المسفوح على الأرض فهو يزرع ولا يأكل · يتعب ولا يقطف ثمرة التعب · فيصور الكوخ صورة واقعية لا مبالغة فيها ولا تزييف ·

شهدته يذرو دخان الأسى	والوجد فى كانونه ساعر
تبكى سواقى الحقل أشجانه	وما بكاه مرة شاعر
والبائس الفلاح فى ركنه	عريان يشكو ضنكه خائر
شالت بزرع النيل أكتافه	ومارعاه البلد ·· الغادر
لها بزيف الغرب فى مدنه	والريف من أوجاعه حائر

·· انها صورة فريدة لايقدر على ابداعها الا من عايش هذه البيئة · وليست صورة سلبية كما يدعى البعض لكنها صورة ايجابية تعنى الاعتراض والرفض والثورة الوجدانية ويكفى قوله ··

شالت بزرع النيل اكتافه	وما رعاه البلد الغادر ··

دليلا على ثورية الشاعر وحسه الاجتماعى وتسخير فنه للناس والحياة

ويتكلم الشاعر عن سحر البيئة الريفية وكيف يأتى اليها الأجانب

وينهلون منها كل رحيق عذب ·· وأبناؤها يتضورون جوعا

وقد قيل هذا الكلام فى عصر كان الاستعمار فيه أقصى عنفوانه وقمة سيطرته ومع ذلك يقول الشاعر فى شجاعة

وحج الفرنج الى ساحها	كأن الصليب على كل عود
يعبون منها الرحيق الشهى	وابناؤها يشربون الصديد (١)

الكاأتب ص ١٣٣

(١) اغانى الكوخ ص ٣٠

والمشكلة نفسها تلازم الشاعر حين يتكلم عن القرية الهاجعة فى ظل القمر وهو موقف رومانسى الا أنه لينسى هدفه الأساسى وهو يسبح فى أنهار الأحلام الشفافة .. القمر والنور .. السكون والصمت . لاينسى مشكلة القرية الأساسية . العذاب والألم . وهو يخاطب القرية متحدثا عن الفلاح ..

من ثراك العزيز غدت جنى الرو ض فاعزى لعطفه كل حى
وارتوى نبتها من العرق الها مى على تربيك الطهور الذكى
من جباه تعفرت فى ثرى الذل على موطىء ظلوم قسى
رضخت للسراة من كل فظ عبد المال فى طماع رزى
انت اسعدته وأشفيت روا حاتهاوبن فى حماك الشقى
نمت فى الضنك والهوان وأغفى رافه النفس فى حرير طرى (٢)

* ومن فم الراعى يطلق الشاعر احساساته بهذا الظلم الفادح الواقع على القرية ومجتمعها المقهور .. فيصرخ من أعماقه

نبذنا عشرة الانسا ن ذاك الأثم الفاجر
حليف الظلم كم الوى على المستضعف الخائر
وكم مال فلم يدفعه الا حتفه القاهر
سواء ذلك الطاغى ووحش الغيضة الكاسر
اذا هاجا من البغى فياويلاه للعاثر (٣)

وفى احزان الغروب . يتحدث الشاعر عن موقف خاص . وموقف عام ايضا اما الموقف العام وهو ما يهمنا الآن فيمثل المشكلة نفسها مشكلة البائس المحروم الذى تئن سرايينه وتتقطع اكباده ماذا يأكل ؟ . ماذا يشرب ؟ اما اكله .. وشربه .. فهو كما يصور الشاعر

---

(٢) اغانى الكوخ ص ٦٨
(٣) اغانى الكوخ ص ١٤٣

طعامه لقمة عفـــراء يابســـة   والمـاء من أكدر فى الترب مرتوب

... وأما نومه ... فهو عش الهوام وأبيات العناكيب

والفلاح .. ما طبيعته .. ؟ انه

صافى السريرة من زيف الورى ورع

محصن النفس من وشى الأكاذيب

ويرمى الشاعر بيئته بالجمود لنفسة . ولشعبه وللفـــلاح البائس المحروم وهو فى هذه المواقف سلبى الاحساس فهو يكتفى بتحطيم قيثارته لولا هواه الأصيل الذى يذوب فى حب بلده . وأين ثورة الشباب ؟ وأين بركان الغضب الذى يصب الجحيم على رءوس الظالمين انه استسلام لم تعهده فى فن الشاعر وقد يكون الماء الشاعرى قد أضفى على الشاعر غلالة من السكينة والهدوء وألقاه فى وادى الأمان فغرق وحلم وظن أن الحياة حلم وحب . فقط يقول ..

نبت فى بيئة للفضـــل جاحـدة   فما بأوطـــارها لى أى مطـلوب

حسبتنى من أســاها طائرا غردا   نلقى أهازيجه فى جوف مجـدوب

لولا هواها وأنى فى خمائلهـــا   نموت ذاخافق للشـد وموهـوب

حطمت قيثارتى زهدا بسامرها   ولا أسيت لحظ فيـــه مسـلوب

أشدو وأذن الورى عنى مغلقـــة   فيالضيعة انشادى وتطريبى (١)

ويتحدث الشاعر .. عن الديك ، وعن البومة ، وعن الضفدعة ، وعن الفراشة وعن زهرة الفول .. وعن زهرة القطن ، وعن القرية كلها وعن موسم الحصاد . فى أسلوب يفيض بالعزوبة والرقة والأصالة مما يدل على حب الشاعر لبيئته وحب الفلاح ومعايشته لهمومه ومشاكله .

اغانى الكوخ ص ١٦١

وفى ديوانه « لابد » • ينمو وعيه الاجتماعى ولكن ليس الى درجة النضج الكامل حيث يتكلم عن الفقراء فى قصائده • فقراء • بين الله والاحسان ، قبرة الاحسان ففى قصيدة فقراء • يحاول الشاعر تجديد ملامحهم فى صورة اسئلة يجيب عليها هو ••

فقراء •• ؟ لا والله بل نحن الذين شذا الالة يضوع فوق ترابهم

من هؤلاء ؟ هم الذين تبرجت اعراس كل منعم بعذابهم

من هؤلاء ؟ هم الذين تكلمت للظالم شاهقة بذل رقابهم

وفى قصيدة « قبرة الاحسان » نلمح اصرار الشاعر على حقه الاجتماعى • وهذا يمثل وعيا ناضجا الا انه لم يعرفنا الطريق الى أخذ الحق الا انه سيواصل سيره ليرى رزقه ولا تطرق عيناه •• ولا يعرف بديلا سواه

وأنا الظمآن الى حقى

فى درب لا يعرف رقى

ولشىء سموه رزقى

سأواصل سيرى لأراه

حرا لا تطرق عيناه

وسواه لا أعرف بدلا !!

ويتأكد لنا حس الشاعر الاجتماعى ووجدانه الصافى ورؤيته الواقعية الاشتراكيه حين يرسم لوحة للغد الآتى فى قصيدة « لابد »

انا لمحناه غد ربيعه قريب

يضوع بالعزة والصفاء فى الدروب

لكل قلب رشفة من ظله الرطيب

لكل عين قطفة من ضوئه الرحيب

لكل كف فرحة من غرسها الحبيب

فلتمض للضفاف نار زحفنا الرهيب

ولننبت الظلال حيث يفهق اللهيب

فليس فى طريقنا ايماءة تؤوب
وليس الا السير والمضاء والهبوب
ونشوة العبور
فى دربنا الكبير
لابد أن نسير
لابد أن نسير (١)

والشاعر يتجاوب مع الطبقات الكادحة والبسيطة التى تسفح العرق من أجل لقمة العيش فهو يتحدث « عن المراكبية » فى قصيدته « عبير الرياح » يربط ما بينه وبينهم ويسمى نفسة وأمثاله من المقهورين عبيد الخطوب ويصور هؤلاء الناس بصورة الأبطال الملحميين

على صدرهم من غضون الكفاح | أفاعى حبال تلف الجنوب
تجاذبهم خطوهم للوراء | فهم من عناد بقايا حروب
سواعدهم موثقات الزنود | ولكنها عدة للهبوب
يجرون أيامهم خلفهم | وذكرى شقاوانهم والكروب
عبير الرياح كلانا رقيق | فغنوا وسلوا عبير الخطوب (٢)

ولنا أن نتساءل ‥ هل أدت ‥‥ قصائد محمود حسن اسماعيل دورها ؟

وهل تشكل رؤيا اجتماعية متكاملة ‥ أم هى مجرد قصائد مهومة رومانسية تغنى عذابات وجراحات قطاعات اجتماعية معينة ارتبط بها فى نشاته والواقع ‥ أن كثيرا من النقاد يقولون أن قصائد أغانى الكوخ وما بعدها فى أين المفر ‥ وهكذا أغنى ‥ الاجتماعية ‥ كانت نزعة رومانسية تكتفى بالبكاء ولا تتخطى ذلك الأمر السلبى الى واقع جديد تتغير فيه

---

(١) « ريد » ص ٢٠
(٢) أين المفر ص ٢٠

الحياة وان صدقت هذه النظرة فليست صادقة تماما ٠٠ لأنه يكفى ان الشاعر غامر فى هذا المجال ٠٠ وانفلت من أسر ذاته وأطلق الشرارة الأولى فى ساحة التعبير وبناء الوعى الجديد بمضامينه الجديدة ولغته الحية وصوره الناميه ٠ فى الوقت الذى لم يجرؤ فيه شاعر من معاصريه على الخوض فى هذا المجال الاجتماعى الخطير خوفا من السلطة ٠ أو فقدا للوعى الاجتماعى الكامل وفى كثير من هذه القصائد نلمح روح التوثب والثورة والتغيير وليس فقط النواح والدمع والحزن ٠

واستطيع ان اقول ٠٠ ان القصائد أدت دورها فى الوسط الفنى وتأثر كثيرون بمحمود حسن اسماعيل ٠ فى هذا المجال ٠ وان كان دورها فى وجدان الشعب ظل ضئيلا فذلك يرجع الى التكثيف فى الصور وغرابة اللغة وليس هذا عيبا فى الشاعر وانما عيب فى الجماهير ووعيها المتداعى المنهار وأميتها الثقافية ٠ وقديما قيل لأبى تمام ٠٠

لماذا لاتقول ما يفهم ؟ فقال ٠ ولماذا لاتفهمون ما يقال ؟

وليس شاعرنا هو الوحيد فقط فى الوقوع فى هذه المشكلة ٠٠ فهنـاك شعراء كثيرون من امثال أبى شادى وهـــو زعيم المجددين وغيره وقعوا فى الخطأ نفسه فقد كان الأخير كانت نظرته رومانسيه مجنحة ليس فيها من الواقعية شىء ولم تتعمق قصائدهم فى وجدان الشعب ولم تبن وعيهم من جديـــد ٠٠٠

ومهما يكن فى شىء فان الشاعر بدأ رحلته من نقطة ثم انتهى الى افق لايمكن حصره فيه عاش ازمة القرية المصرية ورقها ودخانها ثم انتقل الى رق ودخان أكثر كثافة فى المدينة هو رق الانسان المضغوط عليه والمطلوب منه أن يزيف وجوده ومع ان هذا الرق كان ليس وترا فى نفسه اول الأمر الا انه سرعان ما امسى هذا الوتر مشدودا فى الانسان ٠٠ كل الانسان ٠

القيتنى بين شـــباك العذاب وقلت لى غن

وكل ما يشجى حنين الربـاب ضيعته منى

وخطا النـاس لا تسير ولكن — نوحها في الطريق يهذى صداه

تتلاقى جنائزا لـم يعـد فيـ — ـها لوجـنـه الفنـاء الا رؤاه

عشش الـرق فى دجاها وزنت — عتمة الليل من دواهى أسـاه

وشكت شـيبة السلاسل حتى — عشق القيد سخطها واشـتهاه

على أن هذا لايعنى أن الشاعر متصالح مع الانسان فهو يخافه ويتوجس منه ٠

* وهو حين يقوم برحله فى وجوه الناس وراء الوجوه المستعارة وهى تزيف حقيقة الانسان ينتهى الى ما يدين هذا الانسان وراء العديد من الأقنعه التى يتستر وراءها ٠٠

وهذه نزعة اجتماعية أخرى توضح لنا مدى نضوج الرؤية الاجتماعية عند شاعرنا فهو يرسم صورة نقدية ساخرة رافضة متمردة لستة وجوه ٠

٠٠ وهـو فى معاملته مـع الناس ٠٠ كشف لثامهم ٠٠ وأقنعتهم ٠٠ ففيهم الخائن الذئب

٠ فلم ألق الا آدميا يسـوقه — بجنبيه ذئب مستعار المخالب

٠ وفيهم المنافق الذى ٠٠

يجارى وجوه الناس فى كل نظرة — ويسـرب فى قيعانهـا كالثعالب

٠ وفيهم المخادع المرائى الذى ٠٠

٠٠ تعمى على مرآته فهو صوبها — رؤى صدا على الزجاجة هـارب

٠ وفيهم الجهول المتعالم الدعى الذى ٠٠

محى سـمته ضب الغـرور فأنفه — كرمة طير كففت بالطحالب

٠ وفيهم المتستر وراء الدين وهو الآثم الفاجر الذى يقول عنه الشاعر

تهاويت فى أنواره فاذا بهـا — كهوف معاصر، بانعاب الذوائب

• ونقيهم الواشى الذى هو ••

حزين على الأسرار يلعق طيفها	كذئب غريب القلب تحيران ساغب
يتزحف كالثعبان اشواق سمعه	لتستل ما تهواه من كل جانب

ان هذه المشاهد المثيرة تؤكد نظرة الشاعر الواعية ورؤيته الاجتماعية للأشياء •• للناس وتجاوبه مع الطبقات الكادحه البسيطة وتحمسه لأرزاقهم وتقويمه لعاداتهم وسلوكهم ••

وموقف « محمود حسن اسماعيل » من الريف وتصويره للقرية المصرية مشخصة فى قريته « النخيلة يذكرنا بالشاعر الأمريكى « جيمس ستيورات » وقد نشر هذا الشاعر ديوانه الشعرى عام ١٩٣٤ م بعنوان « الرجل صاحب المحراث الذى يشبه لسان الثور » وأحدث ظهوره ضجة فى الدوائر الأدبية ، وعد علامة مميزة فى الأدب الامريكى •

•• وقد حدث هذا عندما أصــــدر الشاعر « محمود حسن اسماعيل » ديوانه « أغانى الكوخ » عــــام ١٩٣٦ م • وعد ثورة شعرية فى المضمون والأداء ، رحبت به الدوائر الثقافية وتلقفه النقاد وناقشوه وحللوه ، ومازال هذا الديوان سمة بارزة فى طريق تطور الأدب الحديث •

•• ونحن فى كل سطر من سطور شعر « جيمس ستيورات » نشم رائحة الأرض والزرع • وأعواد الذرة لاتفتأ تتماثل مع الريح أمام أعيننا ، ونكاد نرى رأى العين موطنه « جرينب » « بولاية » « كنتكى » بتــــلاله المعشبه الخضراء التى تنتشر فيها أشجار الصنوبر وأشجار البلوط • كذلك نجد فى الشخصيات التى يعرضها نماذج تزخر بالحياة حتى بعد أن ووريت التراب ، وتتجمع فيها خصائص النفس البشرية من خير وشر ، ووفاء وغـدر ، وقوة وضعف ••

•• وقد ولد هذا الشـــاعر سنة ١٩٠٧ لأبوين فقيرين فلاحين بالقرب من « جرينب » بولاية كنتكى

•• وحين نراجع ديوان أغـانى الكـوخ نعثر على هذه القيم الفنية والشعرية ، وبخاصة فى الحوار الذى دار بين السنبلة والنورج ، والقصائد الرمزية التى وصف فيها كائنات الريف الطبيعية •

•• فهل التقى الشاعران ؟ هل قرأ • محمود حسن اسماعيل هذا الديوان فتأثر به • وغنى لقريته هذا الغناء الحار الصادق • ؟

•• اننى أجزم أنه لم يقرأ الديوان ، ولم يتأثر بالشاعر الأمريكى « جيمس ستيورات » ولكن الروح الفنية ، والقبس الشعرى المندلع فى نفس الشعراء يوحد بين خواطرهم ، والصدق الشعورى يذيبهم فى تجاربهم فى وحدة كونية شاملة •

يقول « جيمس ستيوارت » مترنما بأنشودة طويلة يودع فيها موطنه الريفى الساحر • بتلاله وجداوله وطيوره ، وفاكهته • وزهوره ، وشمسه وسمائه ، وربيعه وخريفه ، وصيفه وشتائه ويرى بعين المستقبل يد المدينه تمتد الى الريف فتحيل جماله قبحا •

يقـــول :

•• كنت أحب الأرض ، وأحب أن أحفر فى الطين
•• كانت الأرض ملكا لى ، وكنت أنا أنتمى الى الأرض
•• كنت أحب أن أضع يدى فى الطين وأعمل
وانه لمن النبل أن نعمل فى الأرض •
•• لقد عرفت رجالا كانوا يفرقون من الكوخ الشريف
رجالا طفيليين يعيشون بلا ادراك
أيديهم نظيفة ، فهم يخافون أن تتسخ
لم يزرعوا فى الفصول ولم يحصدوا
كنت أحب أن أعمل فى الأرض •
ولعلى من أجل هذه الغاية

قد ذهبت لكى الاقى الليل
ذلك الليل الذى يأتى فى صورة صديق
حين يرقد المرء أنهكه الاعياء
فلم يعد قادرا على العمل أو النضال
ان الأبدية لانهاية لها
ومن الخير أن تكون الأرض
هى الصديق الذى يحتضننا (١)

ثانيا ... « الرؤية السياسية »

هناك فترة انتقال فنيه فى حياة الشاعر .. هذه الفترة تقع فى المسافة بين الاحساس برق القرية والاحساس برق المدينة .. وفى هذه الفترة أشرف الشاعر على . عالم كبير غاص فيه الى ركبتيه . حيث عالم السياسة الذى كان يخطتف البريق اختطافا من كل انسان للاستفادة منه .. ولكن الشىء الذى لاينسى هو أن محمود حسن اسماعيل كان اكبر من هذا العالم فقد تجاوزه ورفع جناحيه الكبيرين عنه ثم سرعان ما أصبح صوتا مستعرضا تهدر فيه معارك العروبة وأفراح الاسلام (٢) . فابتدأ من عام ١٩٤٨ يحتضن قضايا الشعب فيتحدث عن الجلاء الكاذب وتجبر الاقطاع والحفلات الراقصة باسم البر ويتحدث عن معارك الحرية فى القناة والجزائر والمغرب ثم يهدر بغناء حار من كل قلبه لثورة ٢٣ يوليو .. ويتابع انتصاراتها وان كان لاينسى دائما قضايا العروبة وأيام الاسلام فما اكثر وما أرق ماغنى للرسول عليه السلام وما أجمل ماشدا لاقبال والكواكبى والمعرى .. وهو لا يفصل بين العروبة والاسلام فى شعره وانما يعدهما شيئا واحدا ووجودا واحدا (٣) ـ والشاعر الذى عاش مع الأحداث ورأى فجر الثورة

---

(١) ارجع الى مجلة « ابداع » عدد أغسطس سنة ١٩٨٣ مقال « الرؤية الاجتماعية فى شعر محمود حسن اسماعيل » د . صابر عبد الدايم
وارجع الى مجلة الشعر عدد يوليو سنة ١٩٧٦ م .
(٢) الفكر المعاصر أغسطس ١٩٦٧
(٣) المجلة مايو ١٩٦١

ورأى انطلاقة العرب الكبرى من حقله بعد ما مر عمر الطيف أن يترنح وأن ترن أناشيده وتغنى بلابله ٠٠ وأناشيد الشاعر فى ديوان « نار وأصفاد » هى غير أناشيده فى ديوانيه أغانى الكوخ وهكذا أغنى من أغانى رومانتيكه تتحدث عن الحب والطهر والأحلام الى أغان تنبثق حكماتها من الوهج والشرر وضرام النيران ٠ نيران الثورات التى أضرمها العرب فى وجوه المستعمرين (١) والقضايا السياسية كثيرة ولكن يهمنا ٠٠ أن نعرف موقف الشاعر من عدة مواقف سياسية ومدى وضوح رؤيته الشعرية ـ فى هذه المواقف ٠٠ وهى

(ا) قضية فلسطين

(ب) النكسة المريرة

(ج) موت عبد الناصر ٠٠

(١) موقف الشاعر من قضية فلسطين يتضح فى ديوانه « التائهون » وهى يتسم بوحدة الموضوع كما أشار الشاعر فى الهامش حيث قال ٠ بعض قصائد هذه المجموعة مما سبق نشره وأعيد لوحدة الموضوع ٠ وهـو اعتراف من الشاعر بأنه يعنى حتى فى دواوينه ٠٠ أن تكون ذات موضوع واحد مما يدل على اكتمال رؤيته الشعرية ونضوجها ٠

والديوان يعد قصيدة حب الى فلسطين مطولة ٠ متعددة المقاطع منوعة المشاهد ٠ وإن كنا لا نستطيع أن نحدد طعما خاصا للشاعر من قصائده كما نحس ذلك فى الرياح الآتية الينا ٠ من أعماق شعراء الأرض المحتلة الذين علمونا كيف يكون الحرف له شكل السكين مثل محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد ٠٠ وهارون هاشم رشيد ٠٠ .

فالشاعر فى سنة ١٩٣٧ أى قبل النكبة الكبرى ٠٠ نراه يتوجه الى ضمير الانسانيه بزفرة على فلسطين الدامية ٠ وفى هذه الزفرة نلمح التعميم الذى طالما عابه النقاد على الشاعر فهو يتأوه ويبكى ٠ والمسيح يجزع ويهاجم الشاعر بلفور اللعين ويلمع فى دجى التعميم بيتان نشعر أن القصيدة كانت تشرئب وتحث الخطا ليشرق هذان البيتان فى تيهها البيانى ورصيدها المباشر التقريرى

---

(١) المصدر السابق

هانت على البطل المجاهد نفسه   فسعى لخوض الموت يطلب موردا
القى الى اللهب المسعر نفسه   وكذا يكون الحر فى يوم الفدا

* ويتميز صوت الشاعر عن غيره من قوافل الشعراء المجيدة حين يقول

والشرق ويح الشرق نام أسوده   عن ثائر فى القدس ضج وأرعدا

* وتغلب الروح الخطابية على الشاعر فى كثير من الأحيان ويقع فى أسر التقليد ونحس بأنفاس شوقى ٠ ونحن نعيش مع محمود حسن اسماعيل وهو يقول فى صورة اعلامية

فيا أجناد مصر وذاك بعث   أعيدوا مجد واديكم كفاحا
ودكوا التائهين على رباهم   أديروا النصر أقداحا وراحا
وما صقل الشعوب ولا جلاها   ولا أسقى مواردها الفلاحا
سوى نغم الجيوش وقد ترامت   لنار الحرب تمتشق السلاحا (١)

وتتضح رؤية الشاعر فى قصيدته « خيمة البهتان » التى قالها على لسان العربى وهو يستصرخ أخاه العربى من وراء خيمته ٠٠ وان كانت الفكرة تقليدية لكن خصائص الشاعر وروحه ظهرت فيها وبخاصة المقطوعة التى تقول ٠

أخى قد غال ذئب الجوع أطفالى ٠٠ مع الفجر
وبعثرهم جنون السيل بين مداخل الصخر
فلا أدرى لهم شبحا   على نعش ولا قبر
كما كانوا هنا عاشوا بلا مسكن ولا عمر
ظللت النوح ياأبتاه ٠٠ بعض نداك للجمر
فجاء الموت يقفر فاه للظلمات والفقر (٢)

(١) التائهون ص ٥٨
(٢) التائهون ص ٣٦ ـ ٣٧

ويربط الشاعر قضية فلسطين بقضية الوحدة ٠٠ وهذه نظرة جديدة وتقدم فى رؤيته عن قصائد الفترة السابقة فترة النكبة ١٩٤٨ وما بعدها فهو يصور العروبة رافعة يدها بأصابعها الخمسيه وكل بنان له خاصية ٠ وإن كنا لانستطيع أن نحدد خاصية كل واحد ٠٠ الخنصر أو البنصر أو الأحلام أو السبابة المهم اليد متجمعة ٠ وكأنها قبضة الحديد ٠٠

ويد العروبة فى السماء كأنها	بشرى من الرحمن عاد مزارها
فيها مع الأقدار موعد أمة	غضبت وأحزم ثارها ثوارها
فيها مصير عصابة يفنى المدى	والتيه كان وما يزال شعارها
فيها فناء الغاصبين وانه	لنهاية للظالم حان قرارها
فيها فلسطين الجريحة أجهشت	بقضية فى البغى طال حوارها
فيها ليوم الزحف غضبة مارد	يبلى الطغاة المعتدين شرارها (١)

وبعد التهديد بقبضته الحديديه يعلن قراره العام وسط هذه الحشود الضخمة من كتائب الاصرار ٠٠

الوحدة الكبرى طريق نضالنا

للنصر مهما كابدت أسفارها

فيثير الشاعر قضية خطيرة من خلال معالجته لقضية فلسطين وهى قضية الأخوة القومية بصرف النظر عن الديانة ٠ فالمسلمون والمسيحيون سواء فى الخطر وفلسطين مهبط الديانات وملتقى الشرائع ويريد أن يقول لنا بطريقة غير مباشرة ليهب المسلمون والمسيحيون على السواء ٠٠

فلسطين فى الأرض كبر جريح	وترنيمة رددتها السفوح
محمد لاقى عليها المسيح	

---

(١) التائهون ص ٢٦

وردا الى خطوة التائهين
رياح المذلة فى العالمين
وتيه المضلة فى الضائعين
ومهما تواروا بزيف المسوح
ستنستلهم نقمة الثائرين

ومن المشاهد الرومانسية الحالمة التى تؤثر فينا وتدفعنا أيضا لمجابهة الواقع بعيدا عن الضجة والصخب والجلجلة الخطابية والتهويمات الانفعالية والتعميمات الفكرية .. يعطينا الشاعر لوحة للمأساة .. حيث الصمت الكئيب والموت الرهيب والظلام الجاثم على صدر القدس فيهزها من الأعماق وهو يناديها .. قومى الى الصلاة . والصلاة هنا البهجة والازدهار وليست التسليم والخضوع .. مع القدس الحزينة وهى تذرف غضب السماء على رجس المعتدين .

وعادت الطيور فى المساء
فلم تجد فى القبة الضياء
ولاصدى الترتيل والدعاء
فهزت الأوتار بالنداء
ياقدس ياحبيبة السماء
قومى الى الصلاة .. وباركى الحياه
قومى ومهما اشتدت الجراح
فكل ليل بعده صباح
وكل هول بعده سكينه
تمحو ظلام البغى والضغينه
وترجع الشفاه
للشدو والحياه
قومى الى الصلاة .. والترتيل .. والدعاء
ياقدس ياحبيبة للأرض والسماء

وعندما تشب النيران فى جسد المسجد الأقصى ينتفض شاعرنا انتفاضه المحموم والثأر يبرق فى عينيه ولايبكى ولا يتوجع ٠ وهذا تطور فى نظرته للقضية فالقضية لم تعد تحتمل البكاء على الأطلال وفقط وانما نراه يصبح فى اصرار ويرمى المعتدين بقذائف عزمه ودانات اصراره ٠٠٠

وجئت أصلى
ورغم اندلاع الدجى كالبراكين حولى
ورغم الأعاصير ترمى خطاها بسفحى وجرحى
وساحات هولى
اتيت أصلى

ولو هدمت كل تلك القباب
وباتت مآذنها أذرعا لطغاة الحراب
سنمض لمحرابها القدس جمعا تصلى

ـ ٢ ـ

(ب) وتستغرق لحظة الحزن العظيم « محمود حسن اسماعيل » حينما مات الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ٠٠ فيهب مع مواكب الشعراء راثيا عبد الناصر يدفعه حنينه الموار فى قلبه الى عبد الناصر ٠٠ الذى كان يتمتع بتلك القوة النفسية التى جعلت من شعبه يحبه وتبكى عليه شعوب العالم بكاء مرا يوم رحل ٠٠ وهل من التناقض أن السياسة والقداسة يجتمعان فى شخص واحد ٠ لايمكن أن يكون هناك تناقض بين السياسة والقداسة فى الزعيم المصرى ذلك أن سعة الحيلة والخبرة بطبائع الناس ادل على القداسة من قلة الحيلة وسذاجة الضمير لأن القديس الذى يعرف العالم صاحب فضل فى قداسته ٠٠ اما القديس الذى لايستطيع أن يعالج شئون العالم فان

---

(١) صلاة ورفض ص ١٠٤

القداسة عنده فضيلة اضطرار (١) ·· وقد رثى كثير من الشعراء عبد الناصر وكل منهم له نظرته الخاصة فى رثائه ·· فمثلا محمود درويش يرفض قداسة الشخصية ·· فهو معنا فى الحياة وبعد أن يموت لايموت الشعب ولا ينتهى بل يستمر فى مسيرته الظافرة وهى نظرة واعية ·· ناضجة

نعيش معك

نسير معك

نجوع معك

وحين نموت نحاول أن لا نموت معك

ففوق ضريحك ينبت قمح جديد

وينزل ماء جديد

وأنت ترانا نسير ·· نسير ·· نسير (٢)

والشاعر صلاح عبد الصبور يرفض فكرة موت عبد الناصر وانما هو يعيش فى شعبه بآثاره وموته جمع الملايين حول نعشه ومصر مستمره ··

هل مت ·· ؟ لا ··

·· بل عدت حين تجمع الشعب الكبير وراء نعشك

اذ صاح بالالهام ··

مصر تعيش ·· مصر تعيش ·· أنت اذن تعيش ··

·· فأنت بعض من ثراها ··

بل قبضة منه تعود اليه ··

تعطيه ويعطيها ارتعاشتها ··

وخفق الروح يسرى فى بقايا تربها ونها دماها

مصر الولود نمتك ثم رعتك ثم استخلفتك على ذراها

ثم اصطفتك لحضنها ··

---

(١) عبد الناصر وشخصية مصر ص ٨٧

(٢) وداعا عبد الناصر ص ١٣٨

٠٠ لتصير أغنية ترفرف في سمائها (١)

وقد رثيته بقصيدة عنوانها « في لهيب النضال » اشارة الى ملاحم التحرير التى خاضها عبد الناصر ٠٠ ومازالت مشتعلة تقتبس من نار روحه مشاعل الخلاص ٠٠ والثأر ٠٠ ومما قلته فيها ٠٠

يارونسنا الريان ان سقطت ثما ... رك فالجذور أصيلة الأعماق

يافجرنا المغسول بالأنوار فى غسق ... الدجى نور انطلاقك باقى

ياقصة ٠٠ حفرت بذاكرة الزما ... ن ولم تزل تروى بدون نفاق

ألقيت نفسك فى لهيب خلافنا ... حتى احترقت وكنت أنت الواقى

وسقيتنا نور الخلاص ومت من ... ظما اليه وأنت نعم الساقى

فتفوحت دنيا الفداء بحكمة ... زفت اليك على صدى الأشواق

أفنيت نفسك كى تخلد أمة ... والخلد نفس فنائك الألاق (٢)

ففى القصيدة اشارة الى لحظة المجد العظيم ٠٠ حين أوقف عبد الناصر نزيف الدم الذى انفجر فى جسد الأمة العربية حين اشتعلت المذابح فى الأردن وراح ضحيتها خمسة وستون ألفا من الفلسطينيين وأعاد عبد الناصر الحياة الى الأمل العربى ٠٠ ولكن بعد أن فقد فى سبيل العودة الحياة ٠٠ وكان فناؤه ألاقا لأنه الخلد نفسه ٠ فالموت خلود حين يقترن بغاية سامية وهدف كريم فماذا قال محمود حسن اسماعيل فى هذا الموت العظيم ؟ وهل كان أصيلا فى رثائه أم انه استمد معانيه وأفكاره من القوالب الجاهزة والتراث الضخم فى هذا الفن ٠٠ ؟ لا ٠٠٠ اننى أقول ان قصيدته فى عبد الناصر لمست فيها نبضا جديدا فى التعبير والبساطة والرؤية الشعرية المحددة فهو مرتبط بقضية الفلاحين والفقراء منذ صباه ولكنه كان يغلب عليه الطابع الرومانسى والاستغراق فى التهويمات والتعميمات ولكنه فى هذه القصيدة يحدد ما يريد

---

(١) وداعا عبد الناصر ص ٥٧

(٢) جريدة الطلاب نوفمبر سنة ١٩٧٠ م .

أن يقول .. يموت الضحى . والضياء العميق الذى يثه لايموت
مصابيحه لا تحول بخفق الجفون

يموت الزمان وما شبه فى المدى لا يموت
تعاليت .. ياَمالك السر .. !!
سمع الملايين مازال يصغى لصوته
ويجهش بالدمع حين يراه بصمته
على خطوة الكادحين
وفى أوجه الشرفاء
وفى نظرة الفقراء
وفى كل فأس بكف السنين
وفى كل صفصافة كفكفت
بأوراقها أدمع المتعبين
حيارى التراحيل .. أهل المعاول ...
.. والدمع .. أهل الأنين (١)

وفى معرض التقييم ـ لابد أن نتساءل لماذا كتب محمود حسن اسماعيل هذه القصائد السياسية .. ؟ هل أحس أن المناسبة مفروضة عليه ولابد أن يقول .. وبذلك تكون جامدة خامدة الانفعال وهذا لم نعهده على شاعرنا الا فى ديوان نار وأصفاد .. فقد بلغ محمود حسن اسماعيل شابا ذروة نتاجه الشعرى .. فى « أين المفر » (١٩٤٨) ثم أخلد الى صمت أو ما يشبه سنوات الصمت .. جمع بعدها أشتاتا وبقايا من شعر المناسبات فى نار وأصفاد (١٩٥٩) .. واذا كان شعر المناسبات قد غلب على قصائد « نار وأصفاد » فيجب أن لاننسى أن الفترة التى نظم فيها هذا الشعر كانت حافلة بالأحداث القومية وأن مع الخطب المنظومه التى دفع بها الشاعر فى خضم هذه المناسبات

(١) وداعا عبد الناصر ص ١٢٧ .

صورا شعرية ممتازه ولو أنها قليلة مثل « أرجوحة الظلم » التى نظمت فى سنة ١٩٤٨ · ولكن هذه النبضات من روح الشعر الحقيقى لاتنفى أن الخطابة كانت قد أصبحت الطـــابع الغالب على الشـــاعر فى الفترة التى نتحدث عنهـــا (١)

وان كان هذا رأى الدكتور شكرى عياد فهو رأى فى فترة خاصة كـــان للشاعر العذر فيها ·· حيث كان الشـــاعر فى مرحلة انتقـــال ·· يعانى من أمسه الموسوم برق القريه وحاضرة الواقع تحت رق المدينة وغده المقهـــور بأغلال النفس الحائرة وشعر المناسبات ليس وصمة عار فى جبين الشـــاعر اذا اتسم بالأصالة وظهرت فيه شخصية الشاعر · وبعد عن الخطب المنظومه

ومحمود حسن اسماعيل · لم أشعر أن هناك مناسبة مفروضة عليه لتهم الا فى ديوانيه ·· الملك ·· وهكذا أغنى ·· ففيهما نرى الشاعر محكوما بسلاسل ذهبية وضعها حول حول رقبته الملك فتوهم أنها وسام الخلود ولم تكن كذلك فى الحقيقة ·· وانما كانت هاوية الضياع التى كاد يقبر فيها فن الشاعر الخالد ·· وقمة الوهم التى كادت أن توأد بين متاهاتها عبقريته الفذة ولعل ذلك الأمر هو الذى دعا · مصطفى السحرتى الى أن يقول عن شاعرنا وديوانه الأول خير فى اعتقـــادى من الثـــانى من الوجهـــة الموضوعيـــة لأن ديوانه الثانى مشحون بقصائد مدح لنفسه ولبعض رجالات مصر وذم الآخرين مما يدل على روح وصولية لاتليق بالشباب الصاعد ذى المبادىء المبلورة (١) ·

وقد تحدث الدكتور مندور فى كتابه الشعر المصرى بعد شوقى عن هذه القضية وأدان فيها الشاعر فقال · وما محمود حسن اسماعيل صاحب هكذا أغنى وأغانى الكوخ · وأين المفر ، والملك · فانه شاعر وحشى الطاقة الشـــعرية عنيفها ولكنه فيما يبدو غير مالك لزمام نفسه ولا مسيطر عليها ولذلك رأيناه يبدأ فى ديوان أغانى الكوخ بداية رائعة بشعر قوى فيه جدة الانفعال وجدة

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٢١٤

التعبير .. ولكنه لم يلبث أن سيطرت عليه نزعة توحي بأنه قد فقد الثقة في نفسه وفي قدرته على أن يحقق بقيمته الذاتيه مما يرنوا اليه من طموح واذا به يبدد طاقته الشعرية في المديح لبعض ذوى السلطان اول الأمر مثل الزعيم الحر الدستورى محمد محمود باشا ثم لايلبث أن ينقل طاقته الشعرية المهدرة الى مدح فاروق وأمجاده وتخصيص ديوان كامل له .. » (١)

وقصائد محمود حسن اسماعيل السياسية تمثل في رايي واعتقادى وجهة نظر عامة وليست خاصه .. وجهة نظر متجاوبة مع أرواح الملايين من الشعب العربي والاسلامى فهو بها ينتمي الى العروبة والاسلام فقط وليس الى اى عقيدة كاليمين أو اليسار .. وان كان شعراء الموجة الجديدة .. أمثال صلاح عبد الصبور • وأحمد عبد المعطى حجازى .. والبياتى • وبدر شاكر السياب ، الخ .. هذه الكوكبة من الشعراء الجدد .. ينتمون عقائديا الى الماركسية بدافع من حب الخلاص من الرأسمالية والاقطاع والامبريالية العالمية .. ولذلك نراهم يتجاوبون مع الطبقات الكادحة ويدعون الى الثورة وتعميق المد الاشتراكى في نفوس الشباب ويدعون الى الأدب الواقعى ، والواقع والواقعيون • جميعها تثير مشكلة الأيديولوجية في الشعر وليس الالزام أو الالتزام الا محاولات مخففة للدخول الى جوهر المشكلة • فالواقع لم يكن قط الفئات الكادحة من المجتمع .. والواقعية ليست مطلقا هى الانشغال المستمر بالدعوة الى الاشتراكيه والواقعيون من المستحيل أن يكونوا من حملة ماكينات التصوير أبيض وأسود غير أن الاتجاه النقدى .. الذى دعا نفسه واقعيا هو الذى أشاع هذه البلبلة .. في المفاهيم الفنية _ وأفسد على الشعراء تفهمهم لأغوار الواقع وأبقاهم على السطح بعيدا عن الأعماق (٢) •

ومحمود حسن اسماعيل كما قلت لم يدع في يوم أنه ماركسيى وان كان هو من الرواد الذين تعاطفوا مع الفلاح والطبقات الكادحة على وجه العموم ..

---

(١) الشعر المصرى بعد شوقى ص ١٠
(٢) شعرنا الحديث الى أين ؟ ص ١٧٤

فقد استمد نايه أصدق ايقاعاته المتجاوبة مع الواقع من عويل السواقى وهى تذرف حسرة الانسان لتراب الكوخ ومن اطراق الوجوه الطيبة التى طحنت أباءها مسيرة الظلم على أيامها الصابرة وجرعتها غفلة الرق وطمأنينة الهوان

ومن الضجر القانت الذى أخنى على كاهل الفلاح بالفة الفقر والقهر وقناعة الحرمان ..

ومن أعماق ليل هذا السجن المخنوق الأوار فى صدر القرية (١)

وتمضى الأيام .. وتتغير ملامح المجتمع .. ، والناى مازال اصغاء الحقيقة وترنم الذات وحداء الانسان . غنى جراح الكوخ ومظالم أيامه وامتدت أنفاسه حتى سمع أصداءها تناغم صرير الحق على أعتاب ليله الطويل . (٢)

وتظهر نزعة الشاعر الواقعية حتى فى حديثه عن محمد ﷺ مما يدعم رأينا القائل . أنه فى عقيدته ينتمى للعروبة والاسلام ومحمد هو الذى جمع الكادحين حوله .. والبسطاء والمضطهدين ..

يا أول نور ..
شرب الكون رحيق العزة لما سار على شطئيه

رفض الظلم ..
.. وأوقد نارا لاتتحرك من جنبيه

رفض خضوع الحق لباغ ..
.. غنى الحق وحلق بالأغلال عليه

رفض خضوع المظلومين ..
.. وطيبة وجه المبورين

---

(١) أغانى الكوخ ص ٨
(٢) المرجع السابق ص ٨

رفض الرزق اذا لم يأت الى الخطوة ..

.. غير هجين

رفض اللقمة ..

.. ان لم تأت حصاد الغرس ..

.. لكل يمين (١)

– ٣ –

(جـ) وعندما تحدث عن النكسة عام ١٩٦٧م لم يجلس الشاعر ويضع وجهه بين ذراعيه ويتحسر ويبكى . أو يخيب القنوط واليأس فى الناس ويجعل النصر مصباح علاء الدين أو العلم الأمريكى الذى وضع على القمر على نحو ما فعل الشعراء الآخرون حينما استبد بهم اليأس وفقدوا كل أمل فى الخلاص

.. واغرق الكثيرون منهم أنفسهم فى التشاؤم .. وكنت من الذين سيطرت عليهم هذه النزعة السوداوية .. فقلت من قصيدتى « نقوس على جدار الصمت »

حبيبتى : فتشت عن وجهك فى معاجم النبؤه

فلم يفاجئنى سوى الموت أو الحياة

عبرت ذاتى والتقيت بالجموع فى مفاوز الألم

ولم تزل وئيدة خطاك

وقد سئمنا الانتظار والوعود والصلاة

وكل ذرة تئن من توقف المسير

وكل روضة تنادى طالب الثمار .. أين سلتك ؟

وكل غلة تنادى حان موعد الحصاد أين أين منجلك ؟

وكل معول ينادى أى هذا الكف .. أين قبضتك ؟

---

(٢) نهر الحقيقة ص ١٩٣

وأنت ياحبيبتى أميرة تغرق فى سباتها العميق ..
تحلم بالسكون فى ظلال كرمة النجاة
حصانها من الخشب
وسيفها من الحطب
ولا تريد غير أن يقال .. ياأميرة العرب
فارسك العملاق أحدث العجب
تمد صدرها افتخارا وهى تعرف أنه من السباق قد هرب (١) .
ولم تنم مصر .. ولم تحلم بالسكون .. ولم يكن سيفها من الحطب
ولا حصانها من الخشب . ولم يهرب فارسها من السباق ..

وانما كان سكونها نارا تحت الرماد . وهدوءا يسبق العاصفة وانطلقت عملاقة شامخة فى العاشر من رمضان ترد كرامتها على جثث الضحايا ووسط بحار الدم وملاحم البطولة ..

وصدقت نبوءة محمود حسن اسماعيل حين رفض الهزيمة بكل أشكالها !!!

لن أتركها وخزة عار فى طعين
لن أتركها .. يطرق منها أى جبين
ترفض أرضى
يرفض عرضى
يرفض كبر فى طعين
يرفض وجهى
يرفض لهب تحت جراح القلب دفين
يرفض كل وجود حولى .. كل حراك .. كل سكون

---

(١) انظر نص القصيدة بديوان المسافر فى سنبلات الزمن د . صابر عبد الدايم مطبعة الأمانة سنة ١٩٨٣ م

يرفض أن يحياها قدراً

لم تسحقه رياح جنون ...

.. حتى يصعق يوم الثأر خطاها السود بكل بغيه

حتى ينفض حقد الرمل ..

.. صداها الآثم من أيديه

حتى يرفع وجه القدس ..

.. أذان النصر الى حاميه

أرفض !!

حتى أن أتوهم نعش خيال ..

.. عبرت فيه !!!

« الرؤيا الصوفية »

.. ان الدين شعاع يتغلغل فى أعماق الروح .. فيبث فيها ضياء الحقيقة والحب ويحيلها واحة من الصفاء والطهر .. ويطير بها فى معارج الخلود حيث اللازمان واللامكان .. حيث الأبد .. والأزل ، والبقاء ، والدين فطرى فى النفوس ينشأ مع الطفل الصغير .. فيمتزج بكيانه ويسرى فى عروقه ... والشعر من أقوى دواعيه الفطرة السليمة .

وهو كلما اقترب من الفطرة كلما ارتفعت درجة حرارة صدقه

والآداب العالمية كلها لا تخلو من الشعر الدينى .. فاذا ما رجعنا الى نشأة الآداب عند مختلف الأمم وجدنا أن العاطفة الدينية كانت من أقوى العوامل الفعالة فى تلك النشأة ثم ظلت من أقوى العوامل كذلك فى نماء الأدب وتوجيه جزء كبير منه لارشاد الانسانية وتوجيهها الى سلوك الطريق المستقيم طوال العصور (١) .

والشعراء الأجانب الذين تعمقوا فى الاتجاه الروحى كثيرون منهم ملتون Jon milton وكان من أهدافه ان يعيد الناس الى الاعتبارات السامية ويذكرهم بالغايات النبيلة .. « ومنهم » « هنرى فون » وكان شاعرا صوفيا ويبدو فى نغمته التلاشى الكامل وفكرة الاشراق وهو يمثل الصوفيه الفردية وكل شعره يدور حول هذه الفكرة والرجوع الى الماضى .. والى أيام الطفولة .

ومن هؤلاء الشعراء فى العصر الحديث t.s. Eliot ت . س . اليوت الذى ولد فى أواخر القرن التاسع عشر ١٨٨٨ وبلا نشبت الحرب العالمية

---

(١) العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث ص ٦٠

الأولى ١٩١٤ من «Eliot» بأزمة روحية كبيرة وخرج منها شاعرا دينيا كامل الاعداد وزال مرحه القليل وفقد الثقة بالحياة والأحياء وحل به يأس مميت . وقصائد « الأرض الخراب » ونحن الرجال الجوف » نماذج جيدة لهذا الحزن العظيم . حيث يظهر فى قصيدة « الرجال الجوف » لون من التصوف المسيحى لأن فيه تصويرا لرؤى تجلت أمام الشاعر فى عالم مجهول (١) .

● وفى الأدب الألمانى .. نجد أصداء العهد القديم أيضا فقد أثبت رجال الأدب الألمانى تاثره « جيته » بسفر أيوب فى عمله الأدبى الخالد « فوست » (٢) .

● وفى الأدب الايطالى يكفى أن نشير الى الكوميديا الالهية « لدانتى » وكان صاحب فلسفة فى الهداية والايمان – فالعقل عنده مرشد يهديه الى الطريق المستقيم ولكنه يضل ان لم يسر فى حدود الدين .. وتعاليم الكنيسة ..

● واذا ما رجعنا الى الأدب الفرنسى . وجدنا شعراء كثيرين قد تاثروا بالنزعة الدينية .. وكانت لأشعارهم آثار بعيدة المدى فى الحياة العامة ولذلك نرى « كورفى » corneille وراسين raciene وموليير moliére ولافونتين « يهدفون فى مؤلفاتهم الى اصلاح الانسان نفسيا ومعنويا والى حب الخير والايمان .. والمثل العليا ليستقيم سلوكه .

● وفى القرن التاسع عشر بدا رد الفعل واضحا .. اذ اشمأزت النفوس من موجة الالحاد السائدة .. فظهر الشعراء تباعا مثل « لامارتين » وفكتور هوجو وهما اللذان قد أعادا الى الأدب بعامة والشعر بخاصة الايمان الراسخ بالله تعالى .. والاقتناع العقلى .. والوجدانى بوجوده . (٣)

---

(١) العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث « بتصرف »
(٢) قصة الأدب فى العالم ص ٨٩
(٣) العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث ص ٦٧

٠٠ وكذلك حدث فى الأدب العربى مثل ذلك التيار ، فحسان بن ثابت شاعر الرسول بمدائحه العظيمة ودفاعه عن الرسول ومعركة الاسلام وشعراء الشيعة والخوارج تميزوا بنزعتهم الدينية الصادقة ٠٠

وامام المادحين البوصيرى ٠٠ ببردته الخالدة ٠٠ وهمزيته السمحاء وفى العصر الحديث ٠٠ نجد البارودى بقربته التى بلغت ٤٥٠ بيتا ٠٠٠ وأحمد شوقى بقصائد الغر فى مدح الرسول ٠ نهج البردة ٠ ابا الزهراء الى عرفات الله ٠٠ وغيرها من القصائد كثير ٠٠

والقصائد التى تقف فى رحاب الكون تضرع الى الخالق ٠ والخطرات الصوفية التى لحناها عميقة الى مالا قرار عند محيى الدين بن عربى ٠ والحلاج ٠ وأبو حيان التوحيدى ٠٠ والخيام ٠٠ وكبار المتصوفة فى العصور المختلفة (١) ٠٠

● ويطول بنا الحديث اذا استعرضنا المعالم الدينية فى الشعر الحديث ويبعد بنا الاسهاب عن الغرض الأصلى ـ وان ما قلته كان مقدمة وتمهيدا لأن الشاعر غير منفصل عما قلت ٠٠ فهو قد احس بأزمة روحية فانطلق يعبر عما يجيش به صدره يبغى التحرر من أسر النفس ونار الأصفاد ويدفعه حنينه الملتهب لمعرفة الحقيقة واشواقه الظمآى لكأس المعرفة ٠٠ وثورة نفسه العارمة للاهتداء الى السر العميق ٠

وفى معالجتى للرؤيا الصوفية عند محمود حسن اسماعيل ٠٠ سأعالج النواحى الآتية ٠٠

(ا) مدائحه للرسول عليه السلام

(ب) مناجاة الذات العليه وهو فى طريقه الى النور

(ج) محاسبة النفس والبحث عن الحقيقه ٠٠

---

(١) انظر كتاب « الأدب الصوفى : اتجاهاته وخصائصه للمؤلف وكتاب « القيم الاسلامية فى الأدب العربى للمؤلف

(أ) « مدائحة للرسول عليه السلام »

ان كان الشعراء ينظمون فى مدح الرسول قصائد كثيرة فكثير منها لايرقى الى مستوى الشعر الحقيقى مما يفقدها روح الأصـــالة الحقيقية والتجربة الصحيحة البكر • وان محمود حسن اسماعيل لم يكن كذلك فى يوم من الأيام فانه الشاعر فى كل أحواله •• وهـو يبدأ ديوان نار وأصفاد • بقصـائد عدة عن الرسول عليه السلام ووضع لها عنوانا « نبى الحرية » وهى يمثل القسم الأول من الديوان وتعد هذه القصائد قصيدة مطولة تشمل على عـدة قصائد وتبلغ ٢٠٥ مائتين وخمسين بيتا والقصائد : قصه ظلام ، جنازة الوثنية ، معجزة العنكبوت ، الفارس المندحر ، نشيد الغار ، النور المهاجر ، وقد لخص فى الأولى تاريخ العقائد السابقة الى أن انبثق النور المحمدى . وأدار فى الثانية حوارا طريفا بين الأوثان ، ثم صور فى الثالثة نسيج العنكبوت على فم الغار وتعشيش الحمـامتين وفى الرابعة « خيبة سراقة » فى ادراك النبى ﷺ وفى الخامسة نشيد على لسان غار حراء وفى السادسة قصة الهجرة فهى قصائد متسلسلة فى فكرتها ولذلك تعد عملا واحدا بعنوان واحـــد هو (نبى الحرية) •

وفى شعر محمود حسن اسماعيل نحس بالشاعر الذى لا يعنى بنقـل الألفاظ أو سرد الأحداث وصوغها شعرا بل ان الشاعرية تغلب دائما وتبرز واضحة فى شعره • انه بعد أن يصور ظلام الروح والقلب يهتف من أعمـاق أعماقه ••

رب هذى مضـــارب الجاهليه　　　خيمت فوقهـا العصـور الشقية

جاءها الزمان يجتـــر عيـــه　　　قـادم فى خطاه فجـر البريـه

وبكفيـــه نجـوة للبشـــريه　　　من قرون صبت عليها الخسـارا

قيل بشرى السـماء قالته محمد　　　فاكيت أوثانهم وهى تعبـــد

واستجارت نيرانهم وهى تخمد　　　وتهاوى ايوان كسرى الممرد

وتهادى من سـدرة الله فرقـــد　　　[illegible]

ومع أول هزة للأصنام وهى تتهاوى أمام النور الجارف يوم مولده الخالد نرى محمود حسن اسماعيل يتخيل باحساسه الشاعر أسطورة تمثل هـذا الفزع الذى أصاب الأصنام • وهو لون من التجديد لم يتكرر عند شاعرنا وياليته اكثر من الأساطير واتجه الى المسرح الشعرى ••

آه لو فعل لأصبح من أعظم الشعراء لغة وفنا وفكرا •••

والشاعر يرسم مشهدا رائعا للأصنام ويدير حوارا فنيا بينهم حينما ظهر نور محمد فجأة وهم غائبون فى دنيا الظلام والسكون • فهذا مناة يقول للعزى

أعزاى ماذا ؟   فيجيب العزى ••

شعاع الضحى •••   توهج فى البيد غضا قشيبا

● فيرد مناه ، هو النجم خف لنا ساجدا

● فيرد اللات ، حسئت وضليت ظنا كذوبا

هو النور قد رقرقته السـمـاء   يهدى الحيارى ويمحو الذنوبا (١)

وما أروع المشهد المسرحى الذى رسمه الشاعر للغار وابطاله العنكبوت الحمامتان • الثعبان • ولو جعل النبى وأبا بكر من أبطال المسرحية وجعلها عملا متكاملا لأدى غرضه الرائع وأمتعنا بفنه الخالد ••

فالعنكبوت يغنى :

فى سـبيل اللـه دورى   ياخيوطـى فى الأثيـر

قـد وهـى بيتى ولكن   صـار محـراب العصافير

بالذى أخفى من الأنـوار   فى وجـه البشـير

وهنا تقول الحمامة لأختها

أختـاه مـاذا دهـانا   فـلم نعـد فى حمـانا

---

(١) نار وأصفاد ص ١٨ ـ ٢٢

أختاه ماذا ؟

الحمامة الثانية ..... رويدا	فقد ضللت البيانا
لذلك الغار جئنا	نلقى عليه الأمانا
ففيه هالة نور	تفجر الايمانا (١)

ويتابع محمود حسن اسماعيل موكب الهجرة بلحن قدسي يهز الأعماق

سار على البيد هز الكون مسراه	صلى عليه وحيا نوره الله
شق الصحارى فحيته سباسبها	وأوشكت برياض الخلد تلقاه (٢)

وفي ديوان « نهر الحقيقة » يتطور فن الشاعر وينمو وجدانه الجماعي ويمزج شعوره الديني بشعوره الاجتماعي . ويخاطب محمدا ﷺ ..

شرب الكون رحيق العزة لما سار على شطئيه

رفض الظلم وأوقد نارا لاتتحرك من جنبيه

رفض خفوت المغلوبين

رفض سكوت المسلوبين

رفض هسيس الرشوة حين تفح وتمرق كالتنين

رفض البسمة حين تزوغ لتخلس صيد الغشاشين

يا أول نور ...

سكب الله النور الأعظم من شفتيه

---

(١) نار وأصفاد ص ٢٣ ـ ٢٦

(٢) نار وأصفاد ص ٣١

عــد لخطانا ٠٠ عـد لهـــوانا

يعد النور لروح الحائر فى كهفيه (١)

(ب) فى طريق النور ٠٠٠.

وتتجلى روح محمود حسن اسماعيل الصوفية المتعمقه فى ديوانيه « قاب قوسين » ، « ونهر الحقيقة » ٠٠ فالأول منهما • يمثل التطور الجـديد الذى حدث فى نظرة الشـاعر وهـــذه المرحلة يمكن أن نسـميها بالصوفية الايجابية ويتضح ذلك من تلك القصائد النفسية والميتافيزيقية التى يضمها الديوان الى جانب ما فيه من قصائد قومية واجتماعية وعاطفية ففى هـــذه القصائد النفسيه والميتافيزيقية نرى الشاعر تجاوز مرحلة الغنائية الرومانسية واستشرف مرحلة جديدة يمكن أن نسميها « الميتافيزيقية الايجابية ، وذلك أن الشاعر قد عالج فى هذه القصائد قضايا النفس الانسانية فى صراعهـــا بين الأرض والسـماء وترددهـا بين الطين والنور ، وتطلعهـا الى الحق ، والتصاقها بالاثم واعتزازها بالحـــرية والاختيـــار ٠٠ وتعـــثلها بالقيـود والجبر ، والشاعر فى ذلك كله لايلجأ الى الميتافيزيقا ليلقى أعباءه ٠٠ ويطرح مسئوليته أو ليريح نفسه ويلوذ بالسلبية ٠٠ وانما هو يتخذ من التجارب الميتافيزيقية مجالا لابراز صراع يعمق الاحساس بقضايا الانسان ، ويسلم آخر الأمر الى غاية ايجابية رائعة هى وجوب العمل والنضال من أجـــل خير الانسان وحريته ومن أجل تشييد عالمه الأفضل (٢).

فالشاعر يتوجه الى الذات المقدسة لا لشىء الا لمعرفة السر فقد استغلق عليه فاستجار بالله من ظلامه

أريد لقـــاء اللــه لا لمتـــابة ... ففى كل سر منه تسكن توبتى

أريد لقاء اللــــه دعـوة حائر ... تلاشت خطاه عند باب الحقيقة

---

(١) نهر الحقيقة ص ١٩٠

(٢) الشعر يونيو ١٩٦

ويصف رحلته فى اسرار الكون وملامح الناس • وأخيرا يذكرنا بسيزيف الصخرة الصماء حينما يعود بخفى حنين ••

فعادت بـلا شيء كأن مدارهـا	دروب من الأوهام فى كل سحنة
نولول من فرط الضلال وتشتكى	ضبابا على تلك العيون البليدة
وتضرع مثلى أن يفاجىء جهلها	من الله ضوء ظـافر بـالحقيقة

وحينما يحس بوخزة الذنب تدمى احساسه وتاره تحرق عواطفـه يستصرخ الاله فى ضراعه خاشعة ••

ربـاه بعض النور قد طم الدجى فى خلدى

واصلت دق الباب حتى كاد يمضى موعدى

وكاد يبلينى سعير الاثم حول موقدى (١)

وفى طريقه الى النور يذرف هذه الدموع بعد ماتاه فى السراب • يرجع الى الله وعلى وجهه شظايا النـدم وكهوف الخطـايا ويتبرأ من نفسـه فى النهاية وينفصل عنها وكأنه عدو لنفسه دائما ••

والقصيدة لون جديد فى تحليل النفس الانسانية وصوت الضمير

رب انى لك عـــبيدت	من ســراب فيــه تهت
والى قــــدس على	من ضـفاف النــور طرت
بعــد مــا جـردت ذاتى	وعن النفس انفصـــلت
رب غفرانـــــك انى	فى ظـــلامى قــد وئـدت

ويشق الشاعر بزورقه لجة الظلام حتى يدعمه الشاطىء ••

---

(١) قاب قوسين ص ١١٢

شاطىء التوبة والضياء • ويصور رحلته الى النور كأروع ما توصف رحلات الروح وكأن الشاعر ذاب فى الوجود الشفاف المشع بالصفاء والمورق بالضياء وكأننى أشعر بالدموع ترطب الكلمات وبرائحة المتاب وهى تفوح من خلال الألفاظ التى لم تستطع أن تعبر عن روح الشاعر كما كان يجب ٠٠ وما أروع التصوير الشعرى وهو يذهب لشاطىء التوبة

وشـــاطىء فى يـــديه   كفـــــارة للخطــــايا
ذهبت يومــــا اليــه   بأدمعـــــى وشـــقايا

ثم يصور الشاعر احساسه بالذنب وأثر المعصية فى نفسه ويهتف

ذهبت يومــــا ونفسي   جريحـــــة تتعـــايا
وللمعـــاصى عـــــواء   مدمـــدم فى الحنـــايا
كأنــــه صــــوت ذئب   تغافلتـــه العشــايا
أو وخـــزة من ضـــمير   للعـــار فيـــه بقـــايا
أو صـــرخة من يتيــــم   تلقفتـــه الرزايــــا
حملتهـــــا وكــــأنى   حمـــلت هـــول المنـــايا

ويمد الشاعر يديه الى النور ويهتف

ربــــاه عفــــوك انى   للنــــور مددت يدايـــــا
نزعـــت اســــرار قلبى   وجئت ألقى اســـبايا
فاسكـــب ضـــياك انى   ظمـــآن ضـــل صـــدايا

وينتهى الشاعر الى الحقيقة الأزلية ٠٠ الحب ـ حب الذات العلية لا لشىء ٠٠ لا لغفران ٠٠ ولا المثابة ٠٠ ولكن لأنه ألا له

غفـــرت أم لـــم فـــــانى   ما زلت أحبوك يا (١)

---

(١) قاب قوسين ص ١١٨

ونحس أن نفس الشاعر الشعرى كاد أن ينقطع فى آخر القصيدة وأن القافية اضطرته الى أن يكرر يا ٠٠ يا ٠٠ ولا يذكر شيئا ٠٠ وأعتقد أن هـذا توفيق فنى غير مقصود ٠٠ فالنداء هنا يتوجه الى جميع المعانى الكاملة التى يتصورها الانسان وهو فى طريقه الى النور ٠ فعدم ذكر المنادى هنا يفسح مجال الرؤيا والتخيل أمام القارىء والشاعر صاحب المناجاة ويستشعر الشاعر لذة الايمان وتنطلق فى نفسه أسراب الضياء الالهى وتنهل الحمد شفاهه الظمآى فيغنى من أعماقه وينادى حبيبه ٠٠

كلما رفرف بالايمان صدرى

وسرت أشواقه الكبرى بثغرى

ثملت روحى من الحب ولانت عند بابك

ورنا قلبى فشاهدت السنا خلف حجابك

قوتى منك ومنها ٠٠ تنهل الحمد شفاهى

ونغنى رب سبحانك دوما ٠٠ يا الهى (٢)

(جـ) البحث عن الحقيقة والثورة على الذات ومحاسبة النفس

ان كلمة السر والنور والرق من لوازم محمود حسن اسماعيل فى شعره فهو الباحث عن السر وهو المشتاق الى النور وهو الظامىء الى الخلاص من الرق ٠ ونشأ ذلك من ثورة محمود حسن اسماعيل على ذاته وطموحه فى معرفة سر الحقيقة التائهة فى بيداء الحياة وانشغال محمود حسن اسماعيل بذاته أدى الى الشعور بأنه سجين ذاته ومن ثم الى محاولة تدمير هـذا السجن والالتحام بسر الوجود الأعظم وهذه نغمة تتردد فى دواوينه كلها ٠٠ وهى من أصدق نغماته وأقربها الى النفس ٠٠

● ان الثورة على الذاتية عند محمود حسن اسماعيل لاتعنى الهروب من الواقع بل محاولة الالتحام بحقيقة روحية كبرى ٠

---

(١) قاب قوسين ص ١٣٥

لهذا لم ينجح محمود حسن اسماعيل فى صياغة شعر واقعى فى ديوانه الأول « أغانى الكوخ » بالرغم من موضوعاته الواقعية وعوض ذلك بالنجاح فى شعره الوجدانى الصوفى ..

● ويمض محمود حسن سماعيل فى البحث عن السر . وانتهى فى ديوان « أين المفر » الى نوع الشعور بعبثية الوجود فالسر الذى طالما منى نفسه بادراكه ينفلت منه دوما ويبقى حيث ان مقطوعته الصغيرة التى ختم بها هذا الديوان « عرفت السر » تذكر فى يسر بأسطورة سيزيف وهى خمسة أبيات فحسب وآبدة من أوابد التركيز الشعرى ..

ولما دهانى السر دارت ونوحت	سواق على قلبى ينابيعها الغيب
وهب الضرير المشتكى وتلفتت	له نظرة يكبو الضياء ولا تكبو
ورف جناح كان فى القيد صارخا	وحلق لاستر هناك ولا حجب
وذور ليل كان أعمى بلا عصا	بهاوية نعش الأفاعى لها درب
وأو مأت حتى كدت أعرف فارتمت	يمينى . وانبى لا أزال هنا أحبو(١)

ويتحدث الدكتور شكرى عياد عن هذه الظاهرة الجديدة عند الشاعر فيقول لا أدرى ؟ هل كانت أطراف من الفلسفة الوجودية قد وصلت الى الشاعر أثناء نظمه لبعض القصائد فى ديوان « أين المفر » كما وصلت اليه أطراف المذهب الرمزى أثناء نظمه لقصائد « أغانى الكوخ » أم كان منحاه الوجودى مرحلة من تطور وعيه الشعرى وصل اليها حين قام الشك بوصفه سمة للعلاقات البشرية ، والقهر بوصفه طابعا للعلاقات الاجتماعية حائلين دون ما كان يطمح اليه من معانقة الوجود فرارا من أسر الذات (٢) ..

واذا كانت الفكرة العبثية تظهر فى عدد من القصائد الكبرى فى اين المفر

---

(١) أين المفر ص ١٧٠
(٢) الكاتب ص ١٣٠

وخصوصا القصيدة الأولى أغانى الرق ٠٠ فان أنغام الشوق الصوفى « حتى الحرمان » المغلف بالنزل لاتزال تتردد فى عدد من قصائد الديوان ومنهـا « الانتظار ، اللحن المقهور ، الزهرة اليتيمة ، نشيد الأغلال ٠٠ ويستيقظ الشاعر من يأسه ويضيق من توهة السر ويذهب القنوط الذى أدى به الى الشعور بعبثية الوجود وها هو ذا ينبعث مرة آخرى فى ديوان « قاب قوسين » ليلتقط السر ويذيعه

سيمر عليكم فى الفجـــر شـىء يتكـــلم كالجمـــر

بحديث منتفض السحر (١)

وهو لا يجد اسما ينادى به هذا السر الا « شىء »

لا ٠٠ لن تسبقنى يا شىء

فلأنت اليقظة والضوء (٢)

وهو منطلق على ذراع الريح

على ذراع الريـــــــح لى مخـــدح مريـــــح

وزورق جـــــــريح

شـــــراعه حـــرق وســـبحه غـــــرق

طـول المـــدى يصـــيح بشاطىء القلق • قلق • قلق(٥)

● القلق الوجودى مرة أخرى ٠٠ ولكنه قلق ممتع خصب ولا بأس أن تباعد السر فهناك دائما الأمل فى رنوه منه ٠٠

رب سـحر الجمـال شـــب فى جـــــانبى

---

(١) قاب قوسين ص ١٤٧

(٢) قاب قوسين ص ١٤٩

(٣) قاب قوسين ص ٢٠١

أينمــا ملت مــال بلظــاه العتــى
فطلبت المحـــال من زمــانى الشقى
واذا بالمـــآل حفنة فى يــدى
من رفــات الظنون وهشــيم الغصــون
رب تمضى الســنون وليكن مـا يكــون
حين تــرنو الى

ومع أن « السر والشىء » فى هذه الأبيات يبدو موجودا ميتافيزيقيــا متساميا ٠٠ فان الشاعر يصــارحنا فى مقطـوعة « أنا السر بأنه فى طــوايا النفوس يخفيه برقع ٠٠

وحقيقة « السر » الذى ينشده محمود حسن اسماعيل ماثلة فى الحياة والأحياء فى مظاهر الوجود المتغير ٠٠ ولاتناقض بين هذا القول وبين وصفنا لمحمود حسن اسماعيل فيما سبق بأنه شاعر صوفى فالايمان الصوفى يختلف عن الايمان الميتافيزيقى ٠ الايمان الصوفى نفسى محض لايضع المطلق فــوق الظواهر بل يلمحه من خلال الظواهر من خلال التجارب الحيوية ويغوص اليه فى أغوار الذات ٠

ومحمود حسن اسماعيل الشاب كان يلامس موجودات الطيف فيهتز كأنما سرى فيه تيار كهربى ينتظم الموجودات كلها وكان يتخذ الغزل سلما الى فناء ذاته فى المطلق ٠٠

● أما محمود حسن اسماعيل فى قاب قوسين فانه يفتش فى أغوار النفوس ويهتك أستارها بلا رحمة لأنه يبحث هناك عن السر وأول ما يبدأ بنفسه ٠ فقصائد مثل « أنا والنفس والطريق ، وعاشقة العنكبوت والمستجيرة هى أنغام جديدة كل الجدة فى شعره ٠٠

● لقد أعلن محمود حسن اسماعيل منذ أولى خطواته على السلم الطويل نفرته من الذاتية وظل يبغى الانفعالات من ذاتيته وكأنه يبغى الانسلاخ من جلده حتى تمنى فى اللحن المقهور « أين المفر » أن تلاشى فى صلاة أو غناء أو موج أو ريح ولكنه فى شعره الأخير لايهرب من ذاته بل يواجهها ويحاسبها وتأخذ هذه المحاسبة أحيانا صورة الانسحاق والتوبة كما فى النفس والخطيئة وشاطىء التوبة ، والعودة الى الله ، وفى هذه القصيدة الأخيرة بوجه خاص صراحة فى التعبير عن التجربة تنأى بها عن نمط « الهى عبدك العاصى أتاكا » الذى تلحظ آثاره منه فى الباقيات وتمسه واضحا فى تسبيحة ٠ ما المستجيرة فليس المعنى الدينى فيها بارزا ولكنه تعبير حاد وصادق عن الشعور بالاثم الذى يجعل المرأ يتبرأ من ذاته أو على الأصح يجرد من ذاته ذاتا شريرة يصارعها وينفيها ٠٠

٠٠ تنكــرت فى وصـورتنى	لوجــه الحيــاة كما تشتهين
تقولين هــذا ربيــع الجمــال	فأظما وأنت التى تشربين (١)

ولكنه فى « أنا والنفس والطريق » لايخاصم نفسه بل يناديها مسحنا

مزقى عن وجهك اليانع أسمال القناع

وارفعى الستر بلا خوف على أى قناع

ويمض يحذرها من عـر الماضى وحبائل الأمس وغوائل الندم ويهيب بها ان تتبعه زاحفة فى طريق النور ٠ ومرة أخرى فى « عاشقة العنكبوت » يضيق بها حتى ليطردها صائحاً ٠ لست منى ٠٠ لسـت منى أنها أبدا عاكفة على الماضى انهـا للموت نشـيد ـ للدرب سراب ، أما هو فائر للسـفوح الخضر لصباح العدل الاجتماعى والكرامة الانسانية ، صباح

٠٠ ليس فيه آكل من لقمة بنت سفاح

---

(١) قاب قوسين ص ١٢٧

ولدت مرجومة الأنساب من غير كفاح (١)

● ولكن كم نفسا لهذا الشاعر ٠٠ ؟ عنده على الأقل ثلاثة ٠ نفسة التى يناقشها الحســـاب ونفس خبيرة بالنفوس ٠ لاغرو فقد تمرنت على التفتيش فى نفسها ونفسة الأخيرة ٠ التى تطل وتصغى هى نفسة الشاعرة كما يقول البيت (٢)

ربابى على النفس نفس تطل   وتصغى وتعزف همس النفوس

● ويستمر الشاعر فى بحثه عن حقيقة السر وهو يفلت منه دائما حتى حينما توهم أنه عرفه ٠ ونكاد نحس أنه نسيه أو مل البحث عنه وسئمت منه أدواته الفنية ومشاعره الظمـآى ٠٠ أحرقهـا لهيب الحرمان وجفـــاف المعرفة ٠٠ وترك الشاعر السر وعقد الصلة الحميمة بينه وبين نفوس الناس فى ديوانه « لابد » حيث تكلم عن الفقراء والبيعة وبغداد وأكد مسيرة الشعب الظافرة فى قصيدة « لابد »

● ولعل هذه الصلة الحميمة هى التى جعلت كلمة السر تتراجـع عن مكانها الرئيسى من تفكير الشاعر فى ديوانه « لابد » اذا استثنينا القصيدة الأخيرة منه « نار السكينة » فالشاعر هنا أيضا مشغول ٠ بسر ، سر لايزال كامنا فى نايه ، كفنه الحالم فى غنوة الروح » يداه فى كل ما يتعشقه ٠ فى الزهر ، فى النهر ، فى الدوح ٠ فى الريح ٠

فاذا أوشك السر أن يتجلى فى عناق العالم المرئى انصرف الشاعر عنه أهو الوجود المطلق مرة ثانية ؟ ٠ ولكن الشاعر لم يعد يستطيع أن يلمســه فى الأشياء ٠ لقد أصبح هذا الوجود أشد مايكون التصاقا بذاته هو

أراه يسير معـــى فى الحيــــاة   كيـــانا حفيـــا وصـــاحبته

---

(١) قاب قوسين ص ٢٥
(٢) الكاتب ص ١٤١

وفى كل ذرات هـــذا الوجـود أراه رنيـــنا تســمعته

وأصـــغيت فيــه وكــررته وجودا لــذاتى أخفيتــه

هذه نفس الشاعر الثالثة التى أشرت اليها سابقا ٠٠ انها عالم الجمال الفكرى الذى يطمح كل شاعر أن يحققه تحقيقا كاملا فى ذاته وهذا هو قدر محمود حسن اسماعيل أن يعاشر ثلاثة نفوس لانفسا واحدة ويعانى من القلق الذى يدمى فى كثير من الأحيان ٠

والشاعر فى قصته مع السر والى السر هذه القصة الشائقة لا يسير الشاعر وحده فى دروبه العميقة وكهوفه السحرية وانما حمل فى أعماقه مصباح الحقيقة المنتظره التى جند نفسه لها ليصل اليها فى آخر المشوار ٠٠ والمصباح هو هذا النور الذى نلمس وهجه فى فن الشاعر ونتذوق عبيره المر أحيانا فى كثير من قصائده ٠٠

فالشاعر يقول فى قاب قوسين مناجيا الخالق جل جلاله

الهى أعنى وبارك وصلاتى

وبالعفو طهر خطا معصياتى

وبالنور يارب أنعش جناحى (١)

● ومن يعرف سر النور فى شعر محمود حسن اسماعيل يضع يده على قدس أقداسه ويظهر أمامه الشاعر نقيا الى حد الاشعاع ٠٠

وحينما نتحدث عن النور عند محمود حسن اسماعيل لابد أن يفد الى الذهن ما قاله ٠ الكسندر اليوت ٠ من أن احساس الفنان بالنور هو فى الصلب من ابداعه وأن أى تحول أسلوبى عام فى تصوير الضوء لابد أن يعكس تحولا فى الحضارة كلها ٠٠

---

(١) قاب قوسين ص ١٤٠

والآن ماذا يعنى النور عند الشاعر ؟

ان قراءة لدواوينه لابد أن توضح لنا قصة الشاعر مع النور بحيث تظهر لنا البطل الحقيقى فى كل شعره ..

فالله عنده هو النور « الهى وأنت النور »

والنبى عنده نور . على ما نرى فى قصيدة « النور المهاجر » والدين عنده هو الضياء « ودينى الضياء الذى تنشرين » ثم ان النور عنده هو زاد الرحلة وحركة السير والهدف الأخير الذى لايخرج عن كونه الامتزاج فى النور فالنور عنده الوسيلة والغاية ..

زادك النور وفى دربك ينبوع الشعاع

فانفذى فالسر ان شئت على قيد ذراع (١)

ثم انه سر بناء الحياة والأمل الوحيد للمعرفة وهو كما قلنا غاية ليس بعدها غاية . ليس فيه قابع فى ذاته يعبد ذاته لايحب النور الا من من سقى النور حياته (٢)

ويستمر الشاعر فى رحلته الصوفية الايجابية يبحث عن السر وراءه فى رحلته النور والسر منه على قيد ذراع وفى سبيل السر لابد أن يصرع الموج ولو كان من غير شراع . ويركب الاعصار والاصرار فى وجه القلاع .- فالضياع حتمى اذا خاف من المخاطر والخوض فى كهوف السر الموغلة فى الخفاء .. ولكنه لم يعد خفيا فهو قد صاحبه فى نار السكينة وهو فى قاب قوسين على قيد ذراع .

وفجأة نشهد الشاعر فى قمة السرور وهو يسبح فى نهر الحقيقة بحرية

---

(١) قاب قوسين ص ١٠

(٢) قاب قوسين ص ٢٩

حقيقية بلا شراع فشراعه النور الذى قاده الى النهر المقدس الذى غرق فى أنواره العذبة وكأن الشاعر بديوان نهر الحقيقة قد أراحنا وأراح نفسه وسحق اكام الضباب التى سحقت نفسه طيلة المدة السابقة وبدد تلال الدخان الذى خنقه طويلا ٠٠ فها هو الآن يذيب عناءه بين مـوج الحقيقة غناء الحقيقة التى طالما نشدها ٠

واهتدى الى السر الذى طالما عذبه — السر هو نور الحقيقة

وجودى حقيقه

وذاتى حقيقه

وأنى على الأرض طير يغنى حقيقة

ونور الحقيقة سر الحياة وسر الأمل

ويلقى أمام من يتمرد على هذا النور صورة مجسدة للجزاء الصارم

ومن لم يسر فى ضيـاه سيمشى — ويمشى ولو داس خـد الجبل

وشـق الريـاح بجـن الخيـال — ووهم المحال ٠٠ وحلم الأزل

سيمشى ويمشى ويلقى عصاه — اخيرا على ترهات الفشل (١)

وأخيرا يهتدى الشاعر بنظرته الصوفية والفلسفية بعد الصراع الشديد بين الطين والنور والسر والنفس والسماء والأرض ٠ الى النور الحقيقى الذى صاغ كل كيان الحقيقة ٠:

هو الله ٠٠ فى كل قلب مضىء حقيقه

ولا غيره فى حداء الليالى حقيقه (٢)

وفى قصيده « الله » تظهر روح الشاعر التى اهتدت الى الحقيقة فلم

---

(١) نهر الحقيقة ص ١٢

(٢) نهر الحقيقة ص ١٥

تعد تتقلب على جمر الحيرة وتتردد بين الأثم والمتاب ولكنها اتجهت الى الله وعرفت أن الله هو الحب والظل والعطر • هو الطهر والصفو • والغنوه والخفق هو الرزق والفأس والعرق ، هو النفس والحق والعهد

هو الليل يستر دمع الحيارى هو الريح تؤنس صمت الصحارى

هو الندم المر خلف الخطيئة هو الحلم يشجى النفوس البريئه

هو النور فى كل فج يسير ويمحو الدجى من خفاء الصدور

••• الهى •• وفى كل شىء رأيتك

الهى رأيتك •• الهى سمعتك

تعاليت لم يبد شىء لعينى

تعاليت لم يشد صوت باذنى

ولكن نورا بقلبى يطل

ومن طيفه كل نور يهل (١)

الشاعر هنا يؤمن بنظرية الاتحاد والحلول • وأن الله موجود فى كل وجود ويودع القيود •• ويفلت من أسر الذات ويعقد بينه وبين نفسه صلحا بعد أن قسا عليها فى العتاب والحساب • ويرشدها الى الحقيقة الثابته وهى •• الله ••

كلما عاد المساء وغفا جفن الضياء

وغدا طير السماء عازفا مل الغناء

سبحى انت وعودى فى محاريب الوجود

حرة فوق القيود حرة فوق السدود

---

(١) نهر الحقيقة

ولا يتحسر الشاعر على مافات فعمره مضى ٠٠ وما ضاع ٠٠ ضاع

فأمسى بقايا شعاع على اللج ذاب

ويومى شعاع جديد الاهاب

يشق التراب

ويهتك بالروح وجه السراب

وتفتح الحياة للشاعر ذراعها رغم رحلته الطويلة ما بين الأمل واليأس ألا أنه ينتهى شابا كما بدأ شابا فالصلاة حياه والبقاء حياه ٠٠

والابتسام أمل والوجود أمل والشمس جبينها حياه ووجهها حياه انها رومانسية جديدة تمليها هذه الروح الصوفية العميقة ٠

وللشاعر فلسفة ميتافيزيقية خاصة ٠ فلسفة مادية تأملية تظهر هذه الفلسفة فى قصيدة « هتك البراقع » حيث يحارب النفاق فى العبادة ٠٠٠٠ ويمزق القناع الزائف ويعرى الوجوه الملثمة ٠ ويقوم بعملية رصد شعرى ٠ لأصناف الوجوه والقصيدة من التجارب الحية الفريدة من نوعها فى الشعر العربى فى طريقة تصويرها للعادات والسلوك ٠٠ فهو يرسم صورة حسية صادقة ويخاطب نفسه عندما تستنفسر عن هذا الذى يسبح فى غير وقت الصلاة ٠٠

دعيه يسبح كما يشتهى فما عاد شىء يسمى اله

سوى الله فى ملكه لايرى ولا يعبد الناس ربا سواه

وتتضح نظرة الشاعر الخاصة فى قضية الخلق حيث يصور الانسان ريشة معلقة فى يد القدر ٠٠ فالحياة خيال ٠٠

حيارى سكارى من النور جئنا والنور نمضى : خيالا لا عبر !

وينتهى الشاعر الى اليقين ، ويمسك بخيط النور ، ويعرف كنه ذلك

النور ·· انه « صوت من الله » ·· وهو من أحدث دواوين الشاعر ·· انه رسالة من الغيب يترجم فيها الشاعر عن يقينه الخالص · ويجسد معتقده فى الوجود ، ويؤكد أن كل شىء من الله والى الله ··

● والديوان من ثلاث وعشرين (٢٣) قصيدة · استقرت فى عطر ألحانها فلسفة الشاعر · فالله سر الحياة فى « الذات » و « النفس » و « الزمن » و « الطبيعة » (١) فالوجود الباطنى للشاعر ، والوجود الخارجى من حوله · والمرايا التى تتجاذبه كلها تدور فى فلك الله ، والطريق الذى عذب الشعار كثيرا · اتصلت أسبابه بالله ·

والجبل ـ والعزلة) والنسك « هو فيض من نور الحق ، فيه يتطهر الزمن ، ويعرف الحائر طريقه ·

ووجه الوجود الملحد تائه الملامح · لامكان له فى فيض هذا النور ولا نغمة له فى أريج هذا الصوت الذى يغمر الألوان كلها ، وهذه الوجه الخارج عن دائرة النور ، تكون ملامحه القصائد الآتيه · (١)

« الله والشرك » ص ٦١ ، الله والوثنية ص ٦٩ ، الله والرياء ص ٩١

وأولى قصائد الديوان بعنوان « الله » وهى نبع الصوت الذى تشع منه الأنغام كلها ·· وتتغلغل فى ذرات الوجود ، وتدرك سره ·

فالله نور السموات والأرض ·

● ونوره غمر الدهور

فى الحب · فى الأمل المخلق · فى الأجنة والبذور

فى الريح · فى النسم المرنح ، فى العشايا والبكور

فى الطيف تلمحه ظلال ظلاله فوق الغدير

فى السفح ، فى ضجر المغاور ، فى البرازخ فى البحور

---

(١) انظر هذه القصائد بالديوان ص ٢٩ ـ ٤١ ـ ٨٧ ـ ١٠٥

فى كل راقىء دمعة من جفن مظلوم فقير
فى كل كاسر حلقة من قيد مقهور أسير
فى كل رافض لقمة للين جالبها أجير
فى كل واهب روحه لفدا التراب المستجير
فى كل ذات حركت عدم الفراغ الى الصرير
فى خطوة القدم الذى ، هتك البراقع عن دجى القمر المنير
وحدا السديم ورش نبين يديه أسرار الأثير
ومشى على الأجيال يسحق جهل عالمها الغرير
ويزيح ستر العقل عن اعجاز خالقه الكبير
الدرب ضوأ للسراة حقيقة وحصاد نور
وهدى الدجى ، وتمزقت حجب الرياء على الحضور !
فالله يصحب كل من صحب النهار ـ ومال عن غبش الستور !!!

الباب الرابع

« قضـــايا و مـــواقف »

محتويات الباب

تمهيـــد

١ ـ قضية الشعر الحر والتقليدى وموقف الشاعر منهما

٢ ـ قضية الالتزام فى الأدب وموقف الشاعر منها

٣ ـ قضية الموت وموقف الشاعر منها

تمهيد .. قبل أن أعرض وجهة نظر الشاعر فى عدة قضايا تشغل الأوساط الأدبية ويثور حولها جدل واختلاف وكل رأى له ما يدعمه من الحجج والبراهين المنطقية المقنعة ..

ومع شاعرنا يختلف الأمر فهو ليس بناقد وقلما يكتب موضوعا نقديا أو دراسة لديوان وانما كل ما يفرغه كاسه ألحان من القلب تحمل ذوب وجدانه وخلاصة فكره .. ولذلك ساعتمد فى عرض وجهة نظرة غالبا على اشعاره وربما تكون قصيدة باكملها تشرح وجهة النظر أو عدة مقاطع من قصائد مختلفة تتآزر على اضفاء هالة اليقين على معتقد الشاعر ورأيه الخاص

وسأتناول رأيه فى القضايا الآتية مع الموازنة بينه وبين آراء الآخرين

(أ) قضية الشعر الحر والتقليدى

(ب) قضية الالتزام

(جـ) قضية الموت

وليست هذه كل القضايا التى نستطيع تفجيرها من خلال فن الشاعر وانما هي نموذج فقط . وهناك قضايا عرضت فى اثناء البحث لا نكررها هنا ..

أولا : موقف الشاعر من قضية الشعر الحر والشعر التقليدى

.. قد سبق فى الباب الثالث عرض تفصيلى لنشأة الموجة الجديدة فى الشعر الحديث وظروف هذه النشأة ثم عرض أهم اتجاهاته وظواهره الفنية ومدى توفيق الشاعر فى متابعتها وتجديد شبابه الفنى ..

وفى هذا الجزء ساعرض لوجهات نظر مختلفة حول شرعية هذا اللون من الفن او عدم شرعيته .. وبين زحام هذه الآراء ساعرض رأى هذا اللون ورأيى الخاص .. فلقد ثار الخلاف بين النقاد والأدباء فى أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات والستينات حول قضية الشعر الحر والتقليدى ..

•• ومن أقطاب الشعر الجديد •• الشعراء • صلاح عبد الصبور - ونازك الملائكة وبدر شاكر السياب • وعبد الوهاب البياتى • وأدونيس ••

ومن النقاد • د • محمد النويهى ، نازك الملائكة ومحمد مندور • ، د • عز الدين اسماعيل د • على عشرى زايد •• ، د • احسان عباس

ومن أقطاب الشعر التقليدى •• محمد مهدى الجواهرى ، محمود حسن اسماعيل • مع شيء من التحفظ وصالح جودت ، ومحمد التهامى ،وعبد الله- شمس الدين ••

ومن النقاد •• د • زكى نجيب محمود ، د • احمد هيكل و د • عبد المنعم خفاجى ، د • عبد العزيز الدسوقى ، د • محمد زغلول سلام والأستاذ عز الدين الأمين ـ صاحب نظرية الفن المتجدد • وكثير من اساتذة الجامعات ••

● فالدكتور زكى نجيب محمود يرى أن الشكل وحده هو فيصل التفرقة بين الشعر القديم والشعر الجديد • فالسمة المميزة للشعر هى التخفف من العناية بالشكل أو هى على الأقل عدم التزام الشاعر الجديد بالشكل التزام الشاعر الذى يحافظ على عمود الشعر الموروث فاذا كان هذا هو الفرق بين الشعر القديم والشعر الجديد فرأى الدكتور زكى نجيب محمود « أن ما يسمى بالشعر الجديد هو محاولة أن تكون شعرا لكنها لم تبلغ أن تحقق لنفسها ما أرادت والفرق عندئذ لايكون فرقا بين شعر قديم وشعر جديد بل يصبح الفرق فرقا بين الشعر وما ليس بشعر على الاطلاق (١) •

ويدلل الدكتور على أهمية الشكل فى الشعر بأن ما يخسره الشعر بالترجمه-

---

(١) المجلة اكتوبر ١٩٦١

من لغة الى أخرى أو بالنثر حين تنثر قصيدة الى نفس اللغة التى نظمت فيها هو هذا وحده ٠٠ هو الشكل (١) ٠

ويتفق الدكتور محمد السعدى فرهود فى هذه النظرة مع ناقدنا الكثير فقد حدثنى أثناء مناقشته فى هذه القضية بأن مايسمى بالشعر الحر ٠ ليس بشعر على الاطلاق ٠ وان كان قد أبدى اعجابه ببعض قصائدى التى سمعها وهى من الشعر الحر ٠٠ ، والرأى نفسه ينتهجه د ٠ طه ابو كريشه أستاذ الأدب والنقد بجامعة الأزهر و د عبد اللطيف خليف يرى أن الشعر الجديد لم يرزق الشاعر الضخم الذى يقنع الجماهير به ، ويرى أنه يصلح للمسرح فقط ٠٠ و د يوسف خليف يؤيده فى هذا الاتجاه ٠

● ويرد الدكتور مندور « وهو من أعلام النقاد فى العصر الحديث » على الدكتور زكى نجيب محمود قائلا ٠٠

أبدأ فأؤكد للدكتور زكى ٠٠ ان ما نسميه شعرا جديدا اليوم يكاد يكون الخلاف بينه وبين الشعر التقليدى الذى لا يزال يصدر عن الذاكرة أو من التوليدات الجافة العقلية ويكاد يكون الاختلاف بينهما اختلافا فى الطبيعة لا من نسبة الشاعرية وحدها وهو اختلاف لايقتصر على الشكل الموسيقى للبيت والقصيدة بل يمتد أيضا الى المضمون الشعرى والى الصور والأخيلة وأساليب التعبير ومن المؤكد أن التغيير الذى حدث فى شكل البيت وشكل القصيدة انما ينبع من تغير الذوق الجمالى وحده بل ومن تغير المضمون الشعرى وطرائق التعبير والتصوير أيضا ٠ (٢)

ويرتفع وسط هذه المعركة صوت الشاعرة ملك عبد العزيز وقد ناقشتها فى هذه القضية فقالت لى مؤكدة رأيها الذى سبق أن عرضته فى أغانى الصبا ٠

---

(١) ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة ص ٥٤
(٢) المجلة نوفمبر سنة ١٩٦١

● هذه الطريقة عن التعبير لما فيها من خروج على الايقاع المطرد تناسب ألوانا من الأحاسيس الغائرة لا الفائره وتناسب انواعا أخفت همسا مما سماه الدكتور مندور بالشعر المهموس فهناك ألوان من الأحاسيس ليس لها هذا الوضوح ولا تلك الجهارة التى يصنعها التعبير بالأوزان الكاملة والموسيقى المطردة على الشعر . (١)

ويقول الأستاذ أحمد حسين معارضا هذا الرأى فى مجلة الثقافة ..

قد حان للشعر أن يعود للازدهار . أن يعود عموديا كما كان دائما وكما لايمكن أن يكون غير ذلك فأول قواعد المنطق أن الشىء لايمكن الا أن يكون هو ذات الشىء فاذا كأن الشعر هو الكلام الموزون المقفى وما يحدثه ذلك من موسيقى فان أى كلام لايكون موزونا مقفى ليس بشعر (٢)

ويؤكد د . عبد المنعم خفاجى هذا الرأى فيقول عن الشعر الحر

.. قالوا انه يترك التقليد الى مجال التجربة الشعرية الذاتية ونرى انه هبط الى أتفه التجارب واكثرها انحطاطا بقيم الحياة والانسان فيهـا وياليته عاش مع التقليد .. (٣)

● والدكتور حسن ظاظا يربط بين الشعر وبين الفنون كلها ويرى أن تطوره شىء طبيعى . ويقول .. من رأيى انه لا يمكن فصل الشعر عن بقية أنواع الفن فالشعر العربى على مدى القرون السابقة على العصر الحديث كان لا يختلف عن فنون الزخزفة الهندسية المعروفه فيما نراه فى خان الخليلى مثلا . ولا عن فنون الايقاع الموسيقى الرتيب الذى يصلح لرقص الفنان ، أو لتوجيه حلقات الأذكار عند الدراويش . ولذلك لم يكن هناك بد فى العصر الحديث من خروج الفن كله . وليس الشعر وحده ، من هذا القانون الذى يضحى بأعماق التعبير وأبعاده من اجل هذه الأبعاد الهندسية التقليدية

---

(١) مقدمة ديوان أغانى الصبا ـ ملك عبد العزيز ..

(٢) الثقافه أبريل ١٩٧٤ ص ٥

(٣) فصول فى الأدب والنقد ص ١٤

المسطحة التى انتهى بها الأمر الى ان تكون نتاجا حرفيا صناعيا وليس ابداعا فنيا · والمهاجمون للشعر الحديث لايكادون يعيبون عليه الا تخليه عن تفعيلات الخليل بن احمد وعن حرف الروى الطنان الرنان فى أواخر الأبيات أما المحتوى الانسانى والشحنة الوجدانية والجذوه الشعرية التى لاتنطفىء فان المناقشات تكاد تمر عليها مر الكرام ·

وكأن الشعر مايزال تصميما هندسيا كتلك الزخارف العربية تعد فيه المثلثات والمربعات وأطوال الأضلاع ولا يقول أحد مادلالة كل هذا وماقيمته؟ (١)

وأخيرا ما رأى محمود حسن اسماعيل فى هذا الجو المثير لغبار الخلاف الذى يحجب الحقيقة فى كثير من الأحيان ؟ ·

● ان شاعرنا يعرض فى مقدمة ديوانه « أين المفر » لمسيرة الشعر العربى فى العصر الحديث عرضا فيه أسلوب الشاعر وحسه وان لم يكن فيه دقة الناقد وعقلانيته وبعد أن يهاجم مدرسة التقليد وبعض أقطاب الاتجاه الابتداعى العاطفى أيضا يهاجم التيار الواقعى فى بعض اتجاهاته ويعرض للفرق الشعرية التى لم تواصل المسيره والفرق التى تعبت فى آخر الطريق ثم السلالة الباقية وهم الندرة الهائمة على سفوح النغم العربى التى بقيت وهو من هذه السلالة حيث · راحت تتموج أوتارها بحنين الأسرار الواغلة فى ظلام النفس الانسانية وأنين قيدها وعذابها المصفد العميق ومالت الى السحر المحجب العاصى وراء احزان الطبيعة وأفراحها وأسوارها الأزلية العاتية ·

وشب غناؤها من نار الشقاء الانسانى الذى تروح تحت نيره جوانح الشرق المعذب المقهور · (٢)

---

(١) الثقافة اكتوبر سنة ١٩٧٤ ص ٨٢

(٢) أين المفر ص ٣ ــ ٤

.. هذا هو موقف الشاعر من المضمون ـ أما الشكل . وقضيته فلشاعرنا موقف ناضج يظل فيه كما عاش دائما فريدا مستقلا حيث يقول ويؤكد « بأنها قضية غير ذات موضوع وذلك لأن الشاعر الحق لايبدأ باختيار القالب الموسيقى لشعره بل يترك نفسه لسجيتها عندما يختمر الموضوع فى وجدانه الشعرى ـ واذا بهذا الموضوع يخرج فى القالب الذى يستريح له الشاعر ويحس انه قد استنفد كل او جل ما فى نفسه وشفاها مما تجد ... وقد يأتى القالب بعد ذلك تقليديا و جديدا ولاضير على الشاعر فى ذلك مادام قد أحس بملاءمة القالب الذى انبثق من نفسه لموضوعه ولنوع الخواطر والأحاسيس التى صبها فى هذا الموضوع (١) وأنا أتفق تماما مع الشاعر فى رأيه المنصف وهو ينأى فى ترفع عن التعصب الممقوت القاتل للحقيقة والجدل الذى يئد جوهر الحق فالشعر شعر فى جميع حالاته . المهم أن نجد الشاعر الحقيقى .

ويعرض الشاعر . وجهة نظره الثائرة التى ترفض الجمود والوقوف فى قصيدته « الوهج والديوان » وهى تسير على النظام المقفى غالبا وان كتبت بالطريقة الجديدة والشاعر فيها يرجع المشكلة الى الشاعر نفسه كما حدثنا قبل ذلك .

وساعرض القصيدة كلها لأنها تحمل وجهة نظره فى هذه القضية ...

تفعيلتان .. ثلاث تفعيلات

وسبع تفعيلات

واجرف تعانق الألحان بالأحضان والراحات

تدفق النور على حفائر الأموات

شلال موسيقا بلا قواعد مرسومة الرنات

معصومة الايقاع دون حاسب مزيف الميقات

يعدها من قبل أن تجىء بالأسباب والأوتاد والشطرات .

---

(١) اصدر السابق

تشق باب الروح .. لا تستأذن الاصغاء والانصات
وليس فى اعصارها سبأنة تعذب الهالات
ولافضول الموت وهو يسأل الحياة عن توهج الساحات
ولافضول الليل وهو يسأل الفجر لماذا تنسخ الرفات

● ويستمر الشاعر فى سخريته من أصحاب القوالب الثابتة والأكلشيهات والاعتماد على ذاكرتهم فى صوغ مشاعرهم ويصيح

ضج البلى من صيحة الاشراق فى تشبث الموات
وانتفضت هياكل مرصوفة الطقوس من تناسق الأشتات
وكل ما فيها قرابين تقدس الرمام فى كل حصاد مات
مصلوبة الجمود والركود والهمود والسبات
على مطايا مهدأ الأكفات

● ثم يواصل الشاعر هجومه ويؤكد أن الوزن لايسبق الفكرة وأن الجسد لا قيمة له بدون الروح وأن الشعور الصادق أولا وقبل كل شىء وأن الحياة دائما تتجدد فلتتجدد أفكارنا وايقاعاتنا .

أنغام هذا الطير مالقنها بستان
ولا حداها حارس يقظان
ولا بغير ما تجيش نارها تحركت بنان
من ذاتها ووحيها رحيقها الصديان
الرافض الايماء للوراء يمتص خطا الركبان
الرافض القياس فى الصدى وفى المدى وفى اللسان
وفى هوى التنغيم والتفخيم والترنيم والارنان
تدفقت لاتعرف التطريز فى توهج الألحان
ولا خداع السمع فى تبرج الحروف للأذان
ولا لخطو اللحن قبل سكبه من نايها ميزان
أسكرها خالقها قبل انبثاق اللحن بالأوزان

تحررت فما بها للقالب المصبوب قبل كاسها اذعان

زخارفٌ ، مطارفٌ ، متاحفٌ ،، لنشرة الأكوان

ثم يختم القصيدة بجوهر القضية وهو أن الشعر اكبر بكثير من ذلك الجدل العقيم والصراع التافه بين الجيلين والمهم هو تجديد الأرواح

جل عزيف الناى أن يقوده انسان

وجل روح الفن عن تناسخ الأبـدان

فالشعر شيء فوق ما يصطرع الجيلان

روح ترج الروح كالاعصار فى البستان

بزفها ٠٠ وحرفها ٠٠ ونورها الموسق النشوان

وخمرها المعصورة الرحيق من تهادل الأزمان

لكل جيل كأسه ٠٠ لاتفرضوا الدنان

مل الندامى حولكم ٠٠ عبادة الأكفان

فجددوا أرواحكم لاتظلموا الميزان

فالشعر لحن من يد الرحمان

سبحانه سبحان

ملهى النسور عن خطا الديدان (١)

* * *

(٢) الالتزام فى الأدب (وموقف الشاعر من هذه القضية)

٠٠ حينما اتحدث عن موقف الشاعر من قضية الالتزام ٠ لابد أن أوضح أولا ٠ مفهوم الالتزام ٠ وازيل الغبار والأتربة لأكشف عن جـذور هذه القضية ٠٠ وهل لها أصل قديم ٠٠ أم لا ؟

والواقع أن فكرة الالتزام فى الأدب فكرة حديثة هى وليدة عصرناولم

---

(١) نهر الحقيقة ص ٧٠ ـ ٧٧

يعرفها النظر النقدى فى العصور الماضية · والمصطلح نفسة ـ أعنى الالتزام ـ مصطلح جديد فى ميدان الأدب لم يستخدمه الأقدمون ولم يعرفوه ·

● ومفهوم الالتزام قد ارتبط الى حد بعيد بمفهوم الأدب نفسه ومدى علاقته بالحياة وبالدور الذى يقوم به الأدب فى توجيه هذه الحياة ·· (١)

● والأدب الحق هو الأدب الذى ينقل الى الملأ رؤية للعالم وللأشـياء صادرة عن معاناة صادقة وتجربة طويلة ومريرة مع الحقيقة · هو المشاعر والأفكار التى يكونها الأديب فى رحلته الطويلة الشاقة · رحلة البحث عن القيم الجديدة بالانسان القمينة بأن تكون ينبوع تحريره وتقدمه فى معـارج بناء الوجود الانسانى الأمثل ··

● والأدب يتكون دون شك عن طريق التفاعل مع حياة المجتمع وآماله ولكنه لايكون أدبا حقا الا اذا امتلك القدرة على تجاوز ذلك المجتمع من أجل تجديده وتطويره · والأديب الأصيل هو الذى يطل من خلال تجربة المجتمع الى ما وراءها الى القيم الانسانية المتجددة أبدا المجددة للانسان وحضارته ابدا · الصانعة للمصائر التى تعلو على واقع أى مجتمع مهما يكن شأوه فى التقدم وحظه من الانسانية · (٢)

● ومن هنا لم يكن أمام الأديب واقع يلتزم به أو تجربة تلزمه والتزامه لايمكن أن يكون الا للرؤى الجديدة التى يستخلصها من خلال تجارب الواقع ومن خلال القيم التى تتجاوز الواقع دوما والتى هى أداة حكمه على الواقع (٣)

والأستاذ خليل هنداوى يوضح مفهوم الالتزام فى بحث قدمه الى مؤتمر الأدباء العرب الثامن الذى عقد فى دمشق فيقول ··

---

(١) الشعر العربى المعاصر د · عز الدين اسماعيل ص ٢٧٣

(٢) الأداب · فبراير سنه ١٩٧٢ بيروت

(٣) الأداب · فبراير سنه ١٩٧٢ بيروت ص ٤

ان الأدب الملتزم حقا هو الأدب الحر · ذو الرسالة ·· مهما تكن طبيعة تلك الرسالة ··

ان الأديب الحر يلتزم من دون الزام وينصر القيم النبيلة من دون توجيه لأن الأديب الحر الذى يقدر الحرية يؤلمه أن يرى اضطهاد الحرية فى أى مكان والحق الذى لا ريب فيه أن الأديب الحق أديب ملتزم · ملتزم بقضية الانسان فى مجتمعه وفى أى مجتمع وأن التزامه هذا فى حاجة الى مناخ الحرية كى ينمو ويزكو ويترعرع ·

● و « سارتر » يعفى الشاعر من الالتزام برغم أنه يدافع عن هـــذه القضية دفاعا مستميتا وينادى بأن يكون الأديب ملتزما الا الشاعر · ويعلل ذلك بأنه « قد يكون مبعث القطعة الشعرية الانفعال أو العاطفة نفسها ··· ولم لايكون مبعثها كذلك الغضب والحنق الاجتماعى والحفيظة السياسية ؟ ولكن هذه الدوافع لاتتضح دلالتها فى الشعر ·· كما تتضح فى رسالة هجاء أو رسالة اعتراف · فالناثر يجلو عواطفه حين يعرضها أما الشـــاعر فانه بعد أن يصب عواطفه فى شعره ينقطع عهده بمعرفتها اذ تكون الكلمـــات قد سيطرت عليها ونفذت خلالها والبستها أثوابا مجازية ولم تعد الكلمـــات تدل عليها حتى فى نظر الشاعر نفسة فقد أصبح الانفعال شيئا له كثافه الأشياء وبدت عليه مسحة الغموض · اذ اكتسب الخصائص الغامضة للألفاظ التى صار حبيسها · (١)

● ويكاد يكون سارتر منفردا برأيه هذا فأغلب النقاد ينادون بالالتزام فى الأدب والشعر نوع من أنواع الأدب بل هـــو أهـــم أنواعهـــا · والاديب « والشاعر » الحق لايمكن أن يعيش بضميرين · ضمير مع نفسة وضمير مع الناس وانما يواجه الأديب الحق نفسة ومجتمعه بضمير واحد لأنه يحس أن مشكلاته لاتنفصل عن مشكلات الناس بل ربما مشكلات الناس بالنسبة اليه هى محور مشكلاته · (٢)

---

(١) ما الأدب ، سارتر ترجمة د · محمد غنيمى هلال مكتبة الانجلو

(٢) الشعر العربى المعاصر ص ٣٧٧٢

« والالتزام هو الجانب الايجابى من علاقة متبادلة بين الشاعر والمجتمع وهى ليست علاقة أخذ أو عطاء ، ولا علاقة انصهار أو ذوبان ، وانما هى علاقة تطابق ، فقد يصف الشاعر البحر لأنه أحب منظره ، أو تأثر بروعة امتداده ولكنك تحس وهو يتحدث عنه أنه يعبر عن حرية الانسان ، أو عن عمق الوجود الانسانى أو سعة التجارب الانسانية ، دون أن يصرح - فى الحالية ، - مخبرا أو مقررا - بهذه الرابطة الوثيقة السـرية بينه وبين البحر ، وتكون كل حركة أو صورة أو موجة موسيقيه فى قصيدته صورة لذلك التطابق ، وهذا التطابق قد يوحى بالتفارق أو التقابل أو التناسب أو التحاور ولكنه لا يوحى أبدا بالانفصال ٠

وليست صفة الايجابية فى هذه العلاقة تعنى المهادنة ، اذ أن هذه الأخيرة قد تكون بدورها سلبية محضا ، ولهذا كان الالتزام مرتبطا بالثورة » (١)

- ٢ -

● ومحمود حسن اسماعيل رأيناه يلتزم فى أول ديوان ظهر له « أغانى الكوخ » فقد كانت موضوعاته واقعية ٠ وان كان لم ينجح فى صياغتها صياغة واقعيه ٠٠ تتخطى البكاء والندب الى رسم واقع أفضل لحياة الفلاح المقهور حيث يتجاوب مع همومه ويعمل على انقاذه من لجة البؤس والحرمان ٠ ولكننا رغم ذلك لا نتردد فى تسجيل الشهادة الرائعة لمحمود حسن اسماعيل حينما هاجم شعراء عصره وشعرهم واتهمه بأنه شخصى النزعة ٠ ودعا الى التجاوب مع الفلاح وهمومه ومشاكله وفى مقدمة ديوان أغانى الكوخ كـان واقعيا ملتزما فى الوقت الذى كانت نظرية الالتزام لم تجد نافذة ولو بمقدار ثقب ابره تطل منها على ساحة الأدب فى مصر فى تلك الفترة المظلمه « الثلاثينات »

---

(١) اتجاهات الشعر العربى المعاصر ص ٢٠٣ د ٠ احسان عباس

ولكن محمود حسن اسماعيل يرتد فى رجعة أدبية الى ذاته بعد ما غر منها فى مقطوعته « هكذا أغنى » فى ديوانه الذى عنون له بعنوان القصيدة وكأنه يطلق قذيفة ثانية فى وجه دعاة المذهبية فى الأدب ويعلن أن مذهبه نفسه وذاته لايهمه النقاد ولا الجمهور طالما أشبع الفن ذاته وهى نظرة بعيدة عن النظرة الأولى ٠٠

ان تسل فى الشعر عنى — هكذا كنت أغنى
لا أبالى أشجى سمعك أم لم يشج لحنى
هو من روحى لروحى صلوات ٠٠ وتغنى
هو من قلبى ينابيع ٠٠٠ بها يهدر فنى

وهو بهذه الروح يندفع من احساسة بالجمود وعدم التقدير حيث أن فنه لم يصب من دهره غير جحود وتجنى ٠ وهو لذلك لا يعبأ بمن حوله سواء مدح أم اعرض عنه فمزهره نشوان دائما ٠

فسواء رحت تغضى — لائما أو رحت تثنى
مزهرى نشوان لاتو — قظه ضجة كونى
مذهبى لا مذهب اليو — م سوى أصداء لحنى
فليلم من شاء انى — راسخ كالطود جنى (١)

٠٠ ومن قبل التزم محمود حسن اسماعيل بقضية الفلاح وهمومه « فالفأس التى يحفر بها الفلاح التربه يتصور فى يدها الخشبية سرا يمر على الصخر فيحيله تربة تنبت الزهر والورد ٠٠

حملت فأسه من الغيب سرا — حير العقل كامن فى صفاته
حطب يابس يمر على الصخـ — ـر فتزهو الورود فى جنباته (٢)

---

(١) هكذا اغنى ص ٢٤٠

(٢) العربى : اكتوبر ١٨٧١ ص ١١٧ « الشعر والشعراء فى الريف أرضا وفى الريف انسانا ٠ » أحمد الحوفى

•• ولكن التزام محمود حسن اسماعيل يتخذ مفهوما آخر فى ديوانه نهر الحقيقة حيث يتسع ليشمل موقفه من الحياة والناس • والبسطاء ، والحب ، والله • والحرية حيث خاض الشاعر رحلته الطويلة عبر مجاهل القيم والحياة والأسرار وتخطى السدود والقيود • وتعانق مع الحقيقة والتزم بها وانصهر فى بوتقتها • وفى قصيدته « التزام » تظهر هذه القيم • والالتزام هذا يتخذ طابع الشمول وان كان يميل الى الناحية الميتافيزيقية ولكنها الميتافيزيقية الايجابية التى يتجه مؤشرها الى الحياة وهمومها ومشاكلها •

وها هو الشاعر يدهشنا ويبهرنا ويحيرنا عندما يحلق كعادته فى أعماق الخيال وينهل من بؤرة الشعور مشاعره ويصف التزامه بالحقيقة وكيف أنه اتحد معها ويأتى بعدد من التشبيهات الجديدة الغريبة ••

متلازمان •• متعانقان •• فى كل آونة وآن

كالظل •••• فى كبد الغدير •• يهومان

وكالشعاعة •• فى تلفت نجمة وحشاهجير •• يهبطان •••••

كالوهم ••• حين تروغ حيته بأغصان الشعور ••• يداهمان

كالحلم ••• يخلق من خريف النفس أجنحة تطير ••• يرفرفان

كالشك •••• يلمح فى السريرة طيف هاجسة تزور •• يخافتان

كالصمت •••• فى الموت المصفد فى القبور ••• يشارفان

كالعطر •••• فى العبق المقيد فى الزهور •••• يجنحان

كربابة ••• سكنت وعازفها بنغمته يدور ••• متداخلان

كصدى صدى ••• لصدى تنكب فى العبور ••• متكاملان

بصدى الصدى •••• متساقيان

والكأس ••• خلف الصوت ساقيها زوال ••••• فى عيان

متراثيان •••• متخفيان

متلازمان •• ••• ••• متعانقان

أنا والحقيقة ••• ••• ••• كل آن

والشاعر والحقيقة يتعانقان ويتلازمان فى كل شيء ويظهر هذا الالتزام فى موقف الشاعر من الفقراء والمظلومين فهو والحقيقة ‥‥ يتأملان ‥‥ ويصغيان ‥ ويخطفان ‥ ويهدلان ‥

ومن اندلاع القهر ‥‥ فى خرس العروق ‥‥ يلاغيان
وبنظرة المظلوم ‥‥ فى غلس العدالة ‥‥ يسكتان
وبآهة المحروم ‥‥ فى نفس العواصف ‥‥ يجريان
متكلمـــان ‥ ‥‥ وصامتان
وشاديان ‥‥ ‥‥ وأخرسان
لغة السماء غوث ‥‥‥ ومانبضت ‥‥‥ يدان
ويداهما ‥ بيد السياط ‥ يداهما ‥ مشلولتان (١)

– ٣ –

والتزام محمود حسن اسماعيل لايقتصر على المفهوم الذى حدده النقاد لهذه القضية وهى التعبير عن واقع الناس وان تكون مشكلاتهم هى محور مشـــكلاته ‥

والتزامه لايدخل فى دائرة « الثورة الماركسية التى تؤمن بأن العمل هو الرابطة بين الانسان والطبيعة ، وتحتكم الى التاريخ ‥

● ولا ‧ يدخل فى دائرة الالتزام الوجودى ‥

ويمكن أن يقترب من « الثورة السريالية وهى ثورة من خلال المشاعر والحلم ، والشعر والجنون وترفض التاريخ ولا تؤمن بأى موجة من خــارج الرغبة الانسانية ‥

● فمشكلة محمود حسن اسماعيل وقضيته الحرية والدفاع عنها ‧ سواء الحرية الاجتماعيه ‥ وتتمثل هذه النزعه فى ديوانه اغانى الكوخ ‥

---

(١) نهر الحقيقة ص ١٧

أو الحرية النفسية ‥ وتتمثل هذه النزعة فى ديوانه أين المفر ؟

أو الحرية السياسية ‥ وتتمثل هذه النزعة فى ديوانيه قاب قوسين ونهر الحقيقة ‥

أو حرية الكلمة ‥ وتتمثل هذه النزعة فى قصيدته موسيقا من الكلمة المنشورة بمجله الهلال فى العدد الخاص بمؤتمر الأدباء بتونس حيث يقوم بعرض أنواع متعددة للكلمة ‥ وكلها أنواع زائفة ‥ خادعة ‥ الا ‥‥ كلمة الحياة ‥ فهى

كلمة ‥‥ ترفض الحروف طريقا وتريد الكلام خلقا جديدا

وتشق التابوت تخرج منه الـ ميت الحى فى ضحاه وليدا

فى يديه الشعاع والدرب والخط ـوة هزاجة ترج الوجودا

تقشع اليأس والجمود وتضرى غضبة الثأر كى تذيب القيودا

وأترد التراب حرا أبيا يقهر الدهر فى ضحاه صمودا

هذه « كلمة الحياة » !!! اذا لم نفن فيها سننتهى ٠ لن نعود (١)

‥ ومحمود حسن اسماعيل فى كل هذه الرحلة الطويلة مبدع وفنان ينفر من القيود ويثور على الأصفاد ويضما الى نور الحقيقة الذى يفتح فى مجاهل النفس ألف نافذة للحرية لتطل منها على الحياة والأحياء وتعانق الجميع وأظننى لا أكون مغاليا اذا سميته **« شاعر الثورة والحرية »**

الثورة على كل ما يسلب الأحياء حقهم فى الحياة والحرية بكل ما تحمل من نبض صادق خلاق ‥‥

---

(١) الهلال ‥ عدد مايو ١٩٧٣ ، ديوانه : موسيقى من السر

(٣) « موقف الشاعر من قضية الموت »

٠٠ الموت ٠٠ هو تلك الهاوية التى تتردى فيها خطا الأحياء مهمــا حاولوا الابتعاد عنها وهى تتسع كل يــوم حيث تتلقف المئــات والألوف ٠ وهو سنة خالدة دائمة ٠٠ باقية وهو النهاية الحتمية للحياة ٠٠ وعامر من عمر الحياة يقف شاهدا على ذلك ٠ العظماء ٠٠ والقواد ٠٠ والعلماء ٠٠٠ والمفكرون ٠٠ والفلاسفة ٠٠ ذهب كل منهم الى ساحة الموت ٠٠ والعظيم هو الذى لاتدفن حياته معه ٠٠ بل يبقى أثره فى الحياة واضحا بارزا والله سبحانه وتعالى هو الباقى ٠٠ وهو يفاجئنا بالحقيقة الأزلية ٠

« أينما تكونوا ٠٠ يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة »

والموت ٠٠ هو الحقيقة الكبرى ٠٠ أو هو الحادث المؤكد فى حياة الفرد ٠ ويستمد الموت مغزاه المأسوى من فجائيته لأنه يأتى بغير ميعاد ومنذ القديم وقد ارتاع الناس من تلك الحقيقة القاسية ٠ ودانيال النبى فى مزاميره يصرخ وقد مزق الألم نياط قلبه « عرفنى يارب نهايتى ٠ ومقدار أيامى ٠ كم هى ؟ فاعلم كيف أنا زائل » (١) ٠٠

وفى القرآن يقول الحق تبارك وتعالى « انك ميت وانهم ميتون » (٢)

ويقول لمحمد صلى الله عليه وسلم « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ٠ أفان مت فهم الخالدون » كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون » (٣) ٠

هذه الحقائق جميعها علامات أو أدلة على فجائية الموت وحتميته وهى علامات لايختلف فيها اثنان لوقوع المشاهده منذ قديم الأزمان وانما الاختلاف يأتى من الموقف الذى يتناقض فيه الأحياء ازاء حقيقة الفناء بعضهم يرى أن الأفضل هو فى اغتنام الفرصة الحاضرة ٠٠ والغيب غيب لاندريه ـ يقول طرفة بن العبد وقد أغراه الموت بالاستزادة من اللذات ٠٠

---

(١) المزمور ص ٣٩

(٢) سورة الزمر آية ٣٠

(٣) سورة الأنبياء آية ٣٤ ، ٣٥

ألا أيهذا الزاجرى ٠ أحضر الوغى وان اشهد اللذات هل أنت مخلدى
فان كنت لاتسطيع دفع منيتى فدعنى ابادرها بما ملكت يدى

وهل يختلف هذا الموقف عن رأى ابى نواس

أمر غـــد أنت منـــه فى لبس وأمس فـــات فالـــه عن أمس
فانما العيش عيش يـــومك ذا فباكر الشمس بابنـــة الشمس

وقد مهد بقوله هذا لفلسفة عمر الخيام ٠٠

ايه دعنى أغتنم هـــذا المـدى قبل ان يطوى ترابى فى الثـــرى
حيث لا خمـــر ولا شـــدو ولا قينـــــة كـــلا ولا من منتهى

ولكن فى الناحيية الثانية تجد رأيا مخالفا يتزعمه أبو العتاهية

أيلهـــو ٠ ويلعب ٠ من نفسه تمـــوت ومنـــزله يخـــرب

او قول شيخ المعره ٠

رب متى أرحل عن هـــذه الدنـ ـيا فانى قـــد أطلت المقـــام
والعيش ســقم للفتى منصـــب والمـوت يأتى بشـــفاء السـقام

● وقد تصور المتنبى مـــا قـــد يحدث للناس او كانوا مخلدين حيث فنحن فى الحياة صيادون ولكن لا نصيب لنا الا السراب ورغم ذلك نعشقها لأننا نحرم منها (١)

● وقد تصور المتنبى مـــا قـــد يحدث للناس او كانوا مخلدين حيث توفى ولى تركى لسيف الدولة اسمه « ريماك » فرثاه ابو الطيب بقوله

سبقنا الى الدنيا فلو عاش أهلها منعنا بها من جيئة وذهـــوب
تملكهـــا الآتى تملك ســـالب وفارقها الماضى فـــراق ســـليب

---

(١) السفينة والطوفان : ديوان شعر للمؤلف مخطوط ٠ مقدمة قصيدة « صيادون » ٠

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

فالمتنبى يتفلسف فى احتمال لم تعرفه البشرية بعد فالخلود فى نظره يميت الأحاسيس والانفعالات ويجرد الناس من كل المشاعر لأن الموت هو سبب الشجاعة والكرم وبقية الخصال الكريمة ولولاه لما كانت للحياة نكهة (١)

.. وبعد استعراض وجهتى النظر المختلفتين فى موقف الشعراء من الموت نتساءل .. « ما موقف محمود حسن اسماعيل » الخاص ؟

هل وقفته خيامية ؟ بمعنى انه آفى المتعة كل ما يهمه أن يشبع رغبته خوفا من الحرمان فى المستقبل ؟

أم انه من تلاميذ شيخ المعرة ؟ زاهد « فى الحياة متشوق الى الموت .. يركل الحياة بقدميه ..

.. الواقع ان محمود حسن اسماعيل اتعب نفسه فى البحث عن السر .. وأخذ منه هذا البحث الكثير من فنه ووجدانه ..

وعن موقف الشاعر من السر والموت يتحدث الدكتور شكرى عياد قائلا واذا اخذنا قصائده عن الموت فى ديوان « قاب قوسين وهى « التراب ، سارق الضياء ، المعبد الحزين ، اذا اخذنا هذه القصائد دليلا على طبيعة السر الذى يطلبه شاعرنا فاننا نستطيع أن نحكم ان هذا السر ليس فيه شىء ميتافيزيقى فالدقفه الميتافيزيقية امام الموت تنطوى على شوق مشبع بقوة الدافع الجنسى نفسه ..

أما وقفة محمود حسن اسماعيل امام الموت فيجب ان نقرر انها سطحية

---

(١) الثقافة مارس ١٩٧٤

جدا وأن الصور الشعرية التى تهز النفس منها لاتتجاوز الاحساس بفنك الموت بالحياة ·· هذه طبيعة احساس محمود حسن اسماعيل بالموت منذ قصيدته « النعش » فى ديوانه الأول · واذن فحقيقة السر الذى ينشده محمود حسن اسماعيل ماثلة دائما فى الحياة والأحياء فى مظاهرالوجود المتغير (١) ·

·· ولا أتفق تمام الاتفاق مع الدكتور شكرى عياد فى حكمه على شاعرنا فانه يؤمن بالموت فى أعماله الأولى ويرى أن كل نعيم مهما ازدهر شأنه لابد من ذبوله وجفافه وهى نظرة ان كان فيها تحسر على الحياة لكن فيها ايمان بالموت وذلك حين يخاطب الذى جاء الى الدنيا مغترا بها واهما أن الخلد فيها مصيره قائلا ·

يا عابرا هبط الدنيا فظن بهـا	مراتع الخلد لا تحصى بمقدار
فراح يطرب مخدوعـا بفتنتها	ما بين لهو ·· وكاسات وأوتار
حتى أدارت له الأيام هزئـة	كأسا مبرأة من وصمة العار
من كرمة الدهر من طافت بساحته	لا يستضيق صريعا بين أحجار
وكم تزهـد لا تنفك سبحته	مجنونة التوب من اثـم وأوزار
حتى ثـوى فى حفـير	ويـلاه من ظلمـاته
يلهـو مـع الدود فيـه	لهـو البـلى فى رفـاته

·· ومع الخوف الذى يركب الشاعر من الموت حيث الظلمه والوحـدة تشتعل فى أعماق الشاعر الحيرة من الموت ومغزاه وسره فيصرخ

ياحامل النعش لاتعجل فان أسى	من حيرة الموت أعيا بطش أفكارى
هذا الذى ضاقت الدنيـا بمطعمه	نصيبه كان منها عشر أشبار

والموت فى نظر الشاعر لايفرق بين أبله وفيلسوف فهما الاثنان فى القبر فى أعماق الحفرة المظلمة الضيقة ·

---

(١) الكتب يناير ١٩٦٧ ص ١٣٩

وتســـتوى أن تـــــردت فى هـــأويات الحتـــوفه
جمـــاجم اليــــله فيهـــا ومخـــــنة الفيلســــوفه

والشاعر هنا فى موقف وسط بين جموح الخيام واحجام المعرى فهو يتكلم عن الموت لكن يخافه ·· وهو يرى أنه غير عادل لايفرق بين الأحياء لأنهم كلهم أموات ·

ويظهر هذا واضحا كل الوضوح فى قصيدته « هتك البراقـــع » فى نهر الحقيقة ففى المشهد الخامس يقرر الشاعر أن موت الكروم حياة وهـــذه الحياة ثائرة على الموت شوقا للأعناب وفى هذا تعلق شديد بالحياة المزهرة

ومرت خطـــاها على زهـــرة يـــــدق الخريف على بابهـــا
والعطـــر فيهـــا جناز تغنى لـيـــالى هواه لأحبابهـــــا
وقالت هوانا · فقلت الهـــوى يديـــر الليالى بأكـــوا بهـــا
سواء « ربيع » · سواء خريف هـــوى الروح خلد بأعتابهـــا
فموت الكـــروم حيـــاة تثـــور على الموت شـــوقا لأعنابهـــا

ويشتد تعلق محمود حسن اسماعيل بالحياة والواقع ورفضه للغيبيات حيثما تطم نفسة بما بعد الموت ·· بفردوس الحب وأنهار السحر والحور

فيجيبها ·· احلمى كيف شئت ويا ضيعة العمـــر للحـــالمين
زهـــورى حوالى ان لم أذقهـــــا أيسقى شذاها ربـــا النائمين
أفيقى من الوهـــم لن تعـــرفى من السر الا الـــذى تبصـــرين

ورفضا منه لرائحة الموت نراه فى « نهر الحقيقة » يتكلم عن · الحب : الله : الأرض : القهر : الطريق ، الشمس الأمل ، النفس ، الابتسام ، البقاء ، الصلاة ···

ولا يذكر قصيدة عن الموت مما يزيدنا تأكيدا أنه متجهم لفكرة الموت متشبثه بالحياة ، رغم أنه فى بداية حياته غلبت عليه الضبابية والكآبة وغادره هذا

الاحساس أخيرا فرأيناه يستعمل ألفاظا مشـرقة فى شعره النـور ، العطر ، ابقاء الضوء ، الحياة ، الأمل ..

وفى قصيدته « موسيقى الوداع الأخير » تتكرر هذه النغمة بصورة أوضح بكثير ليس فيها غموض الرمز ولا التواء الحقيقة فهو يقول فى رثاء الدكتور محمد غنيمى هلال ..

تقطعت بالزورق الحبال
وأبلست مرافىء الزوال
وأغلست مسارب الخيال
وانسحب الضوء من السراج الضارع المهزوم
وانسرب الوجود كاللص الى رماده المحتوم
واقفرت !! لم يبق حلم عود فى رفات ثمره
● ولا فتات بذرة حمقاء يهوى غصنها أن يسترد زهره (١)
● ثم يناجى ربه خوفا من هذه الساعة ساعة الموت
رباه .. ويل ساعة أنغامها فى نايها مكررة
تجىء ثم تختفى .. ثم تعود .. فوق سر لست أدرى خبره !!
رباه !! أهى نشوة عند اللقاء مسكره ؟
أم أنها عند الرحيل ـ لا ألمت راحتاه ـ مجزره ؟

وقوله « لا ألمت » يعطينا دلالة أكيده على كره الشاعر للموت وحنقه عليه وابتعاده عنه .. ولذا فهو يقول

من أجل هذا ..
أكره الايماء لاندهاشة الجنائز
وأكره الاصغاء للدموع مهما حومت غرائزى
وأكره الافضاء بالأحزان مهما ـ يمت جراحها لشمسى !!

---

(١) صلاة ورفض ص ١٥٢

وأكره الرثاء والبكاء .. حتى لو رأيت نعشى !!! (١)

وفى ديوان « موسيقى من السر » يكتب الشاعر قصيدة بعنوان « موسيقى من الموت » يودع فيها خلاصة فلسفته فى الحياة والموت . وهى مهما تشعبت اشعتها . وتشابكت دروبها فانها تتجمع فى النهاية فى مصب واحد . وهـو

رؤية الشاعر « الرافضة للموت » برغم أنه يصرح فى أول بيت بأنه « لا يرفض الموت »

وأرى أن هذا التصريح يحمل فى جوهرة رفضا حقيقيا . وتشبثا بالحياة يقول الشاعر . فى قصيدته « موسيقى من الموت »

- لا أرفض الموت لكنى أسائله

هل ذقت ما أنت بالانسان فاعله ؟

- شىء هو الموت باجبار تكتمه

خطاك . أنت وراء العين حاملة

- مقنع بمتاهات وأودية

وأغصن . زهرها ماتت بلابله

- وتسحر الناس تأوى فى مخادعهم

وفى خطاهم بكهف لاتزايله

- تمشى بلا شبح . تسقى بلا قدح

وكل باب ومهما . أنت داخله

- أعمى . عصاك بلا درب ولابصر

ولا صدى . يرشد الآذان قائله

---

(١) صلاة ورفض ص ١٥٤

● ولا يقـودك الا الغيب تعلمه
وكل حي بوجـه الأرض جاهله !

● تـزور · لا أدب التزوار تعرفه
ولا لديك الى اذن وســـائله

● ولاتبالى اذا داهمت منتهيا
يدعوك أم فارسـا تمض تعـاوله

● بكفه أمـل الدنيا وغفلتهـا
وكفك الغـدر شـــنته مناجله

● سكنت فى شرك الأنفاس ترصدها
كصائد لم تخب يومـا حبـائله

● ترخى الحبال وتغفى كاذبا وعلى
جفنيك سهم يمـارى من تحـاوله

● تشد من شئت أنى شئت لاشبك
يلقى ولاكف صـياد تحايلـه

● ولا انتظار ولا خوف ولا حذر
من أى شىء تـوارى فيك حامله

● كل البرية طير انت نغمتـــه
مهما اســتكنت على الدنيـا خمائله

● تميل بالذرة البلهاء تلقفهـــا
من الخليـــة فى نبض تغافلـه

● وتسكر الروح حتى لاتحس بما
يطوى رحيق بما يسقى تبادله !

● سكران تَخَبط فى ماس فتنسخه

توقفا • وبلى سكرى مجاهله

● وتنفجا الروض غنـاء مراتعه

فيستحيل ردى ثكلى هادله

● لاطير • لازهر • لاعطرا ولا املا

لعاشق تشعل الذكرى اصائله

● وتلمس الجسد العانى فلاجسد

ولا حياة ولا شىء تقابله !

● سبحان حاديك لايدرى له نغم

ولالأى مـدى تمضى قوافله (1)

● ان شاعرنا

عاشق للحياة •• يتمنى ان تظل بهيجة فى عينيه وهو رائع فى عينيها • لاتمله ولا يملها ـ ويكره الموت والرثاء والبكاء حتى لو اقيمت له الفرصة ليرثى نفسه ويبكى عليها لما فعل ، حرصا منه على بقاء الحياة بصورتها العاطرة ، ومحياها الساحر •

---

(1) موسيقى من السر ص ٩٨ ـ ١٠٢

المراجـــع

(ا) الكتب

اسم المؤلف	
١ ـ د · ابراهيم أنيس	موسيقى الشـعر ط ٣ ١٩٦٥ مكتبة الانجلو المصرية ·
٢ ـ د · احسان عباس	اتجاهات الشعر العربى المعاصر سلسلة عالم المعرفة · عـدد ٢ فبراير المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ·
٣ ـ د · أحمد الحوفى	أدب السياسة فى العصـر الأموى · نهضة مصر · القاهرة ١٩٦٠
٤ ـ أحمد امين ، زكى نجيب محمود	قصة الأدب فى العالم ·
٥ ـ د · أحمد هيكل	الأدب الأنـدلسى من التفتح الى سقوط الخلافة · دار المعارف ١٩٧١ ·
٦ ـ د · أحمد هيكل	تطور الأدب الحديث فى مصرمن أوائل القرن التاسع عشـر الى قيام الحرب الكبرى الثانية · دار المعارف ١٩٧١ م

● أنيس المقدسي — الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث

٨ ـ جان بول سارتر — (ما الأدب) ترجمه د ٠ محمد غنيمى هلال ٠

٩ ـ جلال العشرى — ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة

١٠ ـ روستر ريفور هاملتون — الشعر والتأمل ترجمة د ٠ مصطفى بدوى ٠ مراجعة د ٠ سهير القلماوى ٠

١١ـ د ٠ زكى المحاسنى — نظرات فى أدبنا المعاصر

١٢ـ د ٠ سعدالدين الجيزاوى — العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث ٠

١٣ـ د ٠ شوقى ضيف — الأدب العربى المعاصر ٠ القاهره ١٩٦١ م

١٤ـ د ٠ صابر عبد الدايم — ● الأدب الصوفى : اتجاهاته وخصائصه ط ٢ دار المعارف ١٩٨٤ ٠

١٥ـ د ٠ صابر عبد الدايم — ● القيم الاسلامية فى الأدب العربى ط ١ ١٩٨٣ ٠ مكتب منير قابا بالزقازيق ٠

١٦ـ عباس محمود العقاد — شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ٠ القاهرة ١٩٣٧ ٠

١٧ـ د · عبد الحى دياب — عباس العقاد ناقداً ·
الدار القومية للطباعة والنشر
١٩٦٥ م ·

١٨ـ د · عبد العزيز الدسوقى — جماعة ابولو واثرها فى الشعر
الحديث القاهرة ١٩٦٠م

١٩ـ د · عبد العزيز الدسوقي — محمود حسن اسماعيل · مدخل
الى عالمه الشعرى ··
سلسلة « كتابك » عدد ٣١
دار المعارف ١٩٧٨ م

٢٠ـ د · عبد اللطيف خليف — التيارات الجديدة فى الشعر
العربى الحديث فى مصر ·
القاهرة ١٩٧٧ م

٢١ ـ د · عز الدين اسماعيل — الشعر المعاصر : ظواهره
وقضاياه الفنية ·
دار العودة ـ بيروت

٢٢ـ عز الدين الأمين — نظرية الفن المتجدد

٢٣ـ على أحمد سعيد « ادونيس » — الثابت والتحول
دار العودة ـ بيروت ط ١
١٩٧٨ ح ٣..

٢٤ـ د · على الحديدى — محمود سامى البارودى · شاعر
[illegible]

٢٥ـ د • على عشرى زايد	عن بناء القصيدة العربية الحديثة • مكتبة دار العروبة بالكويت ١٩٨١ •
٢٦ـ غالى شكرى	شعرنا الحديث الى أين ؟
٢٧ـ فؤاد دوارة	عشرة أدباء يتحدون •
٢٨ ـ د • ماهر حسن فهمى	تطور الشعر العربى الحديث فى مصر •
٢٩ ـ د • مصطفى سويف	الأسس النفسية للابداع الفنى « فى الشعر خاصة » • ط ٣ ـ دار المعارف ١٩٦٩
٣٠ـ مصطفى عبد اللطيف السحرتى	● الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث القاهرة ١٩٤٨
٣١ـ مصطفى عبد اللطيف السحرتى	● النقد الأدبى من خلال تجاربى القاهرة •
٣٢ ـ مصطفى عبد اللطيف السحرتى	● دراسات نقدية • الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٣ م
٣٣ـ د • محمد السعدى فرهود	المذاهب الأدبية بين النظرية والتطبيق •
٣٤ـ د • محمد عبد المنعم خفاجى	مدرسة أبولو الشعريه •

٣٥- د . محمد عبد المنعم خفاجى ● الأدب العربى الحديث ودمارسة دار الطباعة المحمدية .

٣٦ - د . محمد عبد المنعم خفاجى ● النقد العربى الحديث ومدارسة دار الطباعة المحمدية .

٣٧ - د . محمد عبد المنعم خفاجى ● فصول فى الأدب والنقد .

٣٨- د . محمد غنيمى هلال ● الرومانتيكية القاهرة ١٩٥٥

٣٩- د . محمد مندور ● الأدب وفنونه . دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٥٨

٤٠- د . محمد مندور ● الشعر المصرى بعد شوقى (١ - ٣) القاهرة ١٩٥٧) ..

٤١- د . محمد مندور ● فن الشعر المكتبة الثقافية وزارة الثقافه .

٤٢- د . محمد مندور ● فى الميزان الجديد ط ٣ . مطبعة نهضة مصر .

٤٣- نازك الملائكة ● قضايا الشعر المعاصر دار العلم للملايين - بيروت ط ٥ ١٩٧٨ .

٤٤- د . لنعمان القاضى شعر التفعيلة والتراث . دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٧ م

٤٥- مجموعة من الكتاب عبد الناصر وشخصية مصر .

(ب) الدوريات

١ ـ الشعر	يونيو	١٩٦٥ م
٢ ـ الشعر	اغسطس	١٩٦٥ م
٣ ـ الشعر	يونيو	١٩٦٧ م
٤ ـ الشعر	« فصل الربيع »	١٩٧٢ م
٥ ـ المجلة	نوفمبر	١٩٦١ م
٦ ـ المجلة	مايو	١٩٦١ م
٧ ـ الكاتب	يناير	١٩٦٧ م
٨ ـ الفكر المعاصر	اغسطس	١٩٦٧ م
٩ ـ الهلال	مايو	١٩٧٣ م
١٠ـ الآداب البيروتية	فبراير	١٩٧٢ م
١١ـ الثقافة « مصر »	مارس	١٩٧٤ م
١٢ـ الثقافة « مصر »	أبريل	١٩٧٤ م
١٣ـ العربى	اكتوبر	١٩٧٣ م
١٤ـ الثقافه	اكتوبر	١٩٧٤ م
١٥ـ ابداع	اغسطس	١٩٨٣ م

(هـ) دواوين شعر

١ ـ ديوان ابو تمام المجلد الأول ٠

٢ ـ ديوان المتنبى

٣ ـ ديوان ابو فراس الحمدانى

٥ ـ ديوان الشوقيات (١ ـ ٤)

٦ ـ ديوان أغانى الصبا ٠ ملك عبد العزيز

٧ ـ ديوان الأرض ٠ عبد الرحمن الأبنودى

٨ ـ ديوان المسافر فى سنبلات الزمن د ٠ صابر عبد الدايم

٩ ـ يوان السفينة والطوفان د ٠ صابر عبد الدايم « مخطوط »

١٠ـ ديوان وداعا عبد الناصر « نخبة من الشعراء »

(د) دواوين الشاعر

اسم الديوان	تاريخ صدوره
١ ـ أغانى الكوخ	١٩٣٥ م ط ١
٢ ـ هكذا اغنى	١٩٣٧ م
٣ ـ اين المفر	١٩٤٧ م
٤ ـ الملك	١٩٤٨ م
٥ ـ نار واصفاد	١٩٥٩ م
٦ ـ قاب قوسين	١٩٦٤ م
٧ ـ لابـــد	١٩٦٦ م
٨ ـ التائهون	١٩٦٨ م
٩ ـ السلام الذى أعرف	١٩٧٠ م
١٠ ـ صلاة ورفض	١٩٧٢ م
١١ ـ نهر الحقيقة	١٩٧٠ م
١٢ ـ موسيقى من السر	١٩٧٨ م
١٣ ـ صوت من الله	١٩٨٠ م

المحتويات

الموضــوع	الصفحة
الباب الرابع : قضايا ومواقف	٢٨١ ـ ٣٠٦
تمهيد ـ قضية الشعر الحر والتقليدى	٢٨٣ ـ ٢٩٠
قضية الالتزام فى الأدب	٢٩٠ ـ ٢٩٧
قضية الموت	٢٩٨ ـ ٣٠٦
المراجع	٣٠٧ ـ ٣١٤
المحتويات	٣١٥ ـ ٣١٧

رقم الايداع ٣٠٥٦ / ٨٤

الترقيم الدولى ٩ ـ ٠٨١٥ ـ ٠٢ ـ ٩٧٧

دار التضامن للطباعة
٢٢ شارع سامى - ميدان لاظوغلى
القاهرة - تليفون ٣٠٥٥٦

